لوسي مود مونتغمري

آن في الجزيرة

ترجمة: أديم العبيدي

ORIGINAL
NETFLIX
SERIES

لوسي مود مونتغمري

آن في الجزيرة

ترجمة: أديم العبدلي

ملهمون
MOLHIMON للنشر والتوزيع

- **الكتاب:** آن في الجزيرة
- **المؤلف:** لوسي مود مونتغمري
- **ترجمة:** أديم العبدلي
- **تحرير:** ريم البياتي

Little Puffin
Publishing house

الطبعة الأولى: 2025

ISBN: 978-9922-9599-2-4

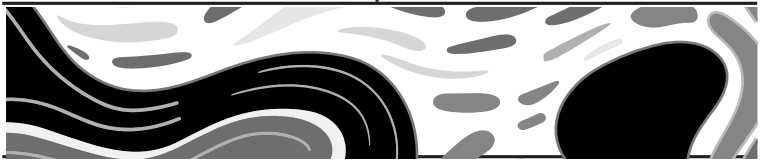

Business Center, Sharjah, Publishing City
Free Zone, Sharjah, United Arab Emirates

sales@puffinbook.com
info@puffinbook.com
Littlepuffinpublishing@gmail.com

0097165551184
www.puffinbook.com

Copyright © 2025 Little puffin publishing
All rights reserved.

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

حقوق النشر تعزز الإبداع وتشجع الطروحات المتنوعة والمختلفة، تطلق حرية التعبير وتخلق ثقافة نابضة بالحياة.
شكراً لاقتنائك النسخة الأصلية من هذا الكتاب، ولإحترامك حقوق النشر من خلال إمتناعك عن إعادة إنتاجه أو نسخه أو تصويره أو أي من أجزاءه بأي شكل من الأشكال دون إذن.
أنت تدعم الكُتّاب والمترجمين وتسمح لمنشورات ليتل بافن أن تستمر برفد جميع القراء بالكتب.

The rights of publishing enhance creativity and encourage different aspects of ideas. They unleash the freedom of expression and create a culture full of life. Thank you for getting the original copy of this book, and for your respect to the rights of publishing through not reproducing, copying, or photographing the book or any part of it in any possible way without permission.
You support writers and translators and allow for The Little puffin publishing to continue in giving the opportunity for people to read.

تصميم الغلاف والاخراج الفني: ماهر عدنان

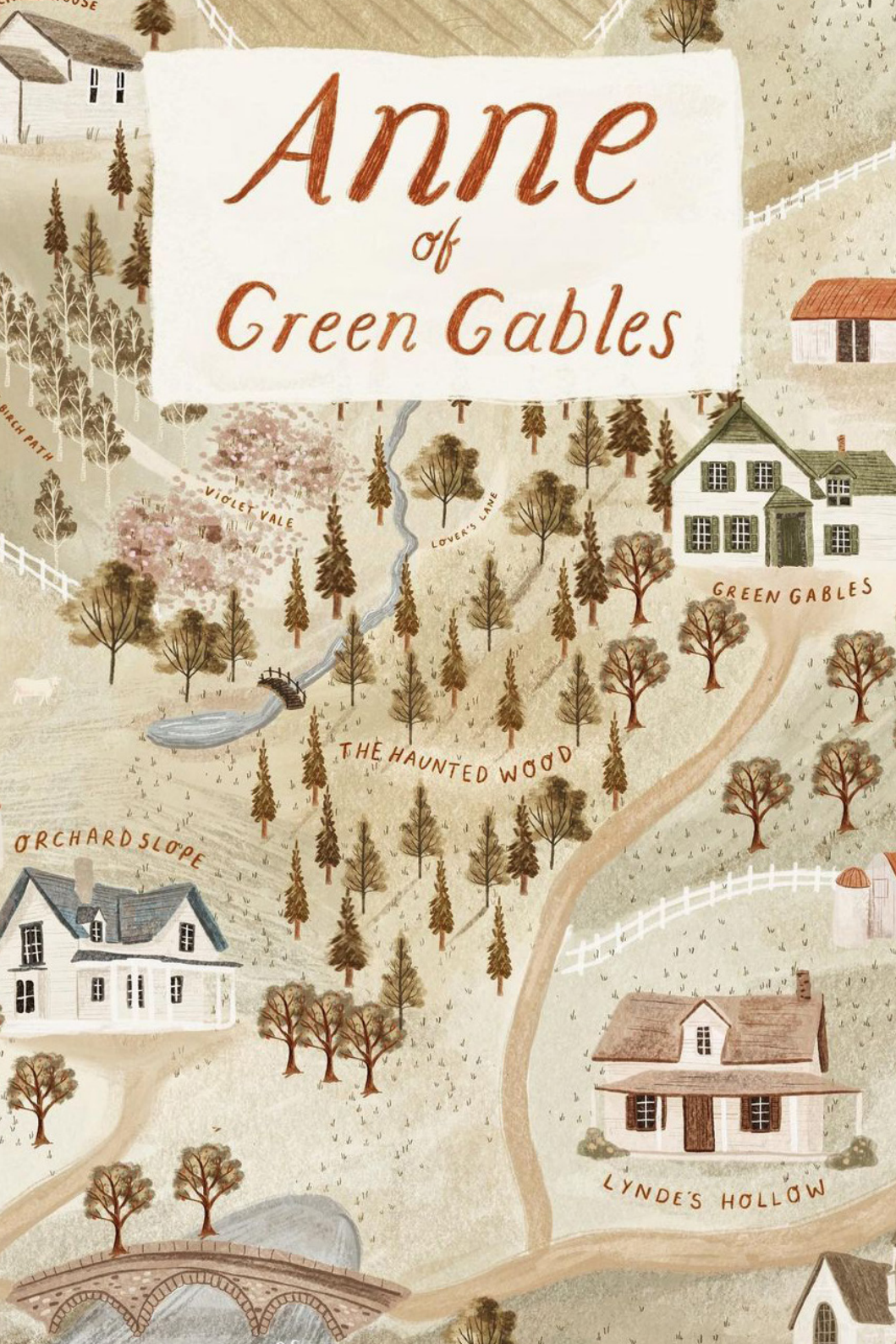
Anne
of
Green Gables
BIRCH PATH
VIOLET VALE
LOVER'S LANE
GREEN GABLES
THE HAUNTED WOOD
ORCHARD SLOPE
LYNDE'S HOLLOW

إلى
جميع الفتيات
في كل أنحاء العالم
اللواتي «يردن معرفة المزيد»
عن آن

كل الأشياء الثمينة التي يتم اكتشافها في وقت متأخر
تنكشف لأولئك الذين يبحثون عنها،
فالحبيعمل مع القدر باستمرار،
ويرفع الحجاب عن القيمة المخفية.
تينيسون

الفصل الأول
ظلال التغيير

«انتهى موسم الحصاد ورحل الصيف»، همست آن شيرلي وهي تحدق في الحقول الجرداء. كانت هي وصديقتها ديانا باري تقومان بجمع التفاح في بساتين البراري الخضراء، ولكنهما الآن ترتاحان من تعبهما في زاوية مشمسة، حيث كانت أساطيل من زغبالشوكتتطاير على أجنحة نسيملا يزال عليلا يفوحبعبق الزهور في الغابة المسحورة.

ولكن كل ما أحاط بهما من مناظر طبيعية كان يشير إلىقدوم فصل الخريف. كان هدير البحر يُسمع من بعيد، وكانت الحقول عارية وجافة، تزينها أزهار الذهب البراقة، وكان الوادي أسفل البراري الخضراء يفيض بزهور الأقحوان البنفسجي، وكانت بحيرة المياه المتلألئة زرقاء زرقة لا تشبه زرقة الربيعالمتغيرة، ولا زرقة الصيف الخافتة، ولكنها زرقة واضحة وثابتة، كما لو كانت المياه قد تجاوزت كل الأمزجة والتقلبات العاطفية واستقرت في هدوء لا تفسد صفوهاالأحلام المتقلبة.

«كان صيفًا جميلًا»، قالت ديانا، وهي تنظر بابتسامة إلى خاتمها الجديد في اليد اليسرى. «وقد بدا زواج الآنسة لافيندر وكأنه تاج لهذا الصيف. أعتقد أن السيد والسيدة إيرفينغ الآن

على ساحل المحيط الهادئ.»

«يبـدو لـي أنهمـا قد ارتحلا لفتـرة طويلة بما يكفـي ليتجولوا حول العالم،» قالت آن متنهدة.

«لا أستطيع أن أصدق أنه مر أسبوع فقط منذ أن تزوجا. كل شيء قد تغير. الآنسة لافيندر والسيد والسيدة آلان راحلوا – كم يبدو مقفرا منزل القس بشـبابيكهالمغلقة! عدت من أمامه الليلة الماضية، وجعلني أشعر وكأن الجميع فيه قد توفوا.»

«لـن نحصـل على قسّ آخر مثل السـيد آلان أبدًا»، قالت ديانا باقتنـاع تامّ. «أعتقد أننا سـنحصل علـى جميع أنواع الرعايا هذا الشـتاء، وأغلـب الأحيـان لن يكـون هناك خطاب علـى الإطلاق. وأنتِ وجيلبرت أيضا سترحلان. سيكون ذلك مملاً للغاية.»

«فريد سيكون هنا»، ألمحت آن بمكر.

«متى ستنتقل السيدة ليند إلى هنا؟» سألت ديانا، كما لو أنها لم تسمع تلميح آن.

«غـدًا. أنـا سـعيدة بأنهـا قادمـة، ولكنه سـيكون تغييـرًا آخر. نظفت مع ماريلا كل شيء في غرفة الضيوف الاحتياطية أمس. أتعلميـن؟ كرهـت أن أفعل ذلك؟ بالطبع، كان ذلك سـخيفًا، ولكن بـدا الأمـر وكأننا كنا ندنسمقدسـا. كانت تلـك الغرفة الإضافية العتيقـة دائمًـا مـا تبدو لـي كمزار. عندمـا كنت طفلـة، اعتبرتها أروع غرفـة فـي العالـم. تتذكريـن رغبتـي الملحة فـي النوم على سـرير غرفـة الضيـوف، ولكن ليس فـي البراري الخضـراء. أوه، لا، أبـدًا! كان ذلـك سـيكون أمـرا فظيعًـا جـدًا. لـم أكن سـأقدر علـى النـوم بسـبب الرهبة. لم أدخل أبدًا إلى تلـك الغرفة عندما كانت ترسـلني ماريلا في مهمة. لا، بالطبع، كنت أمشـي خلالها علـى أصابـع قدمي وأمسـك أنفاسـي، كما لو كنت في الكنيسـة،

وكنـت أرتاح عندما أخرج منهـا. كانت صور جورج وايتفيلد ودوق ويلينغتون تعلق هناك، واحدة على كل جانب من المرآة، وتنظر لي طـوال الوقـت الذي أكون فيه هنـاك، وخاصة إذا تجرأت على أن أنظرإلى المرآةالوحيدة في البيت التي لايبدو فيها وجهي بشعا. لطالمـا تسـاءلت كيـف تتجـرأ ماريلا علـى تنظيف تلـك الغرفة. والآن، لم نقم فقط بتنظيفها ولكنها أفرغت تمامًا. تم نقل جورج وايتفيلـد والـدوق إلـى الرواق العلـوي. «هذا مصيـر عباقرة هذا العالم»، ختمت آن بابتسامة فيها مسحة صغيرة من الأسف. ليس مـن الممتـع أبدًا أن يتم تدنيـس مزاراتنا القديمة، حتى عندما لا نعود نرهبها.

«سـأكون وحيـدة جـدًا عندمـا ترحليـن»، تنهـدت ديانـا للمرة المائة. «أفكر في أنكِ سترحلين الأسبوع القادم!»

«لكننـا معًـا الآن»، قالـت آن بـروح مرحـة. «لا يجـب أن نـدع الأسبوع القادم يسرق فرح هذا الأسبوع منا. أكره فكرة المغادرة أيضـا – المنـزل وأنا صديقان حميمـان. إذا تحدثنا عن الوحدة! أنا من سـأتأوه. سـتكونين هنا مع العديد من أصدقائكِ القدامى – وفريد! بينما سأكون وحيدة بين الغرباء، لا أعرف أحدًا!»

«إلا جيلبـرت وتشـارلي سـلون»، قالـت ديانـا، تقلـد آن فـي تلميحاتهابدهاء مشددة على نطق الحروف.

«سـيكون تشـارلي سـلون مصـدرا عظيمـا للراحـة، بالطبـع»، وافقتهـا آن بسـخرية، فانفجـرت الفتاتـان غيـر المسـؤولتان تضحكان.

كانت ديانا تعرف بالضبط ما في داخل آن عن تشارلي سلون؛ ولكـن، علـى الرغـم مـن بعـض الحديـث السـري، لم تكـن تعرف بالضبط ما تشعر به آن نحو جيلبرت بليث. بالتأكيد، فآن نفسها

لا تعرف ذلك.

«كل ما أعرف أنّ الأولاد يتسكعون في الطرف الآخر من كينغسبورت، «، واصلت آن. «أنا سعيدة بذهابي إلى ريدموند، وأنا متأكدة أنني سأحبها في النهاية. ولكن خلال الأسابيع القليلة الأولى، أعلم أنني لن أحبها. لن تكون عندي حتى إمكانية زيارة بيتنا في عطلة نهاية الأسبوع، كما كنت أفعل عندما ذهبت إلى الجامعة الملكية. ستبدو عطلة عيد الميلاد كما لو كانت بعيدة ألف عام.»

«كل شيء يتغير أو سيتغير»، قالت ديانا بحزن. «لدي شعور بأن الأمور لن تكون كما كانت، آن.»

«لقد وصلنا إلى مفترق الطرق، أعتقد»، قالت آن بحزن. «كنا مضطرين للوصول إليه. هل تعتقدين يا ديانا أنّ كوننا أصبحنا بالغين هو حقًا شيء جميل مثلما كنا نتخيل عندما كنا أطفالا؟»

«لا أعلم – هناك بعض الأمور الجميلة في النضج»، أجابت ديانا، وهي تلمس خاتمها مرة أخرى بابتسامة صغيرة تمنح آنفجأة شعورا بالجهل وعدم الخبرة. «ولكن هناك الكثير من الأمور الغامضة أيضًا. أحيانًا أشعر كما لو أن أمر النضج يرعبني وأنني سأقدم أي شيء لأكون طفلة صغيرة مرة أخرى.»

«أعتقد أننا سنعتاد على أمر النضج مع الوقت»، قالت آن ببهجة. «لن تكون هناك الكثير من المفاجآت حوله فيما بعد – على الرغم من أن المفاجآت هي التي تعطي نكهة للحياة. نحن في الثامنة عشرة يا ديانا. خلال عامين آخرين سنكون في العشرين. عندما كنت في العاشرة اعتقدت أن العشرين هي بداية التقدم في العمر. في وقت قصير ستكونين سيدة محترمة في منتصف العمر، وسأكون العمة آن الجميلة، العذراء

العجوز القادمة لزيارتك في العطل. ستحتفظين دائمًا بركن لي، أليس كذلك، حبيبتي دي؟ ليس غرفة احتياطية، بالطبع،فلا يمكن للعذارى العجائز أن يطمحن إلى غرف احتياطية، وسأكون متواضعة مثل يوريا هيب، وأرضى تمامًا بزاوية صغيرة في عليّة الشرفة أو في زاوية الصالون.»

«يالـه مـن هراء تتحدثين به، آن»، ضحكت ديانا. «ستتزوجين شخصًا رائعًا ووسيمًا وغنيًا. ولن تكون الغرفة الاحتياطية في أفونلي رائعة بما فيه الكفاية بالنسبة لك، وسترفعين أنفك على كل أصدقاء شبابك.»

«سيكون ذلك أمرًا مؤسفًا. إنّ أنفي جميل حقا، لكنني أخشى أن يفسد إن رفعته،» قالت آنمرتبة ذلك الأنف الجميل. «ليس لدي الكثير من الملامح الجيدة التي يمكنني تحمل فقدانها، لذلك، حتى لو تزوجت من ملك جزر الكانيبال، أعدك أنني لن أرفع أنفي عنك، ديانا.»

بابتسامة بهية، تفرّقت الفتاتان، لتعود ديانا إلى أورشارد سلوب، وتسير آن إلى مكتب البريد حيث وجدت رسالة في انتظارها هناك، وعندما لحقها جيلبرت بليث على الجسر فوق بحيرة المياه المتلألئة، كانت تتألق بإثارة.

« ستذهب بريسيلا جرانت إلى ريدموند أيضًا»، صاحت آن: «أليس ذلك رائعًا؟ كنت آمل ذلك، لكنها لم تعتقد أن والدها سيوافق. لكنه قد فعل، وسنسكن معًا. أشعر أنه يمكنني مواجهة جيش أو كتيبة من أساتذة ريدموند في تشكيلة واحدة فتاكة برفقة صديقة مثل بريسيلا.»

«أعتقد أننا سنحب كينجسبورت»، قال جيلبرت. «قالوا لي إنها بلدة عتيقة وجميلة، وتضم أجمل حديقة في العالم. سمعت

أن المناظر الطبيعية فيها رائعة.»

«أتساءل هل ستكون - أو هل يمكن أن تكون - أجمل من هذا،» همست آن، وهي تنظر حولها بحب وحنين أولئك الذين يرون «المنزل» دائمًا كأجمل مكان في العالم، بغض النظر عن الأراضي الأجمل التي قد تكون تحت سماء أخرى.

كانا يتكئان على جسر البركة العتيق، يعُبّان من سحر الغسق بعمق، في المكان الذي نجت فيه آن من غرق قاربها يوم انجرفت إيلين إلى كاميلوت. لا تزال ألوان الغروب الرائعة تلون السماء في الغرب، ولكن القمر بدأ يطلع والماء يبدو وكأنه حلم فضي هائل في ضوئها. والذكريات تنسج سحرًا حلوًا ورقيقا على الكائنين الشابين.

«أنتِ هادئة جدًا، آن»، قال جيلبرت أخيرًا. «أخشى أن أتكلم أو أتحرك خوفًا من أن يختفي هذا الجمال الرائع تمامًا كما يُكسر الصمت « همست آن.

فجأة وضع جيلبرت يده فوق اليد البيضاء النحيلة المستندة إلى حافة الجسر. بدت عيناه البنيتان داكنتين في ظلام، وانفرجت شفتاه الفتيّتان ليقول شيئًا عن الحلم والأمل اللذين يثيران روحه. ولكن آن انتزعت يدها واستدارت بسرعة. انقطع سحر الغسق.

«يجب أن أعود إلى البيت»، صاحت بلا مبالاة. «كانت ماريلا تعاني من صداع اليوم، وأنا متأكدة من أن التوأمين سيكونان قد سببا بعض المشاكل الفظيعة حتى هذا الوقت. حقًا، لا ينبغي أن كنت قد بقيت بعيدة طويلاً.»

هذت دون توقف بكلام لا معنى له حتى وصلا إلى ممر البراري الخضراء. بالكاد كان لدى جيلبرت فرصة لقول كلمة.

عندما انفصلا، شعرت آن بنوع من الخفة. كان هناك شعور جديد يتشكل بسرية في قلبها تجاه جيلبرت، منذ لحظة الكشف الخاطفة في حديقة قرن الصدى. هناك شيء غريب قد تسلل إلى صداقتهما القديمة والمثالية من أيام المدرسة، شيء يهدد بتشويهها.

«لم أشعر بالسرور لرؤية جيلبرت يذهب من قبل»، فكرت، بشيء من الانزعاج والحزن، وهي تسير وحيدة في الممر. «سنخسر صداقتنا إذا استمر في هذا الهراء. يجب ألا تفسد. لن أسمح بذلك. أوف، لماذا لا يمكن للفتيان أن يكونوا عاقلين!»

كان لدى آن شك غير مريح بأنه من غير الصحيح أن تظلّ تشعر بضغط يد جيلبرت الدافئة على يدها، تماما كما أحست في الثواني الخاطفة التي استراحت فيها يدها في يده، وكان الشعور بعيدًا عن أن يكون شيئًا غير مريح.وهو مختلف تمامًا عن ذاك التي خالجها عندما قام تشارلي سلون باستعراض مماثل، إثر رقصها معه في حفلة وايت ساندز قبل ثلاث ليال. ارتجفت آن عند استرجاعها للذكرى المزعجة. ولكن جميع المشاكل المتعلقة بالفتيان المعجبين اختفت من ذهنها عندما دخلت مطبخ البراري الخضراء البسيط وغير الشاعري، حيث كان صبي يبلغ من العمر ثماني سنوات يبكي بحرقة على الأريكة.

«ما الذي حدث، ديفي؟»، سألت آن وهي تحمله بين ذراعيها. «أين ماريلا ودورا؟»

«ماريلا تضع دورا في السرير،» قال ديفي باكيا، «وأنا أبكي لأن دورا سقطت من فوق درج السلم الخارجي، انقلبت على عقبيها، وخدشت كل جزء من أنفها، و..»

«أوه، حسنًا، لا تبكي بسبب ذلك، عزيزي. بالطبع، أنت حزين لأجلها، ولكن البكاء لن يساعدها بأي شيء. ستكون على ما يرام غدًا. البكاء لا يساعد أي شخص، ديفي، و—»

«أنا لا أبكي لأن دورا سقطت في السلم،» قال ديفي مقاطعا عرض الموعظة الطيبة التي قدمتها آن بمرارة كبيرة. «أنا أبكي، لأنني لم أكن هناك لأراها تسقط. يبدو لي دائما أنني أفوت علي شيئا ممتعا.»

«أوه، ديفي!» حاولت آن كبح ضحكتها. «هل تعتبررؤية الفتاة الصغيرة دورا تسقط من السلم وتصاب شيئا مرحا؟»

«لم تصب كثيرًا»، قال ديفي بتحدّ. «بالطبع، إذا كانت قد ماتت، كنت سأحزن حقًا، آن. ولكن آل كيث ليسوا فرائس سهلةللموت. أعتقد أنهم مثل آلبلويت. لقد سقط هيربلويت من فوق مخزن العلف يوم الأربعاء الماضي، وتدحرج من قناة اللفت وسقط تحت حوافرحصان فحل متوحش وعصبي كان في الإسطبل، ولكنه خرج حيًا، مع كسور في ثلاثة عظام فقط. تقول السيدة لينـد إن هناك بعض الناس لا يمكن قتلهم حتى بساطور. هل ستأتي السيدة لينـد إلى هنا غدًا، آن؟»

«نعم، ديفي، وآمل أن تكون دائمًا لطيفًا وجيدًا معها.»

«سأكون لطيفًا وجيدًا. ولكن هل ستضعني في السرير ليلاً، آن؟»

«ربما. لماذا؟»

«لأنها إذا فعلت ذلك، فلن أصلي أمامها كما أفعل أمامك، آن.»قال ديفي بحسم

«ولماذا؟»

«لأننـي لا أعتقـد أنـه سـيكون لطيفًـا التحـدث إلـى اللّه أمام الغربـاء، آن. دورا يمكنهـا الصـلاة أمام السـيدة لينـد إذا أرادت، ولكننـي لـن أفعل. سـأنتظر حتى تذهب وبعد ذلك سـأصلي. هل هذا سيكون جيدًا؟»

«نعم، إذا كنت متأكدًا من أنك لن تنسى أن تصلي، ديفي.»

«أوه، لن أنسـى بالتأكيد. أعتقد أن تلاوة الصلوات ليس بأمر صعـب. ولكـن أن أتلوهـا وحـدي لـن يكـون مرحا كما هـو الحال عندماأتلوهـا لأمامـك. أتمنـى أن تبقـى في المنـزل، آن. لا أفهم لماذا تريدينأن تذهبي وتتركينا.»

«لا أذهـب لأننـي أرغـب فـي ذلـك ياديفـي، ولكننـي يجـب أن أذهب.»

«إذا لـم ترغبـي فـي الذهـاب، فلا حاجـة لذلك. أنت راشـدة. عندما أكونُ كبيرًا، لن أفعل شيئًا واحدًا لا أرغب فيه، آن.»

«طوال حياتك يا ديفي، سـتجد نفسـك تقوم بأشـياء لا ترغب في القيام بها.»

«لن أفعل ذلك»، قال ديفي بشكل صريح. «لا تهذي! أنا مجبر على فعل أشياء لا أرغب فيها الآن لأنك أنت وماريلا سترسلانني إلى الفراش إذا لم أفعل. ولكن عندما أكبر، لن تستطيعا فعل ذلك، ولـن يقـدر أحد علـى إجباري علـى القيام بأي شـيء. صارحيني آن، يقـول ميلتيبولتـرإن والدتـه تقـول إنكِ سـتذهبين إلـى الكلية للحصول على زوج. هل هذا صحيح، آن؟ أريد أن أعرف.»

للحظة شـعرت آن بالاسـتياء، ثم ضحكت، مذكرة نفسـها بأن أفكارالسيدةبولتروكلامها البذيء لن يؤذيها.

«لا، ديفـي، ليـس كذلـك. سـأدرس وأتعلـم وأتطـور وأكتشـف الكثير من الأشياء.»

«أي أشياء؟»

«أحذية وسفن وشمع ختم

وملفوف وملوك،»

قالت آن.

«ولكن إذا كنتِ ترغبين حقًا في العثور على زوج، فكيف ستفعلين ذلك؟ أريد أن أعرف»، أصر ديفي، الذي يبدو أن الموضوع يثير اهتمامه.

«كان من الأفضل أن تسأل السيدة بولتر»، قالت آن بلا تفكير. «أعتقد أنها قد تعرف أكثر مني عن العملية.»

«سأفعل ذلك، في المرة القادمة التي أراها فيها»، قال ديفي بجدية.

صاحت آن عند إدراكها لخطأها «ديفي! إذا فعلت ذلك..!».

«لكنكِ قلتِ لي أن أفعل ذلك»، احتج ديفي بغضب.

«حانَ الوقتُ للذهاب إلى الفراش»، قالت آن، للخروج من هذه الورطة.

بعد أن ذهب ديفي إلى الفراش، اتجهت آن إلى جزيرة فيكتوريا وجلست هناك وحيدة، مستورة بالظل الرقيق المضيء بأشعة القمر، بينما كان الماء يضحك حولها في حديث ثنائيبين صوت الجدول وصوت الرياح. كانت آن دائمًا تحب ذلك الجدول. كثيرة هي الأحلام التي حلقت بها فوق مياهه المتلألئة في الأيام التي مضت. نسيت الشابين المغرمين، ونميمة الجيران الحاقدين، وجميع مشاكل حياتها الشابة. وأبحرت في خيالها، عبر بحار مألوفة تغسل الشواطئ البعيدة المتألقة لـ «أراضي السحر المهجورة»، حيث تقع أثار أطلانطس وإليزيوم المفقودة، يقودها نجم المساء كربان، إلى أرض رغبة القلب. وكانت هذه الأحلام أغنى من الواقع؛ لأن الأشياء المرئية تمضي، ولكن الأشياء التي لا تُرى أبدية.

الفصل الثالث
أكاليل الخريف

مضى الأسبوع التالي بسرعة، مكتظًا ب»آخر الأشياء» التي لا تعد ولا تحصى، كما سمتها آن. كان عليها أن تقوم بزيارات وداع، سواء كانت لطيفة أو عكس ذلك، يتحدد ذلك حسب تحمس من تزورهم بإخلاص لآمالها، أو اعتقادهم أنها متكبرة جدًا بسبب ذهابها إلى الكلية، وأنه من واجبهم نصحها.

نظمت الجمعية النسائية الدولية للدعم والتحفيز حفل وداع تكريميًا لآن وجيلبرت في إحدى الليالي في منزل جوزي بي، اختاروا هذا المكان لأن منزل السيد بي كان كبيرًا وملائمًا من ناحية، ومن ناحية أخرى لأنه كان يشتبه بصورة قوية أن فتيات بي لن يشاركن الحدث إذا لم يتم قبول عرضهن لاستضافة الحفل. كانت فترة لطيفة جدًا، حيث كنّ لطيفات ولم يفعلن شيئًا يفسد هذه المناسبة، وهو أمر لم يكن على عادتهن. كانت جوزي لطيفة بشكل غير اعتيادي، حتى أنها علقت تعليقالطيفا على فستان آن، قائلة:

«فستانك الجديد يناسبك إلى حد كبير، آن. حقًا، تكادين تصبحين جميلة فيه.»

«قول ذلك لطف منكِ،» ردت آن بعيونٍ تلمع مكرا. كانت حاسة الفكاهة لديها تتطور، والكلمات التي كانت تؤلمها في سن الرابعة عشرة أصبحت الآن مجرد وسيلة للتسلية. كانت جوزي تشعر بأن آن تضحك عليها وراء تلك العيون الشريرة، لكنها أقنعت نفسها بالهمس إلى جيرتي، أثناء نزولهما الدرج، بأن آن شيرلي ستتكبر أكثر من أي وقت مضى الآن لأنها ستدرس في الكلية. سترين!

كان جميع «الأصدقاء القدامى» هناك، يملؤهمالفرح والحماس وسعادة الشباب. ديانا باري بوجنتيها المتوردتين صحبة الوفي فريد. وجين أندروز، مرتبة وعاقلة وبسيطة. وروبي جيليس، تبدو بأبهى وألمع حلة حريرية بيضاء، مع زهور جيرانيوم حمراء في شعرها الذهبي. وجيلبرت بليث وتشارلي سلون، كل منهما يحاول البقاء قريبًا من آن الراحلة قريبا. وكاري سلون، تبدو باهتة ومكتئبة لأن والدها، حسبما أفيد، لن يسمح لأوليفر كيمبال بالاقتراب من المكان. ومودي سبورجونماكفيرسون بوجهه المستدير وأذنيه القبيحتين كما هو الحال دائمًا. وبيلي أندروز، الذي جلس في الزاوية طوال الليل، يضحك عندما يتحدث أحدهم إليه، ويشاهد آن شيرلي بابتسامة سرور على وجهه العريض المغطى بالنمش.

كانت آن قد علمت مسبقًا بالحفلة، لكنها لم تكن تعلم أنها وجيلبرت، باعتبارهما من مؤسسي الجمعية، سيتلقيانخطاب شكر وهدايا، كانت في حالتها كتابا لشكسبير، وفي حالة جيلبرت قلم حبر. كانت مندهشة وسعيدة بالأشياء الجميلة التي قيلت في الخطاب، الذي قرأه مودي سبورجونبصوته الرسمي والجدّي، حتى لمعت الدموع في عينيها الرماديتين الكبيرتين.

لقـد عملـت بجد وإخلاص لصالـح الجمعية، وقد أدفـأ قلبها أن يقـدر أعضـاء الجمعية جهودهـا بإخلاص. وكانـوا جميعًا لطفاء وودوديـن ومرحيـن حتى فتيات بي كان لديهـن مزاياهن؛ في تلك اللحظة، أحبت آن العالم بأسره.

اسـتمتعت بالمسـاء بشـكل كبير، ولكن نهايته أفسـدت الأمور قليـلاً. كـرر جيلبـرت مرة أخـرى خطأ البـوح بعواطفه لهـا أثناء تناولهم العشـاء على الشـرفة المضاءة بأشعة القمر؛ وكعقوبة له، كانت آن لطيفةً مع تشـارلي سـلون وسـمحت له بأن يرافقها إلى المنـزل. فاكتشـفت في النهاية، أن الانتقام لا يـؤذي أحدًا بنفس القدر الذي يؤذي به الشخصيحاولفعله.

فقد غادر جيلبرت مع روبي جيليس، وكان بإمكانها سماعهما وهمـا يضحكان ويتحدثان بسـعادة متجولين فـي الهواء الخريفي الهـادئ والبـارد. كانـا يقضيان بوضوح أفضـل الأوقات، في حين كانت آن تشعر بالملل الشديد بسبب تشارلي سلون، الذي تحدث بشكل متواصل دون توقف، ولم يقل شيئًا يستحق الاستماع حتى عـن طريـق الصدفـة. أجابتـه آن بِ «نعـم» أو «لا» بشـكل غائـب أحيانًـا، وفكـرت في كم كانـت روبي تبدو جميلة تلـك الليلة، وكم كانت عينا تشارلي غير جميلة في ضوء القمر، بل أسوأ حتى مما همـا عليـه فـي النهار. وفكرت في أن العالـم، بطريقة ما، لم يعد مكانًا لطيفًا تمامًا كما كانت تعتقد في وقت سابق من المساء.

«أنا متعبة فقط، هذا هو الأمر»، قالت عندما وجدت نفسـها بشـكل لطيـف فـي غرفتهـا الخاصـة. وكانـت تعتقـد صراحة أن هـذا هو السـبب. ولكن شـعورا من الفـرح المفاجـئ باغت قلبها فـي المسـاء الموالـي، عندمـا رأت جيلبـرت يتقـدم عبـر الغابـة المسـحورةعابرا الجسـر الخشـبي القديـم بتلك الخطـوة القوية

والسـريعة التي يتميز بها. إذًا، لن يقضي هذا المسـاء الأخير مع روبي جيليس على الإطلاق!

«تبدين متعبة، آن»، قال.

«أنا متعبة، والأسوأ من ذلك، أنا غاضبة. أنا متعبة لأنني قمت بمـلء حقيبتـي وخياطتهـا طـوال اليوم. ولكنني غاضبة لأن سـت نسـاء جئـن ليقلـن لي وداعـاً ، وكل واحدة منهـن نجحت في قول شـيء اسـتطاع أنيسـحب اللون من حياتي ويتركها رمادية وكئيبة وبائسة كصباح نوفمبر.»

«قطط هرمةوحاقدة!» كان تعليق جيلبرت الأنيق.

«أوه، لا، لم يكن كذلك»، قالت آن بجدية. «هذا هو المشكل. لو كن قططًا حاقدة، لما كنت سأهتم. ولكنجميعهنلطيفات وطيبات وحنونـات يحبننـي وأحبهـن، وهذا هو السـبب في أن مـا قلنه أو تلمحـن إليـه كان ثقيلا علي وقعه. جعلننـي أرى أنهن اعتقدن أن ذهابي إلى ريدموند ومحاولتي الحصول على درجة البكالوريوس يعتبر جنونا، ومنذ ذلك الحين وأنا أتسـاءل إذا كن محقات. لقد تنهدت السـيدة بيتر سـلون وقالت إنها تأمل أن تدوم قوتي حتى أنتهي؛ وفي لحظة رأيت نفسـي ضحية يائسـة للاكتئاب العصبي فـي نهايـة السـنة الثالثـة لـي؛ وقالت السـيدة إيبنرايتإنالدراسـة لأربـع سـنوات فـي ريدمونـد لا بـدّ أنه يكلـف الكثير مـن المال ؛ فشـعرت بـكل مـل فيّ أنـه كان أمرا غيـر مبرر أن أقـوم بإضاعة أموالي وأموالماريلا في مثل هذا الهراء. وقالت السـيدة جاسـبر بيـل إنهـا تأمـل ألا أسـمح للكلية بتدميـري، كما فعلـت مع بعض الناس؛ وشـعرت في عظامي أن إتمام أربع سـنوات في ريدموند سيجعلني مخلوقًا لا يُطاق، يعتقد أنه يعرف كل شيء، وينظر إلى كل شـيء وإلـى كل شـخص في آفونلـي بانزعاج؛ وقالت السـيدة

إليشارايت إنها فهمت أن فتيات ريدموند، وخاصة اللواتي ينتمين إلى كينجسبورت، يصبحن أنيقات ومتكبرات جدًا، وقالت إنها تخمن أنني لن أشعر بالراحة كثيرًا بينهن؛ ورأيت نفسي، فتاة ريفية مهانة، ذات مظهر غير جذاب، تتردد في أروقة ريدموند بحذاء مطلي بالنحاس.»

أنهت آن كلامها بضحكة وتنهيدة ممزوجتين. فبسبب طبيعتها الحساسة، كان لكل انتقاد وزن، حتى انتقاد أولئك الذين لا تحترم آراءهم بشكل كبير. في تلك اللحظة، أصبحت الحياة بلا طعم، وأصبح الطموح كشمعة أُطفِئت. «بالتأكيد لن تهتمي بما قلنه»، احتج جيلبرت. «أنتِ تعرفين بالضبط ما مدى ضيق نظرتهنإلى الحياة، على الرغم من أنهنلطيفات. إنّ فعل أي شيء لم يسبق لهن فعله يبدو لهن لعنة. أنتِ أول فتاة من آفونلي تذهب إلى الكلية؛ وتعلمين أن جميع رواد الطريق يُتهمون بالجنون.»

«أوه، أنا أعلم. ولكن الشعور مختلف تمامًا عن المعرفة. عقلي يقول لي كل ما يمكنك قوله، ولكن هناك أوقات يحكم فيها العقل الجمعي سيطرته علي. إنّ السخافة المشتركة تستولي على روحي. حقًا، بعد أن رحلت السيدة إليشا، لم يكن لدي القلب لإكمال تجهيز الحقيبة.»

«أنتِ فقط متعبة، آن. تعالي، ننسى كل ذلك ونتجول معًا. نجول عبر الغابات وراء النبع. لا بدّ أنّ هناك شيء أريد أن أريكِ إياه.»

«لا بدّ! ألست متأكدا إذا كان هناك؟»

«لاأعلم، فقط أتوقع وجوده، فقد رأيته هناك في الربيع. هيا، سنتظاهر أننا طفلان مرة أخرى وسنتبع اتجاه الرياح.»

انطلقا بفرح. تذكرتآن، موقف الليلة السابقة، فكانت

لطيفة للغاية مع جيلبرت؛ أما هوفقد رأى أنّ من الحكمة ألا يتجاوزالزمالة مرة أخرى. شاهدتهما السيدة ليند وماريلا من نافذة المطبخ.

«سيتقاربان يومًا ما»، قالت السيدة ليند بثقة.

حَدَقَت فيهماماريلا قليلاً. وفي قلبها، أملت أن يحصل ذلك، ولكن لم يرقها أن يصبح الأمر مادة للثرثرة لدى السيدة ليند. فقالت بشكل مختصر:

«إنهما لا يزالان طفلين».

ضحكت السيدة ليند بلطف.

«آن تبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا. كنت متزوجة عندما كنت في تلك السن. نحنالكبار، يا ماريلا، نميل إلى التفكير في أن الأطفال لا يكبرون، هذا ما أقوله. آن امرأة شابة، وجيلبرت رجل، وهو يعبد الأرض التي تمشي عليها، كما يمكن لأي شخص أن يرى. إنه رجل رائع، وآن لا يمكن أن تحصل على أفضل منه. آمل ألا تدخل في رأسها رؤى شاعرية في ريدموند. أنا لا أوافق على تلك الأماكن المختلطة، ولن أفعل ذلك أبدًا، هذا ما أقوله. لا أعتقدأن الطلاب في مثل تلك الكليات يقومون بشيء آخر غير التسلية.»ختمت السيدة ليند بجدية.

«يجب أن يدرسوا قليلاً»، قالت ماريلا بابتسامة.

«قليل جداً»، همت السيدة راشيل. «ومع ذلك، أعتقد أن آن ستدرس جيدا. لم تكن متلاعبة أبدًا. ولكنها لا تمنح جيلبرت قيمته التي يستحق، هذا ما أقوله. أفهم الفتيات! تشارلي سلون يحبها أيضًا، ولكنني لا أنصحها أبدًا بالزواج منه. آلأسلون أناس جيدون وشرفاء، ومحترمون بالطبع. ولكنهم آل سلون في النهاية.»

أومأت ماريلا. قد لا يبدوالقول بأن آل سلون هم آل سلون له معنى بالنسبة لمن لا يعرف، ولكنها فهمت. كل قرية لديها عائلة من هذا النوع؛ قد يكونون أناسًا جيدين وشرفاء ومحترمين، ولكنهم آل سلون ويجب أن يظلوا كذلك، رغم أنهم يتكلمون كالملائكة.

كان جيلبرت وآن سعيدينلا يملكان أدنى وعي بأن مستقبلهما يتم ترتيبه بهذه الطريقة من قبل السيدة راشيل، كانا يمشيان في ظلال الغابة المسحورة. وبعيدًا، كانت التلال التي تمّ حصادها تستلقي تحت ألق الغروب العنبري، تحت سماء وردية وزرقاء باهتة. كانت الجبال البعيدة مصقولة باللون البرونزي، وظلالها الطويلة تشق الهضاب. وحولهما، هبت رياح خفيفة تغني بين أشجار الصنوبركأنها تعزف لحن الخريف.»

هذه الغابة حقًا مليئة بالذكريات القديمة، قالت آنوهي تنحني لجمع بعص السراخس، التي تحول لونها إلى بياض شمعي بفعل الصقيع. «يبدو لي أن الفتاتين الصغيرتين، ديانا وأنا، اللتينكانتا تلعبان هنا في الماضي، وتجلسان بجوار نبع الجنيات في وقت الشفق، وتلتقيان بالأشباح. هل تعلم؟ لا يمكنني أبدًا الصعود في هذا المسار في الظلام دون أن أشعر بشيء من الرعب والرجفة ؟ كان هناك شبح مرعب أنشأناه في خيالنا – شبح الطفل المقتول الذي يتسلل خلفك ويضع أصابعه الباردة على يديك. أعترف أنني، حتى اليوم، لا يمكنني إلا أن أتخيل خطواته الصغيرة والسرية خلفي عندما آتي إلى هنا بعد الغروب. لست خائفة من السيدة البيضاء أو الرجل الذي بلا رأس أو الهياكل العظمية، ولكنني كنتُ أتمنى ألا أكون قد تخيلت وجود هذا الشبح الصغير. كم غضبت ماريلا والسيدة باري من هذا الأمر»، ختمت

آن كلامها بشيء من الضحك الملائم للذكرى.

كانت الغابات حول النبعيكسوها اللون البنفسجي. وقد سارا وراء طريقا ملتويا ووادٍ مشمس محاط بأشجار القيقب، حيث وجدا «شيئًا» كان جيلبرت يبحث عنه.

«آه، ها هو»، قال برضا.

«شجرة تفاح – وبعيدة جدًا هنا!» هتفت آن بسعادة.

«نعم، شجرة تفاح حقيقية ومثمرة أيضًا، هنا في وسط الصنوبر والزان، على بعد ميلعن أي بساتين. كنت هنا يومًا في الربيع الماضي ووجدتها، كانت كلها بيضاء بالزهر. لذا قررت أن أعود في الخريف لأرى ما إذا كانت قد تحولت إلى تفاح. انظري، إنها محملة بثمار التفاح. ويبدو جيدا أيضًا – بلونه الأصفر ولكن بخدين حمراوين. إنّ معظم أشجار التفاح البري تكون خضراء وغير مرغوب فيها.»

«أفترض أنها نبتت منذ سنوات عديدة من بذرة عرضية ملقاة،» قالت آن بشكل حالم. «وكيف نمت وازدهرت واحتفظت بمكانتها هنا بمفردها بين الغرباء، يا للشجاعة والعزم!»

«ها هي شجرة قد سقطت على وسادة من الطحالب. اجلسي، آن – ستكون مثالية كعرش في الغابة. سأصعد لقطف بعض التفاح. إنها تنمو عالية كأنّعليها أن تصل إلى أشعة الشمس.»

اتضح أن التفاح كانت لذيذا. تحت القشرة الصفراء كان غارقا في بياض مشرب بخيوط حمراء طفيفة. وبالإضافة إلى طعمه المميز، كان فيه لذة برية ورائعة لا توجد في أي تفاحة تنمو في البساتين.

«لن يكون لتفاح عدن نكهة أندر من هذه،» علقت آن. «ولكن الوقت قد حان للعودة إلى المنزل. انظري، كان الشفق قبل ثلاث

دقائـق ظاهـرا والآن بـدأ القمـر يطلـع. للأسـف، لم نسـتطع أن نشـاهد لحظـة التحـول. ولكن مثل هذه اللحظـات لا يتم القبض عليها، أفترض.»

«لننعطف حول المسـتنقع ونعد إلى المنزل عبر ممر العشاق. هل تشعرين الآن بالإحباط مثلما كنت عندما وجدتك، آن؟»

«لا، لم أعد كذلك. كان ذلك التفاح كالمنّ لروح جائعة. أشعر أنني سأحب ريدموند وسأقضي أربع سنوات رائعة هناك.»

«وبعد تلك الأربع سنوات – ماذا؟»

«أوه، سـيكون هنـاك منعطف آخر في نهايـة الطريق « أجابت آن بخفـة. «ليـس لـدي أي فكرة عما قد يكون بعدو ولا أرغب في معرفته. من الأفضل عدم معرفته.»

كان ممر العشـاق مكانًا رائعا تلك الليلة، هادئًا وغامضًا تحت ضوء القمر الباهت. عبراه في صمت لطيف وودود، دون أن تكون لديهما رغبة في الحديث.

«لو كان جيلبرت دائما كما كان هذا المسـاء، كانت كل الأمور جميلة وبسيطة،» فكرت آن.

كان ينظـر إليهـا وهـي تسـيرفي فسـتانها الخفيـف ونحافتها الرقيقة، فبدت له كزهرة السوسن البيضاء.

«أتساءل عما إذا كنت سأستطيع أن أجعلها تهتم بي يومًا،» فكر بأسى.

الفصل الثالث
حتى نلتقي مرة أخرى

«ترك تشارلي سلون، جيلبرتبلايث وآن شيرلي أفونلي صباح الاثنين التالي. أملت آن في أن يكون اليوم جميلا. وكان من المقرر أن توصلها ديانا إلى المحطة وكانتا ترغبان في أن تكون آخر رحلة لهما معًا ممتعة. ولكن عندما ذهبت آن إلى الفراش ليلة الأحد كانت الرياح الشرقية تدور حول البراري الخضراءمنذرة بنبوءة مخيفة تحققت في الصباح. استيقظت آن لتجد قطرات المطر تتساقط على نافذتها وتظلل سطح البحيرة الرمادية بحلقات تتسع؛ وقد أخفى الضباب الهضاب والبحر، وكان العالم كله يبدو غامضًا وكئيبًا. ارتدت آن ثيابها في فجر رمادي كئيب، لأن الاستيقاظ مبكرا كان ضروريالتلحق القطار الذي سيوصلها إلى ميناء السفن؛ وقد قاومت دموعا لا مفر منها ملأت عينيها رغما عنها. كانت تترك البيت العزيز عليها، وكان هناك شيء يقول لها إنها تتركه إلى الأبد، وأنه سيتحول إلى مأوى خلال العطل. لن تكون الأمور كما كانت مرة أخرى؛ العودة لقضاء العطل لن تكون مثل العيش هناك. وأوه، كم كان كل شيء عزيزًا ومحببًا، تلك الغرفة البيضاء الصغيرة التي عاشت فيها أحلام الصبى، وملكة الثلج وأشجار الصنوبرعند النافذة،

وجـدول فالونونبـع الجنيـات والغابة السـحرية، وممر العشـاق – كل الأماكن العزيزة والألف واحد حيث تتموقع ذكريات السـنوات القديمة. هل يمكن أن تكون سعيدة حقًا في أي مكان آخر؟

كان الإفطـار فـي البـراري الخضـراء في ذلك الصبـاح وجبة حزينـة إلـى حد ما. لم يسـتطع ديفـي، لأول مرة فـي حياته على الأرجح، أن يأكل، لكنه بكى بشـكل فاضح فوق حسـاء الشـوفان. لم يبد أنّ أي شخص آخر لديه الكثير من الشهية، باستثناء دورا التـي قامـت بتنـاول وجباتهـا براحة. إنهـا مثل شـارلوت الخالدة والأكثـر حكمـة، التي «اسـتمرت في قطع الخبـز والزبدة» عندما مـر جثمـان حبيبهـا المحنـط من خلال عربـة، كانـت واحدة من تلك المخلوقات المحظوظة التي نادراً ما يزعجها أي شيء حتى حلـول الليـل المخيـف، اسـتغرق الكثيـر لإثارة هـدوء دورا. كانت آسـفة لرحيل آن بالطبع، ولكن هل هذا سـبب لعدم تقدير بيضة مسـلوقة علـى الخبز؟ بالطبـع لا. وبمراعاة أن ديفي لا يسـتطيع أكلها، أكلتها دورا بدلاً منه.»

ظهرت ديانا مع الحصان والعربةفي الوقت المناسـب، وجهها الـوردي يتألـق فـوق معطفهـا. فقـد حـان وقـت الـوداع. جـاءت السـيدة لينـد لتعانق آن بحمـاس وتوصيها أن تكون حذرة بشـأن صحتهامهما حدث. وبدت ماريلاقاسية وبلا دموع، قبلت خد آن وقالت إنها يفترض أن تطمئنهم عنها عندما تسـتقر. قد يسـتنتج الناظـر العابـر قـد اسـتنتج أن رحيـل آن لا يهمهـا كثيـرا، مـا لم يكـن هـذا المراقب قد حصل علـى نظرة جيدة في عينيها. قبلت دورا آن بلطـف وعصـرت دموعتيـن اثنتين لائقتيـن، ولكن ديفي، الـذي كان يبكـي علـى درج الشـرفة الخلفيـة منـذ أن نهضوا من الطاولة، رفض أن يقول وداعًا على الإطلاق. عندما رأى آن تتجه

نحـوه، قفـز واقفا، وصعد إلى الطابق العلـوي، واختبأ في خزانة الملابـس، ورفـض الخـروج منها. كانـت صرخاتـه المكتومة هي آخر الأصوات التي سمعتها آن عندما غادرت البراري الخضراء.

كانـت تمطر بغزارة طوال الطريـق إلى برايت ريفر، الذي كان عليهمـا الذهـاب عبـره، فالقطار مـن كارموديلا يصـل إلى قطار مينـاء السـفن. كان تشـارلي وجيلبـرت على رصيـف القطار عند وصولهمـا ، وكان القطـار يصـدر صافرته. لا يـزال لدى آن فقط الوقت للحصول على تذكرتها ورقم الحقيبة، وتوديع ديانا سـريعا للصعـود علـى متـن القطار. كانت تتمنى لو كانـت ذاهبة مع ديانا إلى أفونلي؛ فهي تعلم أن الحنين سيقتلها. وأوه، ليت ذلك المطر المكئيـب يتوقـف عـن الهطول.يبدو العالم كأنـه يبكي على انتهاء الصيـف وابتـلاع الفـرح! حتـى وجـود جيلبـرت لم يجلـب لها أي راحة، لأن تشارلي سلون كان هناك أيضًا، ويمكن تحمل آل سلون فقط في الطقس الجميل. ولكن ذلك لا يحتملفي المطر.

ولكـن عندمـا غـادرت السـفينة مينـاء شـارلوتاون، تحسـنت الأمـور. توقف المطر وبدأت الشـمس تسـطع بلونها الذهبي من بيـن السـحب، وقـد لمـع البحـر بلـون رمـادي نحاسـي، وأأضيء الضباب الذي يسـتر الشـواطئ الحمـراء للجزيـرة بلمعان ذهبي ينبـئ بيـوم جميـل بعد كل شـيء. ولكن تشـارلي أصيـب بالغثيان بسبب دوار البحر فترك آن وجيلبرت وحدهما على السطح.

«أنا مسرورة للغاية لأن آل سلون جميعا يصابون بالغثيان فور ركوبهم البحر،» فكرت آن بلا شفقة .

«أنا متأكدة أنني لن أتمكن من إلقاء نظرة الوداع على جظيرتي وتشارلي واقف هناك يتظاهر بأنه ينظر إليها بشكل مؤثر أيضًا.»

«حسنًا، لقد خرجنا إلى الطريق،» علق جيلبرت بلا إحساس بما قالت.

«نعم، أشعر وكأنني في نفس موقف «شايلد هارولد» في قصيدة بايرون. لكن ما أشاهده ليس حقا وطني الأم،» قالت آن، وهي تغمز بعينيها الرماديتين بحيوية. «إنها نوفا سكوتيا على ما أعتقد. ولكن الوطن الأم هو الأرض التي تحبها أكثر، وهي الجزيرة الجميلة بالنسبة لي. لا أستطيع أن أصدق أنني لم أعش هنا دائمًا. تلك الحقبة قبل أن آتي تبدو وكأنها كانت حلمًا سيئًا. لقد مضت سبع سنوات منذ أن عبرت هذه السفينة في المرة الأخيرة فيذلك المساء الذي جلبتني فيه السيدة سبنسر من هوبتاون. يمكنني أن أرى نفسي، في ذلك الفستان المروع القديم والقبعة البالية، أستكشف الطوابق والغرف بفضول وحماس. كان مساءً جميلاً، أوه كيف لمعت تلك الشواطئ الحمراء في ضوء الشمس. الآن أعبر المضيق مرة أخرى. أوه، جيلبرت، أتمنى أن تعجبني ريدموند وكينجسبورت، ولكنني متأكدة أن ذلك لن يكون!»

«أين ذهبت فلسفتك، آن؟»

«لقد غُمرت كلها تحت موجة عظيمة من الوحدة والحنين إلى الوطن. لقد توقعت لثلاث سنوات الذهاب إلى ريدموند – والآن أنا ذاهبة – وأتمنى ألا أفعل! لا تهتم! سأكون مرحة وفلسفية مرة أخرى بعد أن أبكي لمرة واحدة بشكل جيد. يجب أن أحظى بذلك، وسأضطر إلى الانتظار حتى أصل إلى سرير غرفة المبيت اليوم، حتى يتسنى لي فعل ذلك. ثم سأكون آن نفسها مرة أخرى. أتساءل عمّا إذا كان ديفي قد خرج من الخزانة بعد.»

كانت الساعة التاسعة من تلك الليلة عندما وصل قطارهم إلى كينجسبورت، فووجدوا أنفسهم في وهج المحطة المزدحمة. شعرت آن بالارتباك بشكل فظيع، لكن بعد لحظة أمسكتها بريسيلا جرانت، التي كانت قد أتت إلى كينجسبورت يوم السبت.

«ها أنتِ هنا، أيتها الحبيبة! وأفترض أنك متعبة كما كنت عندما وصلتِ هنا ليلة السبت.»

«متعبة! بريسيلا، لا تتصورين مدى تعبي. أنا متعبة، وشاحبة، وريفية، وأشعر أنّ عمري لا يتجاوز العاشرة. من فضلك، خذي صديقتك المكسورة إلى مكان يمكنها فيه سماع أفكارها.»

«سآخذكِ مباشرة إلى غرفة المبيت الخاص بنا. معي سيارة أجرة جاهزة خارجاً.»

«إنها نعمة أن تكوني هنا، بريسي. لو لم تكوني، أعتقد أنني سأجلس هنا على حقيبتيوأبكي بكاء مرا. كم هو منريحالوجه المألوف في صحراء صاخبة من الغرباء!»

«هل هذا جيلبرتبلايث هناك، آن؟ كم كبر عن العام الماضي! كان مجرد طالب في المدرسة عندما كنت أدرس في كارمودي. وبالطبع هذا تشارلي سلون. لم يتغير – لا يمكن! كان يبدو تمامًا كما كان عندما ولد، وسيظل كذلك عندما يبلغ من العمر ثمانين عامًا. هيا عزيزتي. سنكون في المنزلخلال عشرين دقيقة.»

«المنزل!» أنت آن. «تعنين سنكون في مبيت سكني فظيع، في غرفة نوم على الممر الأكثر رهبة، تطل على فناء خلفي متسخ.»

«ليس مبيتا سكنيا فظيعا، آن. ها هي سيارتنا. اركبي – سيقوم السائق بجلب حقيبتك. أوه، نعم، المبيت – إنه في الحقيقة مكان فريد جدًا من نوعه، كما ستعترفين صباح الغد عندما يحول تأثير ليلة من النوم الجيداللون الأزرق الداكن لديك إلى اللون الوردي.

إنـه منـزل كبيـر من الطـراز القديم والرمادي على شـارع سـانت جون، على بُعد خطوات من ريدموند. كان يسـتخدم في السـابق كـ «إقامة» للأشـخاص العظماء، ولكن الموضة قد هجرت شـارع سـانت جـون. ومنازلـه الآن تحلم فقط بتلك الأيـام من الماضي. إنها منازل كبيرة جدًا بحيث يتعين على الأشخاص الذين يعيشون فيهـا أن يسـتأجروها فقـط لمـلء الفـراغ. علـى الأقـل، هذا هو السـبب الـذي تحاول أن تؤكد عليه السـيدات اللواتـي أجرن لنا. إنهنلطيفات يا آن، أعني سيدات المنزل،.»

«كم عددهن؟»

«اثنتان. الآنسـة هانا هارفي والآنسـة أدا هارفي. وُلِدتا كتوأم قبل حوالي خمسين عامًا.»

«يبدو أنني لا أستطيع الابتعاد عن التوائم» ابتسمت آن. «أينما ذهبت يواجهني توأم.»

«أوه، ليسـتا توأمين الآن، عزيزتي. بعد أن بلغتا سـن الثلاثين، لم تعودا توأمين مرة أخرى. الآنسة هانا قد شاخت بشكل عجيب وغيـر جميـل، والآنسـة أدا ظلـت فـي الثلاثين، ولكن بشـكل أقل أناقـة. لا أعلـم مـا إذا كانـت الآنسـة هانـا يمكنهـا أن تبتسـم أم لا؛ لـم ألتقطهـا تفعـل ذلـك حتـى الآن، ولكن الآنسـة أدا تبتسـم طوال الوقت وهذا أمر أسـوأ. ومع ذلك، إنهما طيبتان، وتؤجران غرفتيـن كل عـام لأن روح الاقتصـاد فـي الآنسـة هانـا لا يتحمل إهدار مسـاحة الغرف» – وليـس لأنهمامحتاجتان أو مضطرتان، كما قالت لي الآنسة أدا سبع مرات منذ ليلة السبت. أما بالنسبة لغرفنـا، فإننـي أعترف أنها غرف نوم علـى الممر، وتطل غرفتي بالفعل على الفناء الخلفي. أما غرفتك، فهي في الجهة الأمامية وتطل على مقبرة سانت جون القديمة، التي تقع عبر الشارع.»

«هذا يبدو مرعبًا،» قالت آن وهي ترتجف. «أعتقد أنني أفضل أن يكون لدي منظر الفناء الخلفي.»

«أوه، لا، لن تفضلي ذلك. انتظري وانظري. مقبرة سانت جون القديمة مكان جميل. لقد كانت مقبرة منذ فترة طويلة بحيث توقفت عن أن تكون كذلك وأصبحت واحدة من معالم كينجسبورت. لقد كنت هناك أمس للترفيه. هناك جدار حجري كبير وصف من الأشجار الضخمة حوله، وأحجار قبر غريبة الشكل، بتصميم طريف. ستذهبين هناك للدراسة، آن، أتحداكي إن لم تفعلي. بالطبع، لا يدفن هناك أحد الآن. ولكن قبل بضع سنوات وضعوا نصبًا جميلاً تكريمًا لذكرى جنود نوفا سكوتيا الذين سقطوا في حرب القرم. إنه قبالة بوابات الدخول وهناك «مجال للتخيل» فيه، كما كنتِ تقولين. ها هي حقيبتكِ أخيرًا – والولدان قادمان ليقولا تصبحان على خير. هل يجب علي أن أصافح تشارلي سلون حقًا، آن؟ يداه دائمًا باردة وتشعر وكأنها سمكية. يجب أن نطلب منهما أن يتصلا بشكل منتظم. الآنسة هانا قالت لي بجدية أنه يسمح بأن يزورنا شبّان مرتين في الأسبوع، إذا رحلا في وقت معقول؛ والآنسة أدا طلبت مني بابتسامةالتأكد من ألا يجلسوا على وسائدها الجميلة. وعدتها بذلك؛ ولكن الله وحده يعلم أين يمكن لهم أن يجلسوا، إلا إذا جلسوا على الأرض، لأن هناك وسائد في كل مكان. فالآنسة أدا لديها وسادة باتنبرغحتى على البيانو.»

ضحكت آن في هذا الوقت. كانت الثرثرة المرحة لبريسيلاتحقق التأثير المقصود في رفع معنوياتها؛ اختفى الحنين إلى الوطن في تلك اللحظة، ولم تعد تريد العودة حتى عندما وجدت نفسها أخيرًا وحيدة في غرفتها الصغيرة. ذهبت إلى نافذتها ونظرت

إلـى الخـارج. الشـارع كان خافتًا وهادئًا. وعبره، كان القمر يشـع فـوق الأشـجار في سـانت جـون القديمة، مباشـرة خلـف الرأس الكبير المظلمة للأسـد على النصب التذكاري. تسـاءلت آن عما إذا كان كانـت قدتركت البـراري الخضراءفي ذلك الصباح فقط. كان لديها إحساس بمرور وقت طويل على سفرها.

«أعتقـد أن هـذا القمـر نفسـه ينظـر إلـى البـراري الخضراء الآن،» فكرت. «لكنني لن أفكر في ذلك - إذاً هذا هو الحنين إلى الوطن. لن أحتاج حتى إلى بكاء جيد. سأؤجل ذلك إلى وقت أكثر ملائمة، والآن سأذهب براحة وعقلانية للنوم.»

الفصل الرابع
سيدة إبريل

كينغسبورت هي بلدة قديمة جميلة، تعود إلى أيام الاستعمار الأولى مما يبرر طرازها العتيق، إذ تبدو كشخصية سيدة عجوز في ملابس تشبه تلك التي كانت ترتديها في شبابها. هنا وهناك، تنمو باتجاه الحداثة، ولكن في قلبها لا تزال غير مدنسة؛ إنها مليئة بالآثار الفضولية وتحيطها أساطير كثيرة من الماضي. في السابق كانت محطة حدودية فقط على حافة البرية، وتلك كانت الأيام التي حافظ فيها الهنود على تنوع حياة المستوطنين. ثم نمت لتصبح محل خلاف بين البريطانيين والفرنسيين، حيث كانت يحتلها هؤلاء تارة وحتلها هؤلاء طورا، وكانت تظهر بعد كل احتلال بندبة جديدة من ندوب الأمم المتقاتلة.

كانت تحتوي على برج مارتيلو في حديقتها يوقّع عليه السياح، وقلعة فرنسية قديمة مهدمة على التلال خارج المدينة، وعدة مدافع عتيقة في ساحاتها العامة. وتحتوي على أماكن تاريخية أخرى يمكن البحث عنها من قبل الفضوليين، ولكن لا شيء أكثر غرابة وجمالاً من مقبرة سانت جون القديمة في قلب المدينة، وقد امتلأت الشوارع على الجانبين بالمنازل العتيقة الهادئة ،وامتدت الشوارع الحديثة حيوية على طول شوارع أخرى. يشعر

كل مواطن في كينغسبورت بإثارة الفخر الملكي في سانت جون القديمة، إذ يرقدأحد أسلافهم هناك، مع لوحة مائلة وملتوية عند رأسه، أو ممتدة كحمايةً فوق القبر، حيث يتم تسجيل جميع الحقائق الرئيسية لتاريخه. في معظم الأحيان، لم تكن هناك مهارة أو فن كبير يستخدم في تشييد تلك القبور القديمة. إذ يبنىمعظمها من الحجر المحلي البني أو الرمادي، وفي حالات قليلة فقط تكون هناك أي محاولة للزينة. يتم تزيين بعض القبور بجمجمة وعظام. وقد تهالكت معظم القبور والشواهد وعبث الزمن بها حتى أن بعض النقوش قد تم حذفها تمامًا، ويمكن فهم البعض الآخر بصعوبة. تبدو المقبرة مكتظة جدًا ومعانقة للأشجار، حيث تحيط بها أشجار الصفصاف المتشابكة حيث يستلقي تحت ظلالها النائمون بلا أحلام، تُنشدالرياح والأوراق فوقهمإلى الأبد، فلا يضطربون على الإطلاق بصخب المرور في الخلف.

أخذت آن جولة في العديد من الأماكن في سانت جون القديمة في اليوم التالي بعد الظهر. كانت هي وبريسيلا قد ذهبتا إلى ريدموند في الصباح، وسجلتا كطالبتين، وبعد ذلك لم يكن هناك شيء آخر يجب عليهما فعله ففرّتا بسرور من حشود الغرباء، الذين كان معظمهم يحمل مظهرًا غريبًا إلى حد ما.

فقد وقفت «الطالبات الجديدات» في مجموعات منفصلة تتكون من اثنتين أو ثلاثة، يلقين نظرات حذرة نحو بعضهن. أما «الطلاب الجدد»، أذكياء عصرهم، فقد تجمعوا معًا على سلم الدخول الكبير، حيث كانوا يصدحون بالأهازيج بكل حيوية من رئتيهم الشابتين، كنوع من تحدٍ لأعدائهم التقليديين، الذين كانوا يتجولون بسخرية من «الأشباح الصغيرة» على السلالم. بينما لم

يظهر غيلبرت وتشارلي في أي مكان.

«لم أكن أظن أنيأتي يوم سـأكون فيه مسـرورة برؤية سـلوان»، قالـت بريسـيلا وهمـا يعبران الحـرم الجامعي، «لكنني سـأرحب بعيون تشارلي تلك بشكل مُلهِم تقريبًا. على الأقل، ستكون عيونًا مألوفة.»

«آه»، تنهدت آن. «لا أستطيع وصف كيف شعروري عندما كنت هناك، في انتظار دوري للتسجيل –كنت ضئيلة مثل قطرة صغيرة في دلو ضخم للغاية. من السـيء كفاية أن تشـعر بالضآلة، ولكنه لا يُحتمـل أن يكـون محفـورا فـي روحـك أنك لن تكـون ولا يمكن أن تكون أبدًا، شـيئًا سـوى شـخصا ضئيلا، وهكذا شعرت – كما لـو كنـت غير مرئيـة للعين المجـردة وأن بعض هـؤلاء الطلبة قد يدوسـونني. كنت أعلم أنني سـأذهب إلى قبر غير مبكي عليه، لا مكرمة له، ولا أحد يرثيه.»

«انتظري حتى العام القادم»، عزتها بريسـيلا. «حينها سـنكون قادرين على التكبر والتكلف مثل أي طالب قديم. لا شـك أنه من المـروع أن تشـعر بالضآلـة، ولكـن أعتقد أنه أفضل من الشـعور بالكبـر والضخامـة كما شـعرتلأنني كنت أطول بمقـدار بوصتين مـن أي شـخص آخـر في الحشـد. لم أكـن خائفة من أن يمشـي فوقـي طالب صاعد؛ كنـت خائفة من أن يخالوني فيلا أونموذجا متضخم لأحد سكان جزيرة آكلي بالبطاطس.»

«أظـن أن المشـكلة هـي أننـا لا نسـتطيع أن نسـامح ريدموند الكبيـرة لأنها ليسـت مثـل الجامعة الملكية الصغيـرة»، قالت آن، وقد جمعت حولها شظايا فلسفتها المرحة القديمة لتغطية عري روحهـا. «عندما غادرنا الجامعة الملكية، كنا نعرف الجميع وكان لدينـا مـكان خـاص بنا. أظن أننا كنا نتوقع بلا وعي أن نسـتأنف

الحيـاة فـي ريدمونـد من حيث تركناهـا هناك، والآن نشـعر كما لـو أن الأرض قـد مـادت من تحت أقدامنا. أنا ممتنة أن السـيدة لينـد أو السـيدة إليشـارايت لا تعرفـان، ولـن تعرفا أبـدًا، حالتي الحالية. لكانتا ستتفاخران بالقول «لقد قلت لكم ذلك» وستكونان مقتنعتين بأنه كان بداية النهاية. بينما هو ببساطة نهاية البداية.»

«بالضبـط. بعـد قليل سـنكون قد تكيفنا مـع محيطنا الجديد وتعرفنـا علـى الأشـخاص، وكل شـيء سـيكون على ما يـرام. آن، هـل لاحظـت الفتـاة التـي وقفت وحدها خـارج باب غرفـة تغيير الملابـس للفتيـات طـوال الصبـاح - الجميلة ذات العيـون البنية والفم المائل؟»

«نعم. لاحظتها بشـكل خاص لأنهـا بدت الكائن الوحيد هناك الـذي بـدا وحيـدًا وبـدون أصدقـاء كما شـعرت. كان لديـك أنا، ولكنها لم يكن لديها أحد.»

«أعتقـد أنهـا شـعرت بالوحـدة أيضًا. رأيتها تقـوم عدة مرات بحركـة كأنهـا سـتعبر إلينـا، ولكنهـا لم تفعـل ذلك - ربمـا كانت خجولة. كنت أتمنى أن تأتي. إذا لم أكن أشعر بما ذكرته سابقًا، لكنـت قد ذهبت إليها. ولكن لم أسـتطع السـير عبـر تلك القاعة الكبيرة مع كل أولئك الفتيان يصرخون على السلالم. كانت أجمل مـا رأيتـه اليوم، ولكـن ربما يكـون الجمال خادعًا وحتـى الجمال باطل في أول يوم لك في ريدموند»، اختتمت بريسيلا بضحكة.

«سـأذهب إلى سـانت جون القديمة بعد الغداء»، قالت آن. «لا أعرف ما إذا كانت المقبرة مكانًا جيدًا أقصده لأشعر بالسعادة، ولكـن يبـدو أنـه المـكان الوحيد الـذي يمكن الوصـول إليه حيث يوجد أشـجار، وأحتاج إلى الأشـجار. سـأجلس علـى إحدى تلك اللوحات القديمة وأغلق عيني وأتخيل أنني في غابات آفونليا.»

ولكـن آن لـم تفعـل ذلك، لأنها وجدت ما يكفـي من المثير في سـانت جـون القديمة لتبقـي عينيها مفتوحتيـن. دخلتا من خلال بوابـة الدخـول، ثم القـوس الصخري الـذي يتوجه أسـد إنجلترا العظيم.

«وفي إينكيرمان لا يزال العليق البري ملطخا بالدماء،

وتلـك المرتفاعـات المزهـرة سـتكون فيمـا بعد مشـهورة في القصة،»

نقلـت آن، نظرهـا إليها بإثارة. وجدا نفسـيهما في مكان بارد وأخضـر مظلـم حيـث كانـت تعـزف فيها الريـاح. تجـولا صعودًا وهبوطًـا فـي الممرات الطويلة المُعشّـبة، تقرآنالنقـوش العجيبة والوفيرة، المنحوتة في عصر كان فيه المزيد من الوقت أكثر من العصور الحالية.

«هنا يرقد جسـد ألبرت كرافورد، السيد،» قرأت آن من لوحة رماديـة مهترئـة، «لسـنوات عديـدة كان حـارس أرسـنال صاحب السـمو الملكـي فـي كينغسـبورت. خدم فـي الجيش حتى سـلام ١٧٦٣، حينما اعتزل بسـبب سـوء صحته. كان ضابطًا شـجاعًا، أفضـل الأزواج، أفضـل الآبـاء، أفضـل الأصدقـاء. توفـي في ٢٩ أكتوبـر، ١٧٩٢، عـن عمر يناهز ٨٤ عامًا.» إليك هذه يا بريسـي. بالتأكيـد يوجـد فيهـا «مجـال للخيـال». كـم كانـت حياتـه مليئـة بالمغامـرات! وفيما يتعلق بصفاته الشـخصية، أنا متأكدة من أن الثناء البشري لا يمكن أن يذهب بعيدًا أكثر من ذلك. أتساءل إذا كانوا قد قالوا له إنه كان كل هذه الأشياء الرائعة أثناء حياته.»

«وهـا هـي أخـرى»، قالـت بريسـيلا. «اسـتمعي «إلـى ذكـرى الكسـندر روس، الـذي توفـي فـي ٢٢ سـبتمبر، ١٨٤٠، عـن عمر يناهز ٤٣ عامًا. تم تشييدها كتكريم لمدى الإخلاص للذي خدمه

بإخلاص لمدة ٢٧ عامًا حتى اعتبر صديقًا يستحق الثقة والتعلق الكامل.»

«نقوش جيدة جدًا»، علقت آن بتأمل. «لا أتمنى أفضل من ذلك. نحن جميعًا خدم لشيء ما، وإذا كان يمكن كتابة حقيقة أننا كنا مخلصين لاحقا على قبرنا، فلن يكون هناك حاجة إلى إضافة شيء آخر. وها هو حجر رمادي صغير حزين، بريسي - «إلى ذكرى الطفل المفضل.» وها هو آخر «تم إقامته تكريمًا لذاكرة من دفن في مكان آخر.» أتساءل أين تكمن تلك القبور المجهولة. حقًا، بريس، مقابر اليوم لن تكون أبدًا مثيرة مثل هذه. كنت على حق - سآتي إلى هنا كثيرًا. أحببتها بالفعل. أرى أننا لسنا وحيدين هنا - هناك فتاة في نهاية هذا الطريق.»

«نعم، وأعتقد أنها نفس الفتاة التي رأيناها في ريدموند هذا الصباح. لقد كنت أراقبها لمدة خمس دقائق. لقد بدأت في الصعود إلى الطريق تمامًا ست من المرات، وست قفلت فيهم راجعة. إما أنها خجولة للغاية أو أن لديها عبء على ضميرها. لنذهب ونلتقي بها. من الأسهل التعرف في المقبرة من أن يكون في ريدموند، أعتقد.»

سارا عبر الممر العشبي الطويل نحو الغريبة، التي كانت جالسة على لوح رمادي تحت صفصافة ضخمة. كانت بالتأكيد جميلة جدًا، بنوع من الجمال الفاتن وغيرالمألوف. كان هناك لمعان كبني الجوز على شعرها الناعم والحريري، وتوهج ناعم وناضج على خديها المستديرين. كانت عيناها كبيرتين وبنيتين مخمليتين، تحت حاجبين سوداوين مدببين بشكل غريب، وفمها المائل كان أحمرا ورديا. كانت ترتدي بدلة بنية ذكية، مع حذاءين صغيرين جدًا عصريين يظهران من تحتها؛ وكانت قبعتها من قش

وردي غامـق، مزينـة بزهـور الخشـخاش البني الذهبـي تبدو من صنع فنّان قبعات. شعرت بريسيلابلدغة وعي فجائية بأن قبعتها قد تم تزيينها بواسـطة صانع قبعات متجر قريتها، وتسـاءلت آن بشـكل غيـر مريـح إذا كانت البلـوزة التي صنعتها بنفسـها، والتي صممتهـا السـيدة لينـد، تبدو ريفية جـدًا ومصنوعة فـي المنزل بجانب زي الغريبة. لحظة وجدت الفتاتان نفسـيهما كما لو كانتا على وشك العودة.

ولكنهما قد توقفتا بالفعل وكان من المتأخر جدًا الانسـحاب، لأن الفتاة ذات العيون البنية بدا واضحًا أنها قد استنتجت أنهما قادمتـان للتحـدث معهـا. فـي الحـال قفـزت فـورًا وتقدمـت بيد ممدودة وابتسامة سعيدة وودية لا يظهر عليها أي ظل من الخجل أو الضمير المضطرب.

«أوه، أريـد أن أعـرف مـن همـا هاتـان الفتاتـان»، صاحـت بحمـاس. «كنـت متوقعة أن أتعرف عليكمـا. رأيتكما في ريدموند هـذا الصبـاح. قولا، ألم يكن ذلـك رهيبًا ؟ في تلك اللحظة، كنت أتمنى لو أنني بقيت في المنزل وتزوجت.»

ضحكت آن وبريسيلا بحرية لدى وصولها إلى هذا الاستنتاج غير المتوقع. وضحكت الفتاة ذات العيون البنية أيضًا.

«حقًـا فعلـت، يمكنني ذلك، أتعلمان. هيا، دعونا نجلس جميعًا علـى هـذا القبـر ونتعـرف. لن يكـون الأمـر صعبًا. أنـا أعلم أننا سـنحب بعضنـا البعـض – كنـت أعلـم ذلك فـور رؤيتـي لكما في ريدمونـد هـذا الصباح. كنـت أرغب كثيرًا في أن أذهب مباشـرة وأعانقكما.»

«لماذا لم تفعلي ذلك؟» سألت بريسيلا.

«لأنني ببساطة لم أستطع اتخاذ قراري بفعل ذلك. أنا لا أستطيع أبدًا اتخاذ قرار بشأن أي شيء بنفسي – دائماً ما أعاني من قلة الحسم. فور أن أقرر فعل شيء، أشعر في أعماقي أن طريقًا آخر سيكون الصحيح. إنها لنكبة فظيعة، ولكنني ولدت بهذه الطريقة، ولا يوجد فائدة من اللوم علي، كما يفعل بعض الأشخاص. لذا لم أستطع اتخاذ قرار بالتحدث إليكما، بقدر ما أردت.»

«اعتقدنا أنك كنتِ خجولة جدًا»، قالت آن.

«لا، لا، عزيزتي. الخجل ليس ضمن نقاط ضعف أوفضائللفيليبا جوردن – فيل للاختصار. نادياني فيل من البداية. الآن، ما هي ألقابكم؟»

«إنها بريسيلا جرانت»، قالت آن، مشيرة.

«وهي آن شيرلي»، قالت بريسيلا، مشيرة بدورها.

«ونحن من الجزيرة»، قالتا معًا.

«أنا من بولينغبروك، نوفا سكوشيا»، قالت فيليبا.

«بولينغبروك!» صرخت آن. «هذا هو المكان الذي وُلِدتُ فيه.»

«هل تقصدين ذلك حقًا؟ لميجعلك هذا تنفعلين هكذا.»

«لا، لا يجعلني. أليس دان أوكونيل من قال أنه إذا وُلدَ الإنسان في إسطبل لا يجعله ذلك حصانًا؟ أنا بنت الجزيرة حتى النخاع.»

«حسنًا، أنا سعيدة بأنكِ وُلدتِ في بولينغبروك على أية حال. يجعلنا ذلك نوعًا من الجيران، أليس كذلك؟ وأنا أحب ذلك، لأنه عندما أخبرك بالأسرار، لن يكون كما لو كنت أخبرها لغريب. يجب أن أخبرك بها. لا يمكنني الحفاظ على الأسرار – لا يوجد فائدة من محاولة ذلك. هذا هو أسوأ عيب لي – ذلك، والتردد أيضا، كما ذُكِر. هل تصدقين؟ – استغرق مني نصف ساعة

لاتخاذ قرار حول أي قبعة سأرتديها عندما كنت قادمة هنا، إلى المقبرة! في البداية، ملت إلى القبعة البنية مع الريشة؛ ولكن بمجرد أن وضعتها على رأسي، اعتقدت أن هذه القبعة الوردية ستكون أجمل. وعندما وضعتها أحببت القبعة البنية أكثر. أخيرًا، وضعتهما قريبين على السرير، أغلقت عينيّ وطعنت بواسطة دبوس قبعة. الدبوس اخترق القبعة الوردية، لذا وضعتها. هل هي تتناسب، أليس كذلك؟ قولا لي، ما رأيكما في مظهري؟»

في مواجهة هذا الطلب الساذج، الذي تم بطريقة جادة تمامًا، ضحكت بريسيلا مرة أخرى. ولكن آن قالت، مضغوطة بشكل مفاجئ لفيليبا، «كنا نعتقد هذا الصباح أنك كنت الفتاة الأجمل التي رأيناها في ريدموند.» فانعطف فم فيليبا بابتسامة ساحرة وملتوية فوق أسنان بيضاء صغيرة جدًا. «كنت أعتقد ذلك أيضا»، كان كلامها المدهش التالي، «لكنني أردت رأيًا آخر لدعم رأيي. لا أستطيع أن أقرر حتى بشأن مظهري الخاص. بمجرد أن أقرر أنني جميلة، أبدأ في الشعور بأنني لست كذلك. بالإضافة إلى ذلك، لدي عمة كبيرة فظيعة تقول لي دائمًا، بتنهيدة حزينة، «كنت طفلة جميلة. من الغريب كيف يتغير الأطفال عندما يكبرون.» أعشق العمات، لكنني أكره العمات الكبيرات. من فضلك، قولي لي كثيرًا أنني جميلة، إذا لم يكن لديك مانع. أشعر براحة أكبر عندما أستطيع أن أعتقد أنني جميلة. وسأكون ممتنة تمامًا لك إذا كنتِ ترغبين في ذلك – يمكنني فعل ذلك بضميرمرتاح.» «شكرًا»، ضحكت آن، «لكن بريسيلا وأنا مقتنعتان تمامًا بجمالنا الخاص حتى أننا لا نحتاج إلى أي تأكيد حوله، لذا لا داعي للقلق.» «آه، أنتما تضحكان عليّ. أعلم أنكما تعتقدان أنني مغرورة بشكل فظيع، ولكنني لست كذلك. حقًا، ليس هناك شرارة واحدة

من الغرور في داخلي. وأنا لست قلقة قط من تقديم الإطراءات للفتيات الأخريات عندما يستحقينها. أنا سعيدة للغاية بأني أعرفكما. جئت يوم السبت وقد عذبني الحنين إلى البيت منذ ذلك الحين. إنه شعور فظيع، أليس كذلك؟ في بولينغبروك، أنا شخصية هامة، وفي كينغسبورت، أنا لا أحد! كانت هناك لحظات كنت أشعر فيها بأن روحي تختنق. أين تقيمان؟» «ثمانية وثلاثون شارع سانت جونز.»

«هذا أفضل، أنا فقط في الزاوية على شارع والاس. لا أحب المبيت الخاص بي، رغم ذلك. إنه مظلم وموحش، وتطل غرفتي على الفناء الخلفي. إنه أبشع مكان في العالم. أما بالنسبة للقطط – حسنًا، بالتأكيد لا يمكن أن تجتمع جميع قطط كينغسبورت هناك في الليل، ولكن يجب أن تكون نصفها هناك. أعشق القطط وهي تغفو على السجاد أمام نيران الحطب اللطيفة والودية، ولكن القطط في الفناء الخلفي في منتصف الليل هي حيوانات مختلفة تمامًا. في الليلة الأولى، بكيت طوال الليل. كما تمنيت أنني لم أترك البيت أبدًا!»

«لا أعرف كيف تمكنتِ من اتخاذ قرار القدوم إلى ريدموند على الإطلاق، إذا كنتِ حقًا شخصًا غير حاسم»، قالت بريسيلا بدهشة.

«عزيزتي، لم أكن أنا. كان أبي هو الذي أرادني أن آتي إلى هنا. كان قلبه يتوق إلى ذلك – لماذا، لا أعرف. يبدو أنه أمر سخيف تمامًا أن أفكر في دراسة لنيل درجة البكالوريوس في الفنون، أليس كذلك؟ ليس أنني لا أستطيع القيام بذلك، بالتأكيد. لدي عقل ذكي.»

«آه!»، قالت بريسيلا بشكل غامض.

«نعم، ولكن استخدامهشاق. فكل الحاملين لدرجة البكالوريوس هـم مخلوقـات متعلمة وجديرة وحكيمة وجـادة –و يجب أن تكون كذلـك. لا، لـم أكـن أرغـب في القـدوم إلى ريدمونـد. فعلت ذلك فقـط لإرضـاء والـدي. بالإضافة إلـى ذلك، كنت أعلـم إذا بقيت فـي المنـزل، كان علـي أن أتـزوج. كانت أمي تريـد ذلك – أرادت ذلك بشكل واضح. لديها الكثير من السلطة. ولكنني حقًا كرهت فكـرة الـزواج علـى الأقل لبضع سـنوات أخرى. أريد أن أسـتمتع كثيـرًا قبـل أن أسـتقر. وكما هـي سـخيفة فكـرة أن أكون حاصلة علـى درجـة البكالوريوس، فإن فكرة أن أكون امرأة متزوجة كبيرة في السن أكثر سخافة، أليس كذلك؟ أنا في الثامنة عشرة فقط. لذا، اسـتنتجت أنني أفضل القدوم إلى ريدموند بدلاً من الزواج. بالإضافـة إلـى ذلك، كيف يمكنني أن أتخذ قرارًا بشـأن أي رجل للزواج؟»

«هل كان هناك الكثير؟» ضحكت آن.

«هنـاك. فتيـان يحبوننـي كثيرًا – هم حقًا كذلـك. ولكن اثنين منهمـا فقـط كانـا ذوا أهميـة. كان الباقون صغارًا وفقـراءً جدًا. يجب أن أتزوج رجلا ثري، تعلمين ذلك.»

«لماذا يجب عليكِ؟»

«عزيزتي، لا يمكنك أن تتخيليني أن تكوني زوجة لرجل فقير، أليـس كذلـك؟ لا أسـتطيع فعل شـيء مفيد، وأنا مسـرفة للغاية. أوه، يجب أن يكون لزوجي أموال كثيرة. لذلك، انحصرا في اثنين فقـط. لكننـي لـم أسـتطع أن أقـرر بينهما بسـهولة أكبـر من بين مائتين. كنت أعرف تمامًا أنه مهما اخترت، سأندم طوال حياتي على أنني لم أتزوج الآخر.»

«ألـم تحبـي أحدهمـا؟» سـألت آن بقليل مـن التـردد. لم يكن مستسـاغا بالنسـبة لهـا التحدث إلى غريبة عـن الغموض الكبير وتحول الحياة.

« لا. لا يمكننـي أن أحـب أي شـخص. ليـس فـي طبيعتـي. بالإضافة إلى أنني لا أريد ذلك. أن تكوني في حالة حب يجعلك عبـدًا تمامًـا، أعتقد. وسـيمنح الرجـل قدرة كبيرة علـى إيذائك. سـأكون خائفة. لا، لا، أليك وآلونزو هما صبيان طيبان، وأحبهما كليهما كثيرًا حتى لا أعلم حقًا أيهما أحب أكثر. هذا هو المشكل. أليـك هـو الأجمـل بالطبع، ولا أسـتطيع ببسـاطة أن أتزوج رجلاً ليـس وسـيمًا. إنـه ذو مزاج جيد أيضًا، ولديه شـعر أسـود جميل ومجعـد. إنـه مثالـي إلى حـد مـا – لا أعتقد أنني سـأحب زوجًا مثاليًا – شخص لا يمكنني أبدًا أن أجد به عيبًا.»

«إذن، لماذا لا تتزوجين آلونزو؟» سألت بريسيلا بجدية.

«تخيلي الزواج باسم مثل آلونزو!» قالت فيل بحزن. «لا أعتقد أننـي سـأتحمل ذلـك. ولكـن لديـه أنف كلاسـيكي، وسـيكون من المريـح أن يكـون هنـاك أنف في العائلة يمكـن الاعتماد عليه. لا يمكنني الاعتماد على أنفي. حتى الآن، يتبع نمط جوردن، ولكني خائفـة جـدًا أن يظهر لديه ميل نحو خصائص بيرن عندما أكبر. أنا أفحصه كل يوم بقلق للتأكد من أنه لا يزال جوردن. الأم كانت بيـرن ولديهـا أنـف بيـرن إلى أقصـى درجة. انتظـري حتى تريه. أعشق الأنوف الجميلة. أنفك جميل جدًا، آن شيرلي. أنف آلونزو كاد يحسم الأمور لصالحه. ولكن آلونزو! لا، لم أستطع أن أقرر. إذا كنت قد فعلت كما فعلت مع القبعات – وأقفتهما معًا، وأغلقت عيني، وطعنت بدبوس قبعة – كان سيكون أمرًا سهلاً.»

«ماذا شعر آليك وآلونزو عندما رحلتِ؟» سألت بريسيلا.

«أوه، لا يـزالان لديهمـا أمل. قلت لهما أنهما سـيضطران إلى الانتظـار حتـى أسـتطيع أن أتخـذ قـراري. هما مسـتعدان تمامًا للانتظـار. هما يعشـقانني. في هـذه الأثناء، أنا أنوي قضاء وقت ممتع. أتوقع أنه سـيكون لدي الكثير من العشـاق في ريدموند. لا أسـتطيع أن أكـون سـعيدة إلا إذا كان لدي. ولكـن أليس الطلاب الجـدد مروعيـن بشـكل فظيـع؟ رأيـت فقط واحـدًا حقًا وسـيمًا بينهـم. رحل قبل أن تأتيا. سـمعت صديقه يناديـه بأنه جيلبرت. صديقه كان لديه عيون تبرز بهذا القدر. ولكنكِ لسـتما ذاهبتين بعد، يا فتيات؟ لا تذهبا بعد.»

«أعتقـد أنه يجب علينـا ذلك،» قالت آن ببرود. «الوقت أصبح متأخرًا، ولدي بعض العمل للقيام به.»

«ولكنكمـا سـتأتيان لرؤيتـي، أليـس كذلـك؟» سـألت فيليبـا، وهي تنهض وتضع ذراعًا حول كل واحدة. «واسـمحا لي بأن أتي لرؤيتكمـا. أرغـب في أن أكون صديقة مقربـة لكما. لقد أعجبت بكما كثيرًا. ولم أكسـر تمامًا مزاجكما بسـبب سـطحيتي، أليس كذلك؟»

«ليس تمامًا»، ضحكت آن.

« لسـتُ بالسـذاجة التي تظهر على السـطح. كل ما عليكِ هو أن تقبلـي فيليبـا جـوردن، كما خلقهـا الله، بكل عيوبهـا، وأعتقد أنكما ستحبانها. أليست هذه المقبرة مكانًا جميلًا؟ أود أن أدفن هنـا. هنـاك قبـر لم أره مـن قبل –هناك في السـياج الحديدي – يـا فتيـات، انظـرا، الحجر يقول إنه قبر ضابـط بحري توفي في معركة بين شانون وتشيسابيك. أمر رائع!»

توقفت آن قرب السياج ونظرت إلى الحجر المهترئ، ونبضاتها ترتفع بإثارة فجأة. اختفت المقبرة القديمة، مع أشجارها الشاهقة وممراتها الطويلة من أمامها. بدلاً من ذلك، رأت ميناء كينغسبورت منذ قرن تقريبًا. خرجت ببطء بارجة حربية كبيرة، متألقة بـ «علم إنجلترا اللامع». تتبعها أخرى، مع جسم بطولي هادئ، ملفوف في علمه الخاص وملقى على السطح -إنه البطل لورنس. أصبح إصبع الزمن يعيد صفحات التاريخ إلى الوراء، زمن أبحرت شانون بانتصار على الخليج مع تشيسابيك كجائزة لها.

«عُودِي، آن شيرلي - عُودِي،» ضحكت فيليبا وهي تسحب ذراعها. «أنتِ على بُعد مائة عام هنا. عُودي.»

عادت آن مطلقة زفرة، وعيونها تتألق برقة.

«لقد أحببتُ هذه القصة القديمة دائمًا»، قالت، «وعلى الرغم من أن الإنجليز فازوا في ذلك الانتصار، أعتقد أنه كان بسبب القائد الشجاع الذي تمت هزيمته. يبدو أن هذا القبر يجلبها إلى الواقع ويجعلها حقيقية. كان هذا الفتى الصغير الفقير في الثامنة عشرة. ونقرأ هنا أنه «توفي بسبب الجروح التي تلقاها في عمل بطولي»،. إنه ما يتمناها كل جندي.»

قبل أن تعود آن أدراجها، قامت بإزالة زهرة البنفسج الصغيرة التي كانت ترتديها وأسقطتها برفق على قبر الفتى الذي فارق الحياة في المعركة البحرية الكبيرة.

«حسنًا، ما رأيك في صديقتنا الجديدة؟» سألت بريسيلا عندما غادرتهم فيل.

«أنا أحببتها. هناك شيء محبب في شخصيتها، على الرغم من كل هذه السخرية. أعتقد، كما تقول بنفسها، ليست غبية كما

تبدو. إنها طفلة رائعة وجذابة – وأنا لا أعلم ما إذا كانت ستكبر حقًا.»

«أنـا أحببتها أيضًا»، قالت بريسـيلا بتحديد. «ولكنها تتحدث كثيرًا عن الأولاد تمامًا كما تفعل روبي جيليس. وقد كان دائمًا ما يثيرني الغضب أو أشـعر بالاشـمئزاز عند سـماع روبي، في حين أنني فقط أرغب في الضحك بلطف عندما أسمع فيل. الآن، ما هو السبب في ذلك؟»

«هنـاك فـرق»، قالـت آن بتأمـل. «أعتقـد أن السـبب في ذلك هـو أن روبـي حقًا واعية للغاية بتأثيرها علـى الفتيان. إنها تلعب دور الحـب والإغـواء. بالإضافـة إلـى ذلـك، كانت تحـاول عندما تتفاخر بعشاقها أن تشعرك أنك لا تملكين نصفهم. الآن، عندما تتحدث فيل عن أصدقائها الفتيان، يبدو كأنها تتحدث عن رفاق. إنهـا تنظـر حقًا إلى الفتيان كزملاء جيدين، وتسـرّ عندما يتبعها العديـد منهـم، ببسـاطة لأنها تحـب أن تُعتبر شـخصًا اجتماعيا. حتـى أليكـس وآلونـزو – لـن أكون قـادرة على التفكيـر في هذين الاسمين بشكل منفصل بعد هذا – هما لها مجرد زميلين يرغبان فـي اللعـب معهـا طـوال حياتهـم. أنا سـعيدة لأننا قابلناهـا، وأنا سـعيدة لأننا ذهبنا إلى سانت جون القديمة. أعتقد أنني غرست جزءًا صغيرًا من روحي في تربة كينغسـبورت هذا المسـاء. آمل ذلك. أكره أن أشعر بأنني تم نقلي.»

الفصل الخامس
رسائل من البيت

على مدار الأسابيع الثلاثة التالية، استمرت آن وبريسيلا في الشعور بأنهما كالغرباء في أرض غريبة. ثم، فجأة، بدا كل شيء وكأنه يصبح متناغما - ريدموند، الأساتذة، الفصول الدراسية، الطلاب، الدراسات، الأحداث الاجتماعية. أصبحت الحياة متجانسة مرة أخرى، بدلاً من أن تكون مكونة من شظايا منفصلة. الطلاب الجدد، بدلاً من أن يكونوا مجموعة من الأفراد غير المتصلين، وجدوا أنفسهم فريقا بروح فريق، وصيحة فريق، ومصالح فريق وأحقاد فريق، وطموحات فريق. وقد فازوا ضد فئة الصف الثاني في مسابقة للفنون، وبالتالي اكتسبوا احترام جميع الفئات، ورأوا في أنفسهم قدرة هائلة وثقة. لثلاث سنوات متتالية، فازت فئة الصف الثاني في هذا التحدي؛ ورجح الانتصار في هذا العام لصالح الطلبة الجدد بفضل القيادة الاستراتيجية الرائعة لجيلبرت بليث، الذي نظم الحملة وابتكر تكتيكات جديدة مخصوصة، ألهبت حماس الطلاب. واختير كمكافأة لجهده رئيسًا لفصل الطلاب الجدد، وهو منصب شرفي ومسؤولية - على الأقل من وجهة نظر الطلاب الجدد - يتوق إليهما الكثيرون. وتمت

دعوتـه أيضًـا للانضمام إلى «الحمـلان» – اللامباثيتا، كما يطلق عليها السكان المحليون لامباثيتا – وهي تكريم نادر يُمنح للطالب الجديـد. وكجـزء من الاختبار التمهيدي، كان عليه أن يمشـي في شـوارع كينجسـبورت الرئيسـية طوال اليوم ويرتدي قبعة شـمس ومئـزرا واسـعا ومزخرفـة بنقوش زاهية. وقد فعل ذلك بسـعادة، وعندما التقى بسيدات يعرفهن، قام برفع قبعته بأناقة محترمة. وقال تشارلي سلون، الذي لم يُطلب منه الانضمام إلى الحملان، لآن: إنه لا يرى كيف يمكن لبلايث القيام بذلك، وأنه، بالنسبة له على الأقل، لن يستطيع أبدًا أن يذل نفسه هكذا.

«أتخيل تشـارلي سـلون بمئـزر «كاليكر» وقبعة «سـانبونيت»,» قالت بريسـيلا بابتسـامة. «سـيبدو تمامًا كجدته سلون القديمة. أمـا جيلبـرت، فيظهـر فيهم كرجـل بنفس القدر الـذي يظهر في ثيابه العادية.»

وجـدت آن وبريسـيلا نفسـيهما في قلـب الحيـاة الاجتماعية فـي ريدمونـد. وكان سـبب حدوث هذا الأمربسـرعة كبيرة يرجع جزئيـاً إلـى فيليبا جـوردون. فقد كانت ابنة رجـل ثري ومعروف، وكانت تنتمي إلى عائلة «بلونوز» العريقة والأصيلة. واجتماع هذه العوامـل، إلـى جانب جمالها وسـحرها – سـحر يعترف به جميع من يلتقون بها – فتح أبواب جميع الجماعات والأندية والصفوف فـي ريدمونـد أمامهاسـريعًا. وأينمـا ذهبـت فيليبـا، رافقتهـا آن وبريسـيلا أيضًـا. فقد أحبتهما وخاصـة آن. فهي روحًا مخلصة، خالية تمامًا من أي نوع من أنواع التكبر. بدا وكأن «أحبني، تحبّ أصدقائي» هو شـعارها غيـر الواعي. بدون جهد، أخذتهما معها إلـى دائرتها المتسـعة من المعارف، ووجـدت الفتاتان من أفونلي طريقهمـا الاجتماعي في ريدموند سـهلًا جـدًا وممتعًا، مما أثار

غيـرة وتعجب الطلاب الجـدد الآخرين، الذين، نظرًا لعدم رعاية فيليبـا لهـم، كانـوا محكوميـن بالبقاء علـى هامش الأمـور خلال السنة الأولى في الكلية.

وبالنسبة لآن وبريسيلا، اللتان كانتا تنظران إلى الحياة بطريقة أكثـر جدية، ظلت فيل الطفلة المضحكة والمحبوبة التي عرفنها في لقائهما الأول. ومع ذلك، كما قالت بنفسـها عن نفسـها، كان لديها عقل شديد الذكاء .

كان وقت ومكان الدراسة لديها أمرًا غامضًا، فقد بدت دائمًا مأخوذة بنوع من «المرح»، وكانت لياليها المنزلية مزدحمة بالزوار. فقد حظيت بكل «الشـبان» الذين يمكن أن يتمناهم القلب، حيث كان تسـعة أعشـار الطلاب الجدد وجزء كبير من جميع الفصول الأخرى يتنافسون للفوز بابتساماتها. كانت مسرورة بشكل ساذج بسـبب ذلك، وكانت تروي بفرح كل فتح جديد لآن وبريسـيلا، مع تعليقات قد تجعل أذني العاشـق غير المحظوظ تحترقان بشـكل شديد.

«يبـدو أن أليـك وألونـزو لا يوجـد لديهمـا منافس جـاد بعد،» قالت آن بتحد، بطريقة مستهزئة.

«لا أحد،» أكدت فيليبا. «أكتب لهما كل أسـبوع وأخبرهما عن كل شـيء يتعلق بشـباني المعجبين هنا. ولكن، بالطبع، الشـخص الـذي يعجبنـي أكثر لا يمكنني الحصـول عليه. جيلبرت بلايث لا يهتـم بـي على الإطلاق، إلا أن ينظر إلي كما لو كنت قطة صغيرة لطيفة يود لمسها. أنا أعلم تمامًا السبب. أنا مدينة لك بمشاعر الكراهيـة، أيتهـا الملكـة آن. فـي الواقع، يجـب أن أكرهك وبدلاً مـن ذلـك، أحبـك بجنـون، وأشـعر بالتعاسـة إذا لـم أراك يوميًا. أنـتِ مختلفـة عـن أي فتاة عرفتها مـن قبل. عندمـا تنظرين إلي

بطريقـة معينـة، أشـعر بمـدى تافهتي وطيشـي، وأتـوق لأن أكون أفضـل وأقـوى وأكثـر حكمة. وبعد ذلـك أقوم بتحديـد القرارات الجيـدة؛ ولكـن أول رجل جذاب يأتي في طريقـي، يقوم بإبطالها جميعًا من رأسي. أليست حياة الكلية رائعة؟ إنه من المضحك أن أفكر أنني كرهتها في اليوم الأول. ولكن لو لم أكن قد فعلت، فما كنت عرفتك يا آن، من فضلك، قولي لي مرة أخرى أنكِ تحبينني. أشتاق لسماع ذلك.»

«أحبـكِ كثيراًوأعتقـد أنكِ عزيزة ولطيفـة، ومحبوبة، وناعمة، وبـلا مخالَـب، وصغيرةكقطـة «، ضحكـت آن، «لكنـي لا أرى متى تجدين وقتًا لتدرسي.»

«يجب أن تكون فيل قد وجدت وقتًا، لأنها تفوقت في كل فصل من مسـار دراستها. حتى أسـتاذمادة الرياضيات، الذي كان كثير الجدل ويكره الفتيات، وكان يعارض بشـدة قبولهن في ريدموند، لـم يتمكـن مـن إسـقاطها. تفوقت علـى الطالبات الجـدد في كل مـادة، باسـتثناء الإنجليزيـة، حيث تركتها آن شـيرلي بعيدة جدًا. وجدت آن أن دراسـتها في السـنة الأولى كانت سهلة جدًا، بفضل العمل المستمر الذي قامت به هي وجيلبرت خلال تلك السنتين الماضيتين في أفونلي. كان ذلك يتيح لها المزيد من الوقت لحياة اجتماعيـة تتمتـع بها تمامًا. ولكنهـا لم تنس لحظة واحدة أفونلي والأصدقاء هناك. بالنسبة لها، كانت أسعد لحظات الأسبوع هي تلك التي تأتي فيها رسـائل من البيت. لم تكن حتى تلك اللحظة تعتقد أنها قد تحب كينجسبورت أو تشعر بأنها في منزلها هناك. قبل أن تأتي تلك الرسائل، كانت أفونلي تبدو آلاف الأميال بعيدة؛ ولكـن الآن قربت تلك الرسـائل الحياة القديمـة وربطتها بالحياة الجديـدة بشـكل وثيق بحيث بدأتا تبدوان نفـس الحياة، بدلاً من

وجـود حياتين منفصلتين بشـكل لا يمكن إصلاحه. كانت الدفعة الأولى تحتوي على سـت رسـائل، من جين أندروز، روبي جيليس، ديانا باري، ماريلا، السيدة ليند، وديفي.

كانـت رسـالة جيـن مكتوبة بخـطّ جميع وعبـارات رنانة ولكن لـم تكـن هناك جملة واحدة مثيـرة للاهتمام فيها. لـم تذكر أبدًا المدرسـة، التـي كانت آن متشـوقة للسـماع عنها. ولـم تجب أبدًا علـى أحـد الأسـئلة التـي طرحتها آن فـي رسـالتها. ولكنها قالت لآن كم ياردات الحشـو التي قد حاكتها مؤخرًا، ونوع الطقس في أفونلي، وكيف نوت أن تصنع فستانها الجديد، وكيف كانت تشعر عندما كان يؤلمها رأسها.

وكتبـت روبـي جيليس رسـالة مثيرة للشـفقة تعبر عـن حزنها على غياب آن، وتؤكد لها أنها تشـعر بغيابها بشـكل فظيع في كل شـيء، وتسـأل عنالرجال في ريدموند، وتملأ البقية بتقارير عن تجاربها المروعة مع حشد معجبيها الكثيرين. كانت رسالة غبية ولكنهـا بريئـة، وكانت آن لتضحك عليها لولا الحاشـية السـفلية. حيث كتبت روبي: «يبدو أن جيلبرت يستمتع بريدموند، من خلال رسائله. لا بل أعتقد أنه مولعبها يا آن تشارلي.»

إذا جيلبرت يكتب إلى روبي! حسنًا. لديه الحق التام في ذلك، بالطبـع. فقـط...!! آن لـم تكـن تعلـم أن روبي قد كتبت الرسـالة الأولـى وأن جيلبـرت قد أجاب عليها بدافع الحياء. رمت رسـالة روبي جانبًا باسـتفزاز. لكن محت رسـالة ديانـا، المليئة بالأخبار الحديثة والممتعة،لدغة حاشـية روبـي. كانت تحتوي على الكثير عـن فريـد، ولكنهـا كانـت مزدحمـة ومتشـابكة بعناصـر مثيـرة للاهتمام، وشعرت آن كأنها في أفونلي أثناء قراءتها.

وكانت رسالة ماريلا باردة نسبيًا وخافتة اللون، خالية تمامًا من النميمة أو العاطفة. ومع ذلك، بطريقة ما، نقلت لآن من أفونلي لمحة عن الحياة البسيطة والنقية في البراري الخضراء، مع طعم السلام القديم والحب الثابت الذي كان هناك من أجلها. وكانت رسالة السيدة لينـد مليئة بأخبار الكنيسة. فبعد أن انفكت من إدارة المنزل، كان لديها المزيد من الوقت أكثر من أي وقت مضى لتكرسه لشؤون الكنيسة وقد ألقت نفسها فيها بكل قلبها. كانت في الوقت الحالي مهتمة جدًا بسوء «الإمدادات» التي كانوا يواجهونها في منصة الكنيسة الشاغرة في أفونلي.

«لا أعتقد أن أي شخص غير الأغبياء يدخل الخدمة الكنسية في هذه الأيام،» كتبت بحدة. «المرشحون الذين أرسلوهم إلينا، والأمور التي يبشرون بها! نصفها ليس صحيحًا، و، الأسوأ من ذلك، ليس على المذهب الصحيح. الشخص الذي لديناه الآن هو الأسوأ. في الغالب يأخذ نصًا ويتحدث عن شيء آخر. ويقول أنه لا يعتقد أن جميع الوثنيين سيضيعون أبدًا. الفكرة! إذا لم يكونوا كذلك، ستضيع كل الأموال التي قدمناها للتبشير بالدين في الخارج، هذا ما أعتقده! في الأحد الماضي، أعلن أنه سيتحدث عن رأس المال الذي عوم. أعتقد أنه من الأفضل أن يقتصر على الكتاب المقدس ويترك المواضيع الحساسة وحدها. لقد وصلت الأمور إلى مرحلة مأساوية إذا لم يستطع القس العثور على ما يكفي في الكتاب المقدس ليتحدث عنه، هذا هو الأمر. أي كنيسة ترتادينها، آن؟ أتمنى أن تذهبي بانتظام. يميل الناس إلى أن يصبحوا غير مهتمين بالذهاب إلى الكنيسة عندما يكونون بعيدين عن الوطن، وأفهم أن طلاب الكليات يكونون زنادقة كبار في هذا الصدد. قيل لي أن العديد منهم يدرسون دروسهم

الأحـد. أتمنـى ألا تنخرطـي أبدًا في ذلك المسـتوى، آن. تذكري كيـف تمـت تربيتـكِ. وكوني حذرة جدًا في اختيـار أصدقائك. لا تعرفيـن أي نوع مـن المخلوقات يمكن أن يكون في هذه الكليات. ظاهريًـا قـد يكونونكمعابدطاهرة وداخليًا كذئاب جائعة، هذا هو الأمر. من الأفضل ألا تتحدثي إلى أي شاب ليس من الجزيرة.»

«نسـيت أن أخبركبما حدث يوم قام القس بزيارتنا هنا. كانت الحادثـة الأكثـر طرافة التي شـاهدتها في حياتـي. قلت لماريلا، «لـو كانـت آن هنا، كيف كانت سـتضحك؟» حتى ضحكت ماريلا. تعلمـون أنـه رجـل صغير الحجم قصير وسـمين للغاية مع رجلين مقوسـين. حسنًا، ذلك الخنزير القديم للسيد هاريسون—الطويل والكبيـر—كان قـد تجـول هنا مرة أخـرى ذلك اليوم وكسـر بوابة الفنـاء، ودخل إلـى الفناء الخلفي دون علمنـا، وكان هناك عندما ظهـر القـس فـي البـاب. حـاول الخنزيـر الهـرب بشـكل همجي للخـروج، ولكـن لـم يكن هناك مـكان آخر للهروب إليه سـوى بين تلـك الرجليـن المقوسـين. لذا ركـض إليه، وبما أنـه كان ضخما والقـس كان صغيـر الحجم، فقد رفعه همجيًا عن أقدامه وركض بـه بعيـدًا. ذهبت قبعته فـي اتجاه وعصاه في اتجـاه آخر، تمامًا عندما وصلنا أنا وماريلا إلى الباب. لن أنسى أبدًا مظهره. وكان ذلك الخنزير المسكينيكاج يموت خوفًا. لن أكون قادرة على قراءة ذلـك الحـادث في الكتـاب المقدس حول الخنازيـر التي اندفعت بجنـون نحـو المكان الحـاد في البحر دون أن أرى خنزير السـيد هاريسون يجتاح الهضبة مع القس. أعتقد أن الخنزير اعتقد أنه كان يحمل الشيطان على ظهره بدلاً من داخله. كنت ممتنة لعدم وجـود التوائـم. لـم يكـن الوقت مناسـبا لهما لرؤية قـسّ في مثل هـذا الوضـع غير اللائق. قبل أن يصلا إلـى الجدول، قفز القسّ

أو سـقط. واندفـع الخنزيـر عبر الجدول كالمجنـون وصعد عبر الغابة. جرينا إلى الأسـفل وسـاعدنا القس في النهوض وتنظيف معطفـه. لـم يصب بـأذى، ولكنـه كان غاضبًا. بدا وكأنـه يعتبرنا مسـؤولتين عـن كل ذلـك، على الرغم من أننا قلنـا له أن الخنزير لا ينتمـي إلينـا وكان يزعجنا طوال الصيـف. بالإضافة إلى ذلك، لماذا جاء من الباب الخلفي؟ لن تجد أبدًا السيد آلان يفعل ذلك. سـنحتاج وقتا طويلا قبل أن نحصل على رجل مثل السـيد آلان. ولكنهـا ريـاح شـر يخرج منها خير. لم نر أبـدًا حتى الآن الخنزير يظهر، وأعتقد أننا لن نراه أبدًا.»

«الأمـور هادئـة جـدًا فـي أفونلي. لا أجـد البـراري الخضراء مثلما توقعت. أعتقد أنني سـأبدأ بحياكة فراش قطني آخر هذا الشـتاء. لدى السـيدة سـايلاس سـلون نمط جديد جميل بأوراق التفاح.

«عندما أشـعر بأنه يجب علي أن أحصل على بعض التشـويق، أقرأ قضايا القتل في الجريدة البوسـطنية التي ترسـلها لي ابنة أختـي. لـم أكنأفعل ذلك في السـابق، لكنها حقًـا مثيرة. يجب أن تكـون الولايات المتحـدة مكانًا فظيعًا. آمل أنكِ لن تذهبي هناك أبدًا، آن. ولكن الطريقة التي يتجول بها الفتيات عبر الأرض الآن أمر مرعب. دائمًا ما يجعلني أفكر في الشـيطان في سـفر أيوب، يتجـول هنـا وهناك ويمشـي صعودًا وهبوطًـا. لا أعتقد أن الرب قصد ذلك، هذا ما أقوله.

«كان ديفـي جيـدًا إلـى حـد مـا منـذ أن ذهبـت. فـي يـوم قام بشيء خاطئ فعاقبته ماريلا بجعله يرتدي مئزر دورا طوال اليوم، فذهـب وقطـع جميـع مـآز البنت. صفعتـه من أجل ذلـك فذهب وطارد ديكا حتى الموت.

«انتقلت آل ماكفيرسون إلى منزلي. إنها عائلة منظمة كبيرة ودقيقة للغاية. لقد قلعت كل زنابق يونيو الخاصة بي لأنها تقول إنها تجعل الحديقة تبدو غير مرتبة. وقد نظمها توماس عندما كنا متزوجين. يبدو زوجها رجلًا لطيفًا، ولكنها لا تستطيع التخلص من كونها كانت عانسا، هذا هو الأمر.

«لا تدرسي حد الإجهاد، وتأكدي من ارتداء الملابس الداخلية الشتوية بمجرد أن يصبح الطقس باردًا. ماريلا تقلق كثيرًا بشأنك، لكنني أقول لها إنك أصبحت أكثر حكمة مما كنتِ أعتقد أنك ستكونين عليه في وقت ما، وأنك ستكونين بخير.»

رسالة ديفي بدأت بشكوى من البداية.

«عزيزتي آن، من فضلك اكتبي لماريلا وقولي ألا تربطني بسكك الجسر عندما أذهب للصيد. الأولاد يسخرون مني عندما تفعل ذلك. الأمر متعب هنا بدونك، ولكن المدرسة ممتعة للغاية. جين أندروز أكثر سوءًا منك. كانت غاضبة جدًالأنني طاردت ديكها القديم في الفناء حتى سقط ميتًا. لم أكن أقصد ذلك. لماذا مات، آن، أريد أن أعرف. ألقته السيدة لايند في حظيرة الخنازير، ربما كان يمكن أن تبيعه للسيد بلير. إنه يعطي خمس سنتات للديوك الجيدة الميتة الآن. سمعت السيدة لايند تطلب من القس أن يصلي من أجلها. ما الذي فعلته سيء، آن، أريد أن أعرف. لدي طائرة ورقية ذيلها رائع، آن. أخبرني ميلتي بولتر قصة رائعة في المدرسة يوم أمس. إنها حقيقية. لعب جو موزي وليون ورقًا في إحدى الليالي في الأسبوع الماضي في الغابة. كانت البطاقات على جذع شجرة، وجاء رجل أسود كبير أكبر من الأشجار وأمسك بالبطاقات والجذع واختفى بصوت مثل الرعد. أراهن أنهما كانا مرعوبين. يقول ميلتي إن الرجل الأسود

كان هـاري القديـم. هـل كان كذلـك، آن، أريد أن أعرف. السـيد كيمبال في سبنسـرفيل مريض جدًا وسـيضطر إلى الذهاب إلى المستشـفى. مـن فضلـك اعذرينـي بينما أسـأل ماريـلا إذا كان هذا مكتوبًا بشـكل صحيح. قالت ماريلا إنه يجب أن يذهب إلى آلسـيليم وليـس إلى المستشـفى. إنه يظن أن لديـه ثعبان داخله. كيف يكون الشعور بوجود ثعبان في داخلك، آن؟ أريد أن أعرف. السـيدة لورنس بيل أيضًا مريضة. تقول السـيدة لايند إن كل ما في الأمر هو أنها تفكر كثيرًا في أمورها الداخلية.»

«أتسـاءل،» قالت آن، وهي تطوي رسـائلها، «ما الذي سـتفكر فيه السيدة لايند عن فيليبا.»

الفصل السادس
في الحديقة

«ماذا تعتزمن فعله اليوم، يا بنات؟» سألت فيليبا، وهي داخلة إلى غرفة آن في إحدى أيام السبت بعد الظهر.

«نحن ذاهبات للنزهة في الحديقة»، أجابت آن. «يجب أن أظل في الداخل وأنهي بلوزتي. لكن لا أستطيع الخياطة في مثل هذا اليوم. هناك شيء في الهواء يتسلل إلى دمي ويخلق نوعًا من الروعة في روحي. أصابعي ستتحرك بسرعة وسأخيط درزًا مائلًا. إذا كان ذلك هو الحال، فلنذهب إلى الحديقة وأشجار الصنوبر.»

«هل «نحن» تشمل أي شخص سواك أنت وبريسيلا؟»

«نعم، تشمل جيلبرت وتشارلي، وسنكون سعيدين جدًا إذا كان بإمكانكِ الانضمام أيضًا.»

«لكن»، قالت فيليبا بحزن، «إذا ذهبت سأكون مثل العنب البري، وهذه ستكون تجربة جديدة بالنسبة لفيليبا جوردن.»

«حسنًا، التجارب الجديدة توسع الآفاق. تعالي معنا، وستتمكنين من التوافق مع جميع الأرواح المسكينة المضطرة إلى آداء دور العنب البري في كثير من الأحيان. ولكن أين جميع الضحايا؟»

«أوه، كنتُ متعبة منهم جميعًا وببساطة لم يكن لدي الرغبة في التعامل مع أي منهم اليوم. بالإضافة إلى ذلك، كنت حزينة بعض الشيء. كتبت إلى أليك وألونزو الأسبوع الماضي. وضعتُ الرسائل في ظروف وكتبت عناوينها، لكنني لم أختمها. في تلك الليلة، حدث شيء مضحك. على الأقل، أليك سيجدها مضحكة، ولكن ألونزو قد لا يجدها كذلك. كنت مستعجلة، لذلك أخذتُ رسالة أليك – كما كنت أظن – من الظرف وقمت بسرد فقرة إضافية. ثم أرسلتُ كلتا الرسالتين. استلمتُ رد ألونزو صباح اليوم. يا فتيات، لقد وضعتُ تلك الفقرة الإضافية في رسالته، وكان غاضبًا. بالطبع سيتجاوز ذلك – وليس لدي مشكلة إذا لم يفعل، لكنه أفسد يومي. لذا فكرتُ أن آتي إليكن أيتها الحبيبات لأحصل على روح إيجابية. بعد بداية موسم كرة القدم، لن يكون لدي أي سبت فارغ بعد الظهر. أعشق كرة القدم. لدي القبعة والسترة الأكثر روعة إنهما مخططان بألوان ريدموند لارتدائهما في المباريات. هل تعلمين أن جيلبرت الخاص بك يتم انتخابه قائدًا لفريق كرة القدم الجديد في الفصل الأول يا آن؟»

«نعم، قال لنا ذلك البارحة»، قالت بريسيلا، وهي ترى أن آن، المستاءة، لن تجيب. «كان هو وتشارلي هنا. كنا نعلم أنهما سيأتيان، لذلك وضعنا بعناية جميع وسائد الآنسة آدا خارج دائرو البصر وخارج متناول اليد. تلك الوسادة الفاخرة بالمطرزة أسقطتها على الأرض في الزاوية خلف الكرسي الذي كانت عليه. ظننتُ أنها ستكون آمنة هناك. ولكن هل تصدقين؟ توجه تشارلي سلون نحو ذلك الكرسي، لاحظ الوسادة وأخرجها بجديّة، وجلس عليها طوال الليلة. لقد تركها وسادة من خراب! سألتني الآنسة آدا اليوم، وما زالت تبتسم ولكن بتوبيخ، لماذا سمحت للناس

بالجلوس عليها. قلت لها إنني لم أفعل وأنها كانت مسألة مقدرة مقترنة بالـ «سلونيّة» المزمنة وأنني لم أكن على مستوى التحدي الذي يجمع بينهما.»

«الوسائد التي صنعتها الآنسة آدا تثير حقاً أعصابي،» قالت آن. «انتهت من صنع اثنتين جديدتين الأسبوع الماضي، محشوتين ومطرزتين حتى آخر نقطة. لا يوجد مكان آخر لوضعهم سوى أن نوقفهم مستندين إلى الحائط على السلم. إنهم يسقطون أغلب الوقت، وإذا مررنا صعودًا أو هبوطًا في الدرج في الظلام نعثر عليهم. في الأحد الماضي، عندما صلى الدكتور ديفيس من أجل جميع الذين يتعرضون لمخاطر البحر، أضفت في فكري «ومن أجل جميع الذين يعيشون في منازل حيث هناك من يحب الوسائد ليس باعتدال ولكن بشكل زائد!» ها نحن جاهزات، وأرى الأولاد يقتربون من خلال كنيسة سانت جون القديمة. هل تنضمين إلينا، فيل؟»

«سأذهب، إذا كنتُ قادرة على المشي مع بريسيلا وآن تشارلي. ستكون ذلك مقبولا. وكذلك جيلبرت الخاص بك إنه رائع يا آن، ولكن لماذا يتجول كثيرًا مع «أعين غوغل»؟»

تصلبت آن. لم يكن لديها إعجاب كبير بتشارلي سلون، ولكنه كان من أفونلي، لذا لا يجب على أي شخص آخر الضحك عليه. «تشارلي وجيلبرت كانا دائمًا صديقين»، قالت ببرودة. «تشارلي هو صبي لطيف. ليس عليه لوم على عيونه.»

«لا تخبريني بذلك! هو كذلك! يجب أن يكون قد فعل شيئًا رهيبًا في حياة سابقة ليعاقب بهذه العيون. بريس وأنا سنستمتع بهذا الأمر ظهر هذا اليوم. سنسخر منه أمامه ولن يعلم ذلك أبدًا.»

بلا شك، «حروف بي المهملة»، كما سمتها آن، قد نفذتنواياها الشريرة. ومع ذلك، كان سلون مستمتعًا بنعيم الجهل ؛ كان يعتقد أنـه رجـل رائـع تمامًـا ليتجول مـع فتاتيـن مثلهما، خاصـة فيليبا جـوردون، جميلـة الصـف وجميلـة الحفلات. يجـب أن تؤثر هذه اللحظـة بالتأكيد على آن. سـترى أن بعـض الناس يقدرون قيمته الحقيقية.

جيلبـرت وآن تأخـرا قليـلاً خلـف الآخريـن، يتمتعـان بجمـال الظهيـرة الخريفية الهادئة تحت أشـجار الصنوبـر في الحديقة، على الطريق الذي يتسـلق ويلتوي حول شـاطئ المرفأ. «الصمت هنا كالصلاة، أليس كذلك؟»، قالت آن ووجهها متجه نحو السماء اللامعـة. «كـم أحب أشـجار الصنوبر! يبدو أنهـا تغرس جذورها بعمـق في رومانسـية جميع العصـور. من الرائع أن نتسـلل بعيدًا الآن لإجراء حوار جيد معها. أشعر دائمًا بالسعادة هنا.»

«وهكذا في الأماكن الجبلية المنعزلة
كما لو كانوا قد ألقوا عليها تعويذة إلهية،
تتساقط همومهم عنهم كأنابيب تتساقط
من بين صفيحة الصنوبر الرياحية،» نقل جيلبرت.

«إنهـم يجعلـون طموحاتنـا الصغيـرة تبـدو غيـر هامـة، أليس كذلك، آن؟»

«أعتقد أنني، إذا حزنت حزنا كبيرا، سآتي إلى غابة الصنوبر للعثور على الراحة،» قالت آن بشكل حالم.

«آمـل أن لايـزورك يومًـا حـزن كبير، آن»، قـال جيلبرت، الذي لا يسـتطيع ربـط فكـرة الحـزن بالكائـن النابض بالحيـاة والفرح بجـواره، غيـر عابـئ بـأن الذيـن يسـتطيعون الصعـود إلـى أعلى المراتب يمكنهم أيضًا الانغماس في أعماق الظلمة، وأن الطبائع

التي تتمتع بشدة هي تلك التي تعاني أكثر بحدة.

«ولكن يجب أن يحدث ذلك في يوم من الأيام،» فكرت آن. «الحياة تبدو وكأنها كأس من المجد مرفوعة إلى شفتي الآن. ولكن يجب أن يكون هناك بعض المرارة فيها – هناك دائمًا. سأتذوقها في يوم من الأيام. حسنًا، آمل أن أكون قوية وشجاعة لمواجهتها. وآمل ألا يكون ذلك بسبب أخطائي الشخصية. هل تتذكر ما قاله الدكتور ديفيس الأحد الماضي؟ إن الآلام التي يرسلها الله إلينا تأتي معها الراحة والقوة، بينما الآلام التي نجلبها على أنفسنا، سواء كان ذلك بسبب السفاهة أو الشر، هي أصعب في التحمل. ولكننا لا يجب أن نتحدث عن الحزن في مثل هذا الظهيرة. إنها مخصصة للفرح البسيط بالحياة، أليس كذلك؟»

«لو كان لي الحق، لأغلقت كل شيء عن حياتك إلا السعادة والمتعة، آن»، قال جيلبرت باللهجة التي تعني «خطر في الطريق.»

«ثم ستكونين غير حكيمة للغاية،» ردت آن بسرعة. «أنا متأكدة أنه لا يمكن تطوير الحياة بشكل صحيح وإكمالها بدون بعض التجارب والحزن – على الرغم من أنني أفترض أننا نعترف بذلك فقط عندما نكون مرتاحين إلى حد ما. تعال، لقد وصل الآخرون إلى الرواق ويشيرون إلينا.»

جلسوا جميعًا في الرواق الصغير لمشاهدة غروب الشمس الخريفي بلون النار الأحمر العميق والذهب الشاحب. على يسارهم كانت كينجسبورت، مؤسساتها وأبراجها خافتة في كتلة من الدخان البنفسجي. على يمينهم كان المرفأ، يأخذ درجات اللون الوردي والنحاسي كلما امتد في اتجاه الغروب. وأمامهم، كان الماء يتلألأ، ناعما كالحرير ورمادي فضي، وبعيدًا، ظهرت

جزيـرة وليـام النظيفة ككلب قوي يحرس المدينة. أضاءت شـعلة منارتـه خـلال الضباب كنجمة شـريرة، وأجابـت عليها أخرى في الأفق البعيد.

«هـل رأيـتِ مكانًا سـاحرا مثل هـذا من قبل؟» سـألت فيليبا. «انظـري إلـى ذلك الحارس علـى قمة الحصن، بجـوار العلم. ألا يبدو وكأنه خرج من رواية؟»

«وبخصـوص الرومانسـية،» قالـت بريسـيلا، «كنـا نبحـث عن أزهار الخلنج، لكن بالطبع، لم نتمكن من العثور عليها. ربما يكون الوقت متأخرًا هذا الموسم.»

«الخُزامـى!» هتفـت آن. «أليس من الطبيعي أن تنمو الخُزامى في أمريكا، أليس كذلك؟»

«هنـاك فقـط قطعتـان منهـا فـي القـارة كلهـا،» قالـت فيـل، «إحداهمـا هنـا فـي الحديقة، والأخـرى في مكان آخـر في نوفا سـكوتيا، لكني نسيت المكان. انتقل الفرقة الهايلاندية الشهيرة، الوتـش الأسـود، هنـا للتخييـم في إحـدى السـنوات، وعندما هز الرجال القش من أسرتهم في الربيع، سقطت بعض بذور أزهار الخلنج.»

«كم هو رائع!» قالت آن بسحر.

«لنعد إلى المنزل عبر شارع سبوفورد،» اقترح جيلبرت. «يمكننا رؤية جميع «المنازل الجميلة التي يسكنها النبلاء الأثرياء». شارع سـبوفورد هو أفضل شـارع سـكني في كينجسـبورت. لا يستطيع أحد البناء عليه إلا إذا كان مليونيرًا.»

«آه، هيـا!» قالـت فيـل. «هنـاك مـكان صغيـر للغايـة أريـد أن أريـكِ إيـاه، آن. لـم يتـم بناؤه من قبـل مليونير. إنـه المكان الأول بعدما تتركين الحديقة، ويجب أن يكون قد «نما» بينما كان شارع

سبوفورد لا يزال طريقا ريفيا. نعم، نما ولم يُبن! لا أهتم بالمنازل في الشارع. إنها جديدة جدًا وزجاجية. ولكن هذه الزاوية الصغيرة هي حلمواسمها—لكن انتظري حتى تريها.»

رأوها وهم يصعدون تلة محاطة بأشجار الصنوبر من الحديقة. توجد تمامًا على قمة التل، حيث يتلاشى شارع سبوفورد إلى طريق عادي، كان هناك منزل أبيض صغير من الإطارات مع مجموعات من الصنوبر على جانبيه، تمتد فروعهم كحمايةً فوق سقفه المنخفض. كان مغطى بكرمة حمراء وذهبية، من خلالها تطل نوافذه الخضراء المغلقة بالأبواب. وأمامه كانت حديقة صغيرة محاطة بجدار حجري منخفض. وعلى الرغم من أنه كان شهر أكتوبر، إلا أن الحديقة كانت لا تزال جميلة بزهور وشجيرات قديمة وعالمية جدًا – زهور الدخن، خشب الجنوب، الليمون فيربينا، الأليسوم، البتونيا، القطعان والكريزانثيموم. سور صغير من الطوب، بنمط مشبّك، يمتد من البوابة إلى الشرفة الأمامية. كل هذا المكان يمكن أن يكون قد تم نقله من قرية ريفية نائية، ومع ذلك، كان هناك شيء يجعل أقرب جار له، القصر الكبير المحاط بالحديقة لملك التبغ، يبدو قاسيًا وفاخرًا وغير مؤدب بالمقارنة. كما قالت فيل، إنها الفارق بين أن تولد وأن تُصنع.

«إنه أعز مكان رأيته على الإطلاق،» قالت آن بسعادة. «إنه يعطيني إحدى تلك الأحاسيس المؤلمة والممتعة معا. إنه أعز وأجمل حتى من منزل السيدة لافيندار الحجري.»

«الاسم هو الذي أريدكِ أن تلاحظيه بشكل خاص،» قالت فيل. «انظري هنا، بأحرفَ بيضاء، حول قوس البوابة. «مكان باتي.» أليس هذا مذهلًا؟ خاصةً في هذا الشارع المليء بأشجار الصنوبر والأشجار والمنازل؟ «منزل باتي»،! أنا أعشقه.»

«هل لديكِ أي فكرة عمن هي باتي؟» سألت بريسيلا.

«باتي سبوفورد هو اسم السيدة العجوز التي تملكه، اكتشفت ذلك. تعيش هناك مع ابنة أختها، ولقد عاشا هناك منذ مئات السنين، تقريبًا -أو ربما كان ذلك أقل ولكن المبالغة هي مجرد طيران للخيال الشعري، يا آن.. أفهم أن الأثرياء حاولوا شراء الأرض مرارًا وتكرارًا - إنها تستحق حقًا ثروة صغيرة الآن، - ولكن «باتي» لن تبيع بأي ثمن. وهناك بستان تفاح خلف المنزل بدلاً من فناء خلفي - سترينه عندما نتقدم قليلاً - بستان تفاح حقيقي على شارع سبوفورد!»

«سأحلم بـ «مكان باتي» الليلة،» قالت آن. «لماذا أشعر وكأنني أنتمي إليه؟ أتساءل إذا كنا نملك أي فرصة، سنرى داخله.»

«من غير المرجح،» قالت بريسيلا.

ابتسمت آن بشكل غامض.

«لا، ليس من المرجح. ولكنني أعتقد أنه سيحدث. لدي شعور غريب ومخيف - يمكنك أن تسميه إحساسًا، إذا أردت - أن «منزل باتي» وأنا سنصبح أكثر تعارفًا.»

الفصل السابع
الرجوع إلى المنزل مرة أخرى

تلك الأسـابيع الثـلاث الأولى في ريدموند بـدت طويلة، ولكن بقية الفصل انقضت بسـرعة على أجنحة الرياح. قبل أن يدركوا ذلـك، وجـد طلاب ريدموند أنفسـهم في صخـب امتحانات عيد الميـلاد، ثـم خرجـوا منهـا بنجـاح أكثـر أو أقـل. تراوحتمراكـز الصدارة لدى طلاب السـنة الأولى بين آن وجيلبرت وفيليبا. كما قامت بريسـيلا بأداء جيد، وتجاوز تشـارلي سـلون بـكل احترام، وتصرف بنفسـه بطريقة مسـتريحة كما لو كان قد تصدر في كل شيء.

«لا أستطيع حقًا أن أصدق أنني سأكون في البراري الخضراء فـي هذا الوقت غدًا،» قالـت آن في الليلة قبل المغادرة. «ولكنني سـأكون. وأنت، فيل، ستكونين في بولينجبروك مع أليك وألونزو.»

«أنـا أتـوق لرؤيتهمـا،» اعترفـت فيـل بينمـا كانـت تمضـغ الشوكولاتة. «إنهما حقًا صبيان جيدان. سيكون هناك الكثير من الرقـص والرحـلات والاحتفالات العامة. لن أغفـر لكِ، ملكة آن، لأنكِ لم تأتِ معي إلى المنزل للاحتفالات.»

«لـن أغفـر أبدًا» يعني ثلاثة أيام معكِ، فيـل. كان من اللطيف منـكِ أن تعرضـي علي، وسـأحب الذهـاب إلـى بولينجبروك في يـوم مـا. ولكن لا يمكننـي الذهاب هذا العام، يجـب أن أعود إلى المنزل. لا تعلمين كم يشتاق قلبي إليه.»

«لـن يكـون لديـكِ وقت كثيـر،» قالت فيل بسـخرية. «سـيكون هناك حفلتان. وستتحدث جميع الفتيات الكبار عنكِ أمام وجهكِ وخلف ظهركِ. ستموتين من الوحدة، يا طفلة.»

«في أفونلي؟» قالت آن، إنها مسلية بشكل كبير.

«الآن، إذا جئـتِ معي، سـتكونينَ قد قضيـتِ وقتاً رائعاً تمامًا. سـيجنون بغرامكِ في بولينجبروك، ملكة آن – شـعركِ وأسـلوبكِ وكل شيء! أنتِ مختلفة جداً. ستحققينَ نجاحًا كبيرًا، وسـأستمتع بالتألق بألقكِ – «لن أكون الوردة ولكن بالقرب من الوردة». تعالي، في النهاية، آن.»

«لوحتـكِ للانتصارات الاجتماعية جذابـة تمامًا، فيل، ولكنني سـأرسـم واحـدة لتعويضها. سـأعود إلـى منزل ريفـي قديم، كان أخضـرًا فـي وقـت ما، الآن باهـت قليلاً، يقع بين بسـاتين التفاح الخالية من الأوراق. هناك نهر أسفله وغابة أشجار الصنوبر في ديسـمبر تنزوي بعيدًا كالهارب مـن هطول المطر والرياح. هناك بركة قريبة ستكون رمادية ومظلمة الآن. وستكون هناك سيدتان عجوزتـان فـي البيت، إحداهما طويلـة ونحيفة، والأخرى قصيرة وسـمينة؛ وسـيكون هناك توأمان، أحدهما نموذجٌ مثالي، والآخر ما تسـميه السـيدة لايند «رعبًا مقدسًـا». وسـتكون هناك غرفة صغيـرة فـي الطابـق العلـوي فوق الشُـرفة، حيث تتدلـى الأحلام القديمـة بكثافـة، وسـرير ريش كبير ووثيـر ورائع سـيبدو تقريبًا أكثر رفاهية بعد فراش المبيت. أتعجبكِ لوحتي، فيل؟»

«يبدو أنها لوحة مملة جداً،» قالت فيل، بتجاهل.

«لكنني تركت الشيء الذي سيحول الأمور،» قالت آن برفق. «سيكون هناك حب ، فيل – حب وفي ورع، مثلما لن أجده في أي مكان آخر في العالم – حب ينتظرني. هذا ما يجعل لوحتي تحفة فنية، أليس كذلك، حتى لو لم تكن الألوان لامعة جداً؟»

نهضت فيل صامتةً، رمت علبة الشوكولاته بعيدًا، اقتربت من آن ووضعت ذراعيها حولها.

«آن، أتمنى لو كنت مثلكِ»، قالت بجدية.

الليلة التالية، التقت ديانا بآن في محطة كارمودي، وذهبتا إلى المنزل معًا تحت أعماق سماء صامتة مليئة بالنجوم. كانت البراري الخضراء تظهر بمظهر احتفالي جداً عندما دخلا الطريق. كان هناك ضوء في كل نافذة، اللمعان ينبثق من خلال الظلام مثل زهور ذات لون أحمر لامع تتأرجح ضد الخلفية المظلمة للغابة المسحورة. وفي الفناء كان هناك حريق جريء مع شخصيتين صغيرتين ومرحين يرقصان حوله، وكان أحدهما يصدر صرخة غير طبيعية عندما دخلت العربة.

«ديفي يعني بها عربون حرب هندي،» قالت ديانا. «تعلم ذلك من الفتى الذي يعمل لدى السيد هاريسون، وقد كان يمارسها ليحيّيك بها. تقول السيدة لايند إنه قد قضى على أعصابها. إنه يقترب منها بصمت، تعلمين، ثم يصدر الصوت. كان عازمًا على إقامة حريق جشع أيضًا من أجلك. لقد كان يكدس فروعًا لمدة أسبوعين ويزعج ماريلا للسماح له بصب بعض الزيت عليه قبل إشعاله. عرفت أنها فعلت ذلك من خلال الرائحة، على الرغم من أن السيدة لايند قالت حتى اللحظة الأخيرة إن ديفي سينفجر هو والجميع إذا سمحت له.»

كانت آن خارجة من العربة في هذا الوقت، وكان ديفي يحتضن ركبتيها بشغف، بينما كانت حتى دورا تتشبث بيدها.

«أليس هذا حريقا جميلا، آن؟ فقط دعيني أريكِ كيف أحركه - انظري إلى الشرر؟ فعلتها من أجلك، آن، لأنني كنت سعيدة جداً بعودتك إلى المنزل.»

فُتح باب المطبخ وظلت الهيئة الرشيقة لماريلا تتظلل ضد الضوء الداخلي. كانت تفضل لقاء آن في الظلمة، لأنها كانت تخشى بشكل فظيع أن تبكي من الفرح، هي، ماريلا القاسية المتضبطة، التي تعتبر أن كل عرض للعاطفة العميقة لا يليق بها. وراءها كانت السيدة لايند، سعيدة، طيبة، كما كانت في السابق. الحب الذي قالت آن لفيل إنه ينتظرها أحاط بها وأغمرها ببركته وحلاوته. لا شيء، بعد كل شيء، يمكن أن يقارن بالروابط القديمة، والأصدقاء القدامى، والمنزل القديم في البراري الخضراء! كم كانت عيون آن ساطعة عندما جلسوا لتناول العشاء على الطاولة المليئة، وكم كان خداها ورديين، وكم كانت ضحكتها فضية وواضحة! وكانت ديانا ستقضي الليل كله هناك أيضاً. كم كان ذلك يشبه الأوقات الجميلة القديمة! وكانت مجموعة الشاي المزهرة تُزيِّن الطاولة! مع ماريلا، لا يمكن لقوة الطبيعة أن تذهب أبعد من ذلك.

«أظن أنكِ وديانا ستتحدثان طوال الليل الآن،» قالت ماريلا بسخرية، حينما صعدت الفتاتان الدرج. ماريلا كانت دائمًا ساخرة بعد أي كشف لذاتها.

«نعم،» أكدت آن بسعادة، «لكنني سأضع ديفي في الفراش أولاً. إنه يصر على ذلك.»

«بالتأكيد،» قال ديفي وهما يسيران في الرواق. «أريد شخصًا ما أتلو معه صلاتي. ليس هناك متعة في الصلاة وحدك.

«أنتَ لا تصلي وحدك، ديفي. اللّه دائماً معك ليسمعك.»

«حسنًا، لا أستطيع أن أراه،» اعترض ديفي. «أريد أن أصلي مع شخص يمكنني رؤيته، ولكنني لن أصلي مع السيدة لايند أو ماريلا، لا، الآن!»

ومع ذلك، عندما كان ديفي يرتدي ثوب نومه الرمادي المخملي، لم يبد على عجلة للبدء. وقف أمام آن، يقلب قدمه العارية فوق الأخرى، ويبدو غير حاسم.

«تعال، عزيزي، اجلس على ركبتيك،» قالت آن.

ديفي جاء ودفن رأسه في حضن آن، ولكنه لم يرتخي.

«آن،» قال بصوت مكتوم. «لا أشعر برغبة في الصلاة على الإطلاق. لم أشعر بذلك لمدة أسبوع الآن. لم أصل الليلة الماضية ولا الليلة التي قبلها.»

«لماذا، ديفي؟» سألت آن برفق.

«أنتِ – أنتِ لن تغضبي إذا قلت لك؟» استسلم ديفي.

رفعت آن الجسم الرمادي الصغير على ركبتها وعانقت رأسه بذراعها.

«هل أصبحت «غاضبة» يومًا عندما تخبرني بأشياء، ديفي؟»

«لا، لم تفعلي ذلك. ولكن تشعرين بالأسف، وهذا أسوأ. ستكونين آسفة جداً عندما أخبرك بذلك، آن – وستكونينِ «خجلة مني، أعتقد.»

«هل قمت بفعل شيء غير لائق، ديفي، وهل هذا هو السبب في عدم قدرتك على تلاوة صلواتك؟»

«لا، لـم أفعـل شـيئا غير لائق – بعـد. ولكن أرغب فـي القيام بذلك.»

«ما الأمر، ديفي؟»

«أرغـب – أرغـب فـي قول كلمة سـيئة، آن»، قـال ديفي بجهد يائـس. «سـمعتها مـن فتـى السـيد هاريسـون يومًـا مـا الأسـبوع الماضـي، ومنـذ ذلـك الحين وأنا أرغـب في قولها طـول الوقت، حتى عندما أصلي.»

«قلها إذن، ديفي.»

رفع ديفي وجهه المحمر بالدهشة.

«ولكن، آن، إنها كلمة سيئة جدًا.»

«قلها!»

أعطـى ديفـي نظرة أخرى من الدهشـة، ثم بصـوت منخفض قال الكلمة المروعة. في الدقيقة التالية، كان وجهه يحفر فيها.

«آه، آن، لن أقولها مرة أخرى – أبدًا. لن أرغب في قولها مرة أخـرى. كنـت أعلم أنها سـيئة، ولكنـي لم أتصوّر أنهـا كانت بهذا القدر – هكذا.»

«لا، لا أعتقـد أنـك سـترغب في قولها مـرة أخرى، ديفي – أو حتـى التفكيـر فيهـا. ولا أنصحـك بالتجول كثيرًا مع فتى السـيد هاريسون إذا كنت مكانك.»

«يمكن أن يصدر أصوات حرب هندي رائعة،» قال ديفي بحنان بسيط. «لكنكَ لا تريد أن تملأ عقلكَ بكلمات سيئة، أليس كذلك، ديفي – كلمات ستسممه وتطرد كل ما فيه من الخير والرجولة؟»

«لا،» قال ديفي، بعينين براقتين من التأمل الداخلي.

«إذاً، لا تذهـب مـع أولئـك الناس الذين يسـتخدمونها. والآن، هل تشعر كما لو أنك يمكن أن تصلي، ديفي؟»

«آه، نعـم»، قـال ديفي بحماس وهـو يجثوعلى ركبتيه، «يمكنني الآن بـكل تأكيـد. ليـس لدي أي خوف الآن من قـول «إن مت قبل أن أستيقظ»، كما كنت عندما كنت أرغب في قول تلك الكلمة.»

ربمـا قامـت آن وديانا بالفضفضة لبعضهمـا تلك الليلة، ولكن تـم الاحتفـاظ بمشـاعرهما دون بـوح. كانتـا تبـدوان نشـيطتين ومشـرقتين فـي وقـت الفطـور، كما يمكـن أن يبدو الشـباب بعد سـاعات مـن الاحتفال والاعتراف. لم تكن هنـاك ثلوج حتى هذا الوقت، ولكن عندما عبرت ديانا عبر الجسر الخشبي القديم في طريقهـا للمنـزل، بـدأت الكتل البيضاء في التطايـر فوق الحقول والغابـات التـي تلونت باللون الأحمر القاتم والرمادي وكانت تغط فـي نومها العميق. وسـرعان ما أصبحـت التلال والجبال البعيدة غائمـة وشـبحية مـن خلال حجابهـا الرقيق، كما لـو أن الخريف قد رمى حجاب زفاف ضبابي على شـعرها وكان ينتظر عريسـها الشـتوي. لـذا كان لديهـم عيـد كريسـماس أبيض بعد كل شـيء، وكان يومًـا لطيفًـا للغاية. في الصباح، وصلت رسـائل وهدايا من الآنسـة لافنـدر وبول؛ ففتحتهـا آن في مطبخ البـراري الخضراء البهيـج، الـذي كان مليئًـا بما سـماه ديفي وهو يستنشـق بنشـوة، «رائحة جميلة».

قالت آن «أنا متأكدة أن الآنسة لافندر سعيدة تمامًا في منزلها الجديد – أعرف ذلك من خلال طابع رسالتها العام، ولكن هناك مذكرة من تشـارلوتا الرابعة. إنها لا تحب بوسطن على الإطلاق، وهي مشتاقة جدًا إلى الوطن. تريد الآنسة لافندر مني أن أذهب إلى قرن الصدى في أحد الأيام أثناء تواجدي في المنزل وأشعل نـارًا لتهوئـة المـكان وأتحقـق أن الوسـائد لم تعفـن. أعتقد أنني سـأطلب من ديانا الذهاب معي الأسـبوع المقبل، ويمكننا قضاء

المساء مع تيودورا ديكس. أريد أن أرى تيودورا. بالمناسبة، هل لودوفيك سبيد لا يزال يذهب لرؤيتها؟»

«يقولون ذلك»، قالت ماريلا، «ومن المرجح أن يستمر في ذلك. الناس قد تخلوا عن التوقع بأن هذا الخطوبة ستصل إلى أي مكان.»

«كنت سأسرعه قليلاً، لو كنت تيودورا، هذا ما قلته»، قالت السيدة لايند. ولا يوجد أدنى شك في أنها ستفعل ذلك.

كان هناك أيضًا رسالة من فيليبا، مليئة بآليك وألونزو، وما قالوه وفعلوه، وكيف كانوا يبدون عندما رأوها.

«ولكنني لا أستطيع أن أقرر بعد أي منهما يجب أن أتزوجه،» كتبت فيل. «أتمنى أنك جئتِ معي لتقرري لي. سيكون أحدهم. عندما رأيتُ أليك، دق قلبي بشكل قوي وفكرت، «ربما يكون هو الشخص الصحيح.» ثم، عندما جاء ألونزو، دق قلبي مرة أخرى. لذلك لا يمكنني الاعتماد على ذلك، على الرغم من أنه يجب أن يكون، وفقًا لكل الروايات التي قرأتها. الآن، آن، قلبكِ لن يدق لأي شخص إلا للأمير الساحر الحقيقي، أليس كذلك؟ يجب أن يكون هناك شيء معاكس تمامًا في قلبي. ولكنني أقضي وقتًا رائعًا جدًا. كم أتمنى أن تكوني هنا! إنها تثلج اليوم، وأنا في حالة من النشوة. كنت خائفة جدًا من أن نحظى بعيد كريسماس أخضر وأنا أكرههم. تعلمين، عندما يكون عيد الميلاد شيء رمادي قذر أو بني فاتح، يبدو كما لو كان ترك قبل مائة عام ولكنه كان في نقع منذ ذلك الحين، يُطلق عليه «عيد ميلاد أخضر»! لا تسأليني لماذا. كما يقول اللورد دندريري، «هناك بعض الأشياء التي لا يمكن لأحد أن يفهمها.»

«آن، هل سبق لكِ أن تركبي عربة كهربائية وتكتشفين أنك لا

تحملين أي مال لدفع تذكرتك؟ فعلت ذلك الآخر يوم. إنه أمر فظيع تمامًا. كانت معي نيكل عندما ركبت العربة. ظننتُ أنه في جيب معطفي الأيسر. عندما استقريت أسفل براحة، بحثت عنه. لم يكن هناك. شعرت برعشة باردة. بحثت في الجيب الآخر. لم يكن هناك. رعشت برعشة أخرى. ثم بحثت في جيب داخلي صغير. كلها بلا جدوى. لقد حدثت ارتجافين في نفس الوقت.

«أخذت قفازي، وضعتهما على المقعد، وعدت على جيوبي مرة أخرى. لم يكن هناك. وقفت وهززت نفسي، ثم نظرت إلى الأرض. كانت العربة مليئة بالناس، الذين كانوا في طريقهم إلى المنزل من الأوبرا، وكلهم كانوا يحدقون فيّ، لكنني لم أكن أبالي لشيء صغير مثل ذلك.

«ولكنني لم أستطع العثور على تذكرتي. استنتجت أنه يجب أنني وضعتها في فمي وابتلعتها عن غير قصد.

«لم أكن أعرف ماذا أفعل. هل سيتوقف السائق، تساءلت، وينزلني بخزانة الخزي والعار؟ هل كان من الممكن أن أقنعه بأنني كنت مجرد ضحية لانشغالي وليس مخلوقًا لا مبالي يحاول الحصول على رحلة بمظاهر كاذبة؟ كم أتمنى أن يكون أليك أو ألونزو هناك. ولكنهم لم يكونوا هناك لأنني أردتهم. إذا لم أكن أريدهم، لكانوا هناك بالعشرات. ولم أستطع أن أقرر ماذا أقول للسائق عندما جاء حولي. فور أنأتمت الكلمة الواحدة من التفسير في عقلي، شعرت أنه لا أحد يمكن أن يصدقها ويجب علي أن أتكون عبارة أخرى. بدا أنه لا يوجد شيء يفعله إلا أن يثق في القدر، ولكل الراحة التي أعطتني إياها كنت قد كنت بالمثل يمكن أن أكون السيدة العجوز التي، عندما قال لها الكابتن خلال عاصفة أنها يجب أن تضع ثقتها في اللّه، صرخت قائلة:

«يا كابتن، هل هو بهذا السوء؟»

«في اللحظة التقليدية، عندما هرب كل الأمل، وكان السائق يمد صندوقه للراكب بجانبي، تذكرت فجأة أين وضعت تلك القطعة المأساوية من المملكة. لم أكن قد ابتلعتها بعد. استخرجتها بتواضع من إصبع قفازي ودفعتها في الصندوق. ابتسمت للجميع وشعرت أنها عالم جميل.»

كانت زيارة إلى إيكو لودج لا تزال لديها من بين الرحلات اللطيفة في العطلات العديدة اللطيفة. عادت آن وديانا إليها عبر الطريق القديم لغابة الزان، محملتين معهم سلة غداء. أعيد فتح إيكو لودج، الذي تم إغلاقه منذ زواج الآنسة لافندر، للرياح وأشعة الشمس مرة أخرى، وأضاءت النيران مرة أخرى في الغرف الصغيرة. لا يزال عطر وعاء الورد للآنسة لافندر يملأ الهواء. كان من الصعب تصديق أن الآنسة لافندر لن تأتي في اللحظة الحالية، بعيونها البنية اللامعة بالترحيب، وأن تشارلوتا الرابعة، زرقاء الشريط وعريضة الابتسامة، لن تخرج من الباب. بول، أيضاً، يبدو أنه يحوم حولها، مع خيالاته الساحرة.

«إنه يجعلني حقًا أشعر قليلاً وكأنني شبح أعيد زيارة لمشاهد القمر القديمة،» ضحكت آن. «لنخرج ونرى ما إذا كانت التوترات في المنزل. احضري البوق القديم. لا يزال خلف باب المطبخ.»

كانت التوترات في المنزل، فوق النهر الأبيض، فضية واضحة كما كانت دائمًا؛ وعندما توقفوا عن الرد على الفتيات، قفلوا إيكو لودج مرة أخرى ورحلوا في النصف الكمال الذي يلي الغروب الشتوي المتلألئ باللون الوردي والأصفر الزعفراني.

الفصل الثامن

اقتراح آن الأول

لم تنقضِ السنة القديمة في شفق أخضر، مع غروب وردي-أصفر.بدلاً من ذلك، غادرت برياح بيضاء هائجة وعاتية. كانت إحدى الليالييعندما تتسارع رياح العاصفة فوق الحقول المتجمدة والهاويات السوداء،وتنعي حول السطوح كحيوان ضائع، وتدفع الثلج بحدة ضد النوافذالتي ترتجف.

«هذا النوع من الليالي الذي يحب الناس أن يتدفؤوا بين أغطيتهمويعدوا نعمهم»، قالت آن لجين أندروز، التي جاءت لتقضي الفترةالمسائية وتبيت عند آن. ولكن عندما كانوا يتدفؤون بين أغطيتهم، فيغرفة آن الصغيرة، لم تكن جين تفكر في نعم آن.

«آن»، قالت بجدية شديدة، «أريد أن أخبرك شيئًا. هل يمكنني؟»

كانت آن تشعر بالنعاس بعد الحفل الذي أقامته روبي جيليس في الليلة السابقة. كانت تفضل بكثير أن تنام بدلاً من الاستماع إلى أسرار جين، التي كانت واثقة من أنها ستجدها مملة.

لم يكن لديها أي نبوءة بما كان قادمًا. ربما كانت جين مخطوبة أيضًا؛تشيع الشائعات أن روبي جيليس كانت مخطوبة لمعلم مدرسة سبنسرفيل،ويُقال أن جميع الفتيات كانوا متحمسين لها.

«سأكون قريبًا الوحيدة العزباء في رباعيتنا القديمة»، فكرتآن. صرحت قائلة: «بالطبع.»

«آن»، قالت جين، بجدية أكثر، «ما رأيك في أخي بيلي؟»استنشقت آن بصعوبة عند هذا السؤال غير المتوقع، وتعثرتبلا مساعدة في أفكارها. يا اللّه، ماذا كانت تعتقد عن بيليأندروز؟ لم تكن قد فكرت أبدًا في أي شيء حوله – بيلي أندروزالذي يبتسم باستمرار وجهه مستدير، غبي، طيب الطبع. هل فكرأيشخص في بيلي أندروز أبدًا؟

«أنا، أنا لا أفهم، جين»، تلعثمت. «ماذا تعنين بالضبط؟»

«هل تحبين بيلي؟» سألت جين بصراحة.

«لماذا، لماذا، نعم، أنا أحبه، بالطبع»، صرخت آن، تتساءلعما إذا كانت تقول الحقيقة الحرفية. بالتأكيد، لم تكن تكره بيلي.

لكن هل يمكن اعتبار التسامح اللامبالي الذي تنظر به إليه،عندما يحدث أن يكون في مجال رؤيتها، كافيًا للإعجاب؟ ما الذي كانتتحاول جين توضيحه؟

«هل ترغبين في أن يكون لك زوج؟» سألت جين بهدوء.»زوج!» كانت آن جالسة على سريرها، بحيث يكون من الأفضل أنتتعامل مع مشكلة رأيها الدقيق في بيلي أندروز. الآن سقطت بسطحسريرها، وخرج الهواء منها تمامًا. «زوج مِن؟»

«منك، بالطبع»، أجابت جين. «بيلي يرغب في الزواج منك. كان دائماًمولعًا بك، والآن أعطاه الأب اسمه الزراعي العلوي باسمه الخاصولا يوجد شيء يمنعه من الزواج. لكنه خجول جدًا

لا يمكنه أن يطلب منكنفسه إذا كنت ستقبلينه، لذلك طلب مني أن أفعل ذلك. كنت أفضلعدم القيام بذلك، لكنه لم يتركني في سلام حتى قلت أنني سأفعل ذلك إذا حصلت على فرصة جيدة. ما رأيك في ذلك، آن؟»

هل هذا حلم؟ هل هو واحد من تلك الأمور المروعة التي تجد نفسكخاطبًا أو متزوجًا من شخص تكرهه أو لا تعرفه، بدون أدنى فكرة عنكيفية حدوثها؟ لا، هناك، آن شيرلي، كانت مستلقية هناك، مستيقظةتمامًا، في سريرها الخاص، وجين أندروز كانت بجوارها، تقترحبهدوء لأخيها بيلي. لم تكن آن تعرف ما إذا كانت تريد أن تتألمأم تضحك؛ ولكنها لا يمكن أن تفعل أي منهما، لأن مشاعر جين لا يجب

أن تؤذى.

«أنا، أنا لا أستطيع الزواج من بيل، تعلمين، جين»، استطاعت التلعثم في القول. «لماذا، لم يخطر لي بمثل هذه الفكرة أبدًا، أبدًا!!»

«لا أعتقد أنها خطرت على بالك»، أجابت جين. «كان بيلي دائمًاخجولًا جدًا ليفكر في الخطوبة. ولكن قد تفكرين في الأمر، آن.

بيلي شاب جيد. يجب أن أقول ذلك، إذا كان أخي. ليس لديه عاداتسيئة، وهو عامل عظيم، ويمكنك الاعتماد عليه. «عصفور في اليدخير من اثنين في الغابة.» قال لي أن أخبرك أنه سيكون مستعدًاتمامًا للانتظار حتى تنتهي من الكلية، إذا كنت تصرين، على الرغممن أنه كان يفضل الزواج هذا الربيع قبل بداية الزراعة.

سيكون دائماً طيبًا جدًا معك، أنا متأكدة، وتعلمين، آن، أنني أحب أن أكون لك أختًا.»

«لا أستطيع الزواج من بيلي»، قالت آن بحزم. لقد استعادت تفكيرها وكانت حتى تشعر بالغضب قليلاً. كان الأمر فارغًا تمامًا. «لا يوجد فائدة من التفكير في ذلك، جين. لا أهتم بشيء تجاهه بهذه الطريقة، ويجب أن تخبريه بذلك.»

«حسنًا، لم أكن أفترض أنك ستفعلين ذلك»، قالت جين بتنهد مستسلمة، مشعرة بأنها قد قامت بأفضل ما لديها. «قلت لبيلي إنني لا أعتقد أن هناك أي فائدة من أن يطلب منك، لكنه أصر. حسنًا، لقد اتخذتِ قرارك، آن، وآمل ألا تندمي عليه.»

تحدثت جين ببرود نوعًا ما. كانت واثقة تمامًا من أن بيلي المولع لا يحظى بأي فرصة لإقناع آن بالزواج منه. ومع ذلك، شعرت بقليل من الاستياء لأن آن شيرلي، التي كانت في النهاية مجرد يتيمة متبناة، بدون أقارب، ترفض أخاها – أحد آل أندرو من أوفينلي. حسنًا، الفخر يذهب أحيانًا قبل السقوط، رأت جين بتفكير محذر.

سمحت آن لنفسها بأن تبتسم في الظلام عند فكرة أنه قد تندم يومًا على عدم الزواج من بيلي أندروز.

«آمل ألا يشعر بيلي بخيبة كبيرة بسبب ذلك»، قالت بلطف.

جعلت جين حركة كأنها تهز رأسها على وسادتها.

«أوه، لن يكسر قلبه. بيلي لديه الكثير من الحكمة لهذا. إنه يحب نيتي بلويت أيضًا، والأم ستفضل أن يتزوجها من أي شخص آخر. إنها مديرة جيدة وموفرة. أعتقد أنه عندما يكون بيلي متأكدًا أنك لن تقبليه، سيتزوج نيتي. رجاءً، لا تذكرين هذا لأي شخص، أنتِ، آن؟»

«بالتأكيد لا»، قالت آن، التي لا ترغب على الإطلاق في نشر حقيقة أن بيلي أندروز يرغب في الزواج منها، مفضلًا إياها، بعد كل شيء، على نيتي بلويت!

«والآن أعتقد أنه من الأفضل أن نذهب إلى النوم»، اقترحت جين.

راحت جين إلى النوم بسهولة وبسرعة؛ ولكن، على الرغم من أنها تختلف كثيرًا عن مكبث في معظم النواحي، إلا أنها نجحت بالتأكيد في قتل النوم بالنسبة لآن. تلك العروس المقترحة استلقت على وسادتها بعيدًا عن النوم حتى الصباح الباكر، ولكن تأملاتها كانت بعيدة عن أن تكون رومانسية. ولكن لم تكن حتى الصباح التالي حتى حصلت على فرصة للاستمتاع بضحكة جيدة على القضية كلها. عندما عادت جين إلى منزلها، لا تزال هناك لمحة من الصقيع في الصوت والطريقة بسبب رفض آن بشكل غير ممتن وبشكل حاسم شرف التحالف مع بيت أندروز، انسحبت آن إلى غرفة الشرفة، أغلقت الباب، وضحكت أخيرًا.

«لو أنني يمكنني مشاركة هذه المزحة مع شخص ما!» فكرت آن. «ولكن لا يمكنني. ديانا هي الوحيدة التي أرغب في إخبارها، وحتى لو لم أكن قد أقسمت على السر لجين، لا يمكنني أن أخبر ديانا بالأمور الآن. إنها تخبر فريد بكل شيء - أنا أعلم ذلك. حسنًا، لقد حصلت على عرض الزواج الأول. اعتقدت أنه سيأتي في يوم من الأيام، لكنني بالتأكيد لم أكن أعتقد أنه سيكون عن طريق وكيل. إنها غريبة للغاية - ومع ذلك، هناك لدى الأمر نوع من الإحراج أيضًا.»

كانت آن تعرف تمامًا أين يكمن هذا الإحراج، على الرغم من أنها لم تعبّر عنه بكلمات. لقد كانت لديها أحلام سرية حول

المرة الأولى التي سيطلب منها أحدهم السؤال العظيم. وكانت، في تلك الأحلام، دائماً رومانسية وجميلة للغاية: وهذا الشخص كان يجب أن يكون وسيمًا جدًا وذو عيون داكنة ومظهر مميز وبليغ، سواء كان الأمير الساحر ليكون مسحورًا بالـ «نعم»، أو واحد يجب أن تُعطى له رفضًا مأساويًا وجميلًا لكنه لا أمل فيه. إذا كان الأخير، كان يجب أن يعبر الرفض بشكل لطيف حتى يكون الأمر كالموافقة، وسيذهب بعيدًا بعد تقبيل يدها، مؤكدًا لها تفانيه الدائم والمديد في الحياة. وسيكون دائمًا ذكرى جميلة، تفخر بها وتشعر بالحزن قليلاً أيضًا.

والآن، تحولت هذه التجربة المثيرة إلى شيء غريب. كان بيلي أندروز قد حصل على أخته لتقدم له عرض الزواج لأن والده قد أعطاه المزرعة العليا؛ وإذا لم ترغب آن في «أخذه»، فستأخذ نيتي بلويت. هذا هو الرومانسية بالتأكيد! ضحكت آن – ثم تنهدت. لقد تم فرك الزهرة من حلم فتاة صغيرة واحد. هل سيستمر العملية المؤلمة حتى يصبح كل شيء عاديًا ومملًا؟

الفصل التاسع

حبيب غير مرغوب فيه وصديق مرحب به

مر الفصل الثاني في ريدموند بسرعة تمامًا كما كان الحال مع الأول – «فعليًا انطلق بسرعة،» كما قالت فيليبا. استمتعت آن به بشكل كامل في جميع جوانبه – التنافس المحفز في الصفوف، وتكوين وتعميق صداقات جديدة ومفيدة، واللحظات الاجتماعية الصغيرة والممتعة، وأعمال الجمعيات المختلفة التي كانت عضوًا فيها، وتوسيع الآفاق والاهتمامات. درست بجد، لأنها كانت قد قررت أن تفوز بمنحة ثوربيرن في اللغة الإنجليزية. وكان فوزها بها يعني أنها يمكنها العودة إلى ريدموند في العام التالي دون التأثير على المدخرات الصغيرة لماريلا – شيء كانت آن عازمة على عدم فعله.

جيلبرت أيضًا كان يسعى جاهدًا للحصول على منحة دراسية، لكنه وجد الكثير من الوقت للقيام بزيارات متكررة إلى العنوان الثامن والثلاثين في سانت جونز. كان مرافقًا لآن في معظم فعاليات الكلية، وكانت تعلم أن أسمائهما تتداول في الشائعات حول ريدموند. كانت آن غاضبة من ذلك ولكنها كانت عاجزة؛ لا يمكنها التخلي عن صديق قديم مثل جيلبرت، خاصة عندما

أصبح ذكيًا وحذرًا فجأة، كما يليق به في الجوار الخطير لأكثر من شاب في ريدموند يودّ لو استطاع أن يحل محله بجوار هذه الفتاة النحيلة ذات الشعر الأحمر، التي عيونها الرمادية كانت جذابة كنجوم المساء. لم تكن آن تحظى بمرافقين مستعدين يترصدون حولها كما كان الحال مع فيليبا في عامها الأول، ولكن كان هناك فتى نحيف ذكي في السنة الأولى، وطالب مرح صغير في السنة الثانية، وطالب متعلم طويل في السنة الثالثة، الذين كانوا يحبون جميعًا أن يزوروا العنوان الثامن والثلاثين في سانت جونز، ويتحدثون مع آن حول «علم الأمور السماوية» و «المذاهب»، بالإضافة إلى مواضيع أخرى خفيفة، في صالون ذلك المسكون بالوسائد في تلك الإقامة. لم يحب جيلبرت أي منهم، وكان حذرًا للغاية في عدم منح أي منهم الميزة عليه من خلال أي عرض غير موقع وقته الحقيقي مع آن. بالنسبة لها، أصبح مرافقًا مرضيًا بشكل صادق لا يمكن لأحد أن يكون مثل جيلبرت. كانت مسرورة جدًا، كما قالت لنفسها، بأنه بدا واضحًا أنه قد ترك جميع الأفكار السخيفة، على الرغم من أنها قضت وقتًا كبيرًا تتساءل في سرها عن السبب.

فقط وقع حادث غير مرغوب فيه في ذلك الشتاء. سأل تشارلي سلون، وهو جالس بشكل مستقيم تمامًا على وسادة السيدة آدا الأكثر المفضلة، آن في إذا كانت ستسعد بـ «أن تصبح السيدة تشارلي سلون في يوم من الأيام». بعد محاولة بيلي أندروز بالوكالة، لم يكن هذا الأمر صدمة كبيرة لحساسيات آن الرومانسية كما كان سيكون في حالة أخرى، ولكنه كان بالتأكيد خيبة أمل أخرى تمزق القلب. كانت غاضبة أيضًا، لأنها شعرت أنها لم تعطِ تشارلي أدنى تشجيع ليفترض مثل هذا الشيء.

ولكن ماذا يمكن أن تتوقع من شخص من عائلة سلون، كما تسأل السيدة راشيل لايند بسخرية؟ كل تصرفات تشارلي، ونبرة صوته وأنفاسه، وكلماته كانت تنبعث برائحة آل سلون. «إنه يشعر أنه كان يمنحها شرفًا كبيرًا - لا شك أبدًا في ذلك. وعندما رفضته آن، التي كانت عديمة الإحساس تمامًا بهذا الشرف، بأدب وتقدير، لأن حتى آل سلون لديهم مشاعر يجب ألا تتم مراعاتها بشكل مفرط، خانته نفسه فلم يستطع كبحها. بالتأكيد، لم يأخذ تشارلي رفضه كما فعل المرشحون المرفوضون الوهميون لآن. بدلاً من ذلك، أصبح غاضبًا، وأظهر ذلك؛ قال بضع كلمات غير لطيفة؛ غضبت آن فجأة وردت بتصريح حاد اخترقت حتى سترة آل سلون الواقية لتصل إلى الجوهر؛ أمسك بقبعته وألقى بنفسه خارج المنزل بوجه محمر جداً؛ أسرعت آن إلى الطابق العلوي، ووقعت مرتين فوق وسادة السيدة آدا في الطريق، وألقت بنفسها على سريرها، في دموع الإهانة والغضب. هل فعلاً تورطت في مشاجرة مع سلون؟ هل كان من الممكن أن يقول تشارلي سلون أي شيء لديه القدرة على جعلها غاضبة؟ أوه، هذا كان الذل، بالفعل - أسوأ حتى من أن تكون منافسة لنيتي بليوت!

«أتمنى ألا أضطر أبدًا لرؤية هذا المخلوق الرهيب مرة أخرى»، همست بشكل انتقامي إلى وسائدها.

لم تتمكن من تجنب رؤيته مرة أخرى، ولكن تأكد تشارلي المستاء أن يكون ذلك ليس عن كثب جدًا. وبالمستقبل، كانت وسائد السيدة آدا آمنة من نهبه، وعندما التقت آن به في الشارع أو في قاعات ريدموند، كانت ابتسامته باردة للغاية. استمرت العلاقات بين هذين الزميلين القدامى بهذا الشكل المتوتر لمدة تقريبية عام! ثم نقل تشارلي مشاعره المحطمة إلى فتاة صغيرة

في الصف الثاني جامعية، دائرية، وردية، ذات أنف قصير، وعيون زرقـاء، تقدرها كما يسـتحق، وبناءً علـى ذلك، عفا عن آن وتنازل بالتكـرم بأن يكـون مهذبًا معها مرة أخرى؛ بطريقة اسـتصاحبية تهدف إلى إظهار لها ببساطة ما فقدته.

ذات يوم، دخلت آن إلى غرفة بريسيلا بحماس.

«اقرئي هذا»، صاحت، ملقية رسـالة إلى بريسـيلا. «إنها من سـتيلا – وهـي قادمة إلى ريدمونـد العام المقبل – وما رأيك في فكرتها؟ أعتقد أنها فكرة رائعة تمامًا، إذا كنا نسـتطيع تنفيذها. هل تعتقدين أننا يمكننا، بريس؟»

«سـأكون قـادرة على إخبارك بشـكل أفضل عندمـا أعرف ما هي»، قالت بريسيلا، وضعت جانبًا معجم اللغة اليونانية وأخذت رسـالة سـتيلا. كانـت سـتيلا ماينـارد واحدة مـن أصدقائهن في الأكاديمية الملكية ، وقد كانت تعلم المدرسة منذ ذلك الحين.

«ولكـن سـأتركها، عزيزتـي آن»، كتبت، «وسـأذهب إلى الكلية العام القادم. حيث إنني درسـت السـنة الثالثة في كوين، يمكنني الالتحاق بالسنة الثانية. أنا متعبة من التدريس في مدرسة ريفية. فـي يـوم مـن الأيام، سـأكتب مؤلفًـا عن «محنـة مدرسـة ريفية». سـيكون قطعـة واقعية مروعة. يبدو أن الانطباع السـائد هو أننا نعيـش في الفخ، وليس لدينا شـيء سـوى سـحب راتبنـا الربعي. سيقول مؤلفي، بأنّ مؤلفي هذا المؤلف، الحقيقة حولنا. «حسنًا، تحصليـن علـى أموالك بسـهولة»، سـيقول لـي أحـد المدفوعين بالضرائب بتنازل. «كل ما عليك فعله هو الجلوس هناك وسـماع الـدروس». كنـت أعارض المسـألة فـي البداية، لكننـي أصبحت أكثـر حكمـة الآن. الحقائـق أمـور صعبة، ولكن كما قال شـخص مـا بحكمـة، ليسـت صعبـة إلى هذا الحـد كما هي الأوهـام. لذا

أنا فقط أبتسم بمعنى الارتفاع الآن في صمت جليل. لدي تسع صفوف في مدرستي ويجب أن أدرس قليلاً من كل شيء، بدءًا من استكشاف داخلية الديدان الأرضية إلى دراسة النظام الشمسي. أصغر طالب في مدرستي عمره أربع سنوات – أمه ترسله إلى المدرسة لـ «تخليصه من الطريق» – وأكبره عمره عشرون عامًا – «لقد ضربه بفكرة» أنه سيكون من الأسهل الذهاب إلى المدرسة والحصول على تعليم بدلاً من متابعة الحرث لفترة أطول. في محاولة جامحة لضغط كل أنواع البحوث في ست ساعات يوميًا، لا أعتبر أن الأطفال يشعرون بشكل طبيعي كما شعر الصبي الصغير الذي تم أخذه لرؤية البايوجراف. «علي أن أبحث ما سيأتي بعج قبل أن أعرف ماذا حدث «، كان يشكو. أشعر بنفس الشيء بنفسي.

«والرسائل التي أحصل عليها، آن! تكتب لي أم تومي أن تومي لا يتقدم في الحساب بسرعة كما تود. إنه لا يزال في التقليل البسيط فقط، وجوني جونسون في الكسور، وجوني ليس نصف ذكاؤه مثل تومي، ولا تستطيع فهم ذلك. ووالد سوزي يريد أن يعرف لماذا لا تستطيع سوزي كتابة رسالة دون أن تكتب نصف الكلمات بشكل صحيح، وتريد عمة ديك مني أن أغير مقعده، لأن الصبي السيء الذي يجلس بجانبه، صبي براون، يعلمه كيفية قول كلمات غير لائقة.

«أما بالنسبة للجزء المالي – ولكنني لن أبدأ في ذلك. أولئك الذين يريدون الهلاك لابد أن يجعلوا منهم مدرسات ريفيات!

«هناك، أشعر بتحسن بعد هذا الشكوى. في النهاية، لقد استمتعت بالسنتين الماضيتين. ولكنني سأذهب إلى ريدموند.

«والآن، آن، لـدي خطـة صغيرة. تعلميـن كم أكره الإقامة. لقد قمـت بالإقامـة لمـدة أربـع سـنوات وأنـا متعبة جدًا مـن ذلك. لا أشعر بأنني على استعداد لتحمل ثلاث سنوات إضافية من ذلك.

«الآن، لمـاذا لا نقـوم أنـتِ وبريسـيلا وأنـا بتكوين نـادي معًا، نسـتأجر بيتًـا صغيـرًا فـي مـكان مـا فـي كينغسـبورت، ونتنـاول طعامنا بأنفسـنا؟ سـيكون أرخص من أي وسـيلة أخرى. بالطبع، سـنحتاج إلـى خادمـة منزلية، ولدي واحـدة جاهزة فـي المكان. هـل سـمعتِ يومًا عـن عمتي جيمسـينا؟ إنها أطيب عمة عاشـت علـى الإطـلاق، على الرغم من اسـمها. لا يمكنهـا تغيير ذلك! تم تسـميتها جيمسـينا لأن والدهـا، الـذي كان اسـمه جيمس، غرق في البحر قبل شـهر من ولادتها. أنا دائمًا أناديها عمة جيمسـي. حسنًا، ابنتها الوحيدة تزوجت مؤخرًا وذهبت إلى ميدان الرسالة الأجنبيـة. عمـة جيمسـينا تركـت وحدهـا في منـزل كبيـر جدًا، وهي وحيدة بشـكل فظيع. إذا أردنا، سـتأتي عمة جيمسـينا إلى كينغسـبورت وسـتدير المنزل لنا، وأنا أعلم أنكِ سـتحبينها. كلما فكرت في هذه الخطة، زاد إعجابي بها. يمكننا أن نقضي أوقاتًا جيدة ومستقلة.»

«الآن، إذا كنتِ وبريسيلا متفقتين على ذلك، أليس من الفكرة الجيدة بالنسبة لكِ، التي تكونين في المكان، أن تتجولي وتبحثي لتـرى مـا إذا كان بإمكانكِ العثور على منزل مناسـب هذا الربيع؟ سيكون ذلك أفضل من تأجيله حتى الخريف. إذا كنتِ تستطيعين الحصـول علـى منزل مفـروش، فذلك أفضل بكثيـر، ولكن إذا لم يكـن الأمـر كذلـك، فيمكننا العثور علـى بعض الأثـاث بيننا وبين أصدقـاء العائلة القدامـى الذين لديهم غرف في العلية. على أي حـال، قـرري في أقـرب وقت ممكن واكتبي لـي، حتى تعرف عمة

جيمسينا ما هي الخطط التي سنتخذها للعام القادم.»

«أعتقد أنها فكرة جيدة»، قالت بريسيلا.

«أنا أيضًا»، أوقعت آن بسعادة. «بالطبع، لدينا نزل لطيف هنا، ولكن عندما يتعلق الأمر بالنهاية، النزل ليس بيتًا. لنذهب للبحث عن منزل على الفور، قبل أن تبدأ الامتحانات.»

«أخشى أن يكون من الصعب العثور على منزل مناسب حقًا»، حذرت بريسيلا. «لا تتوقعي كثيرًا، آن. المنازل الجميلة في المناطق الجميلة ستكون على الأرجح خارجة عن إمكانياتنا. ربما سيتعين علينا أن نكتفي بمكان صغير ومتهالك في بعض الشارع حيث يعيش الناس الذين يجهلهم الجميع، ونجعل الحياة في الداخل تعوض عن الخارج.»

وبناءً على ذلك، ذهبوا للبحث عن المنزل، ولكن العثور على ما يريدونه كان أصعب حتى من ما كانت بريسيلا تخشاه. كان هناك منازل كثيرة، مفروشة وغير مفروشة؛ ولكن أحدها كبير جدًا، والآخر صغير جدًا؛ هذا غال جدًا، وذاك بعيد جدًا عن ريدموند. بدأت الامتحانات وانتهت؛ جاءت الأسبوع الأخير من الفصل ولا يزال «بيت الأحلام» الخاص بهم، كما سمته آن، يظل قصرًا في الهواء.

«سنضطر إلى التخلي عن الأمر والانتظار حتى الخريف، أعتقد»، قالت بريسيلا بتعب، وهما يتجولان في الحديقة في أحد أيام إبريل الجميلة التي تهمس بالنسيم واللون الأزرق، حينما كان المرفأ يتخلله اللون اللؤلؤي تحت الضباب الهوائي باللون الأبيض. «ربما نجد بعض المأوى حينها؛ وإذا لم نجد، فسنكون دائمًا مع النزل.»

«لـن أقلـق حيـال ذلـك الآن على أي حال، وأفسـد هـذا البعد الجميـل»، قالـت آن وهـي تتأمـل من حولهـا بسـعادة. كان الهواء البـارد النقي يحمـل رائحة خفيفة من الصنوبر الميت، والسـماء فوقها كانت صافية وزرقاء – فمن كأس عظيمة مقلوبة من البركة. «الربيع يغني في دمي اليوم، وإغراء إبريل يطوف في الهواء. أرى رؤى وأحلم أحلامًا، بريس. هذا لأن الرياح قادمة من الغرب. أنا أحـب الريـاح الغربية. إنها تغني عن الأمـل والفرح، أليس كذلك؟ عندما تكون الرياح الشرقية تهب، أفكر دائمًا في المطر الحزين علـى القنوات والأمواج الحزينة على شـاطئ رمادي. عندما أكبر سأعاني من التهاب المفاصل عندما تكون الرياح شرقية.»

«وأليـس رائعًا عندما تتخلصين من الفرو والملابس الشـتوية للمرة الأولى وتخرجين، مثل هذا، بزي الربيع؟» ضحكت بريسيلا. «ألم تشعري كما لو كنتِ قد تم تجديدكِ؟»

«كل شـيء جديـد فـي الربيـع»، قالت آن. «الربيع نفسـه دائمًا جديـد، أيضًـا. لا يكـون أي ربيـع مثل أي ربيع آخـر. دائمًا هناك شـيء مميز ليكون عطره الخاص. انظري كم هو أخضر العشـب حول تلك البركة الصغيرة، وكيف تنفتح براعم الصفصاف.»

«وانتهـت الامتحانـات وذهبت – سـيأتي وقـت الاحتفال قريبًا – الأربعـاء القـادم. فـي هـذا اليـوم الأسـبوع القادم سـنكون في المنزل.»

«أنا مسرورة»، قالت آن بحلم. «هناك الكثير من الأشياء التي أرغب في فعلها. أريد الجلوس على درج الشرفة الخلفية وأشعر بالنسيم يهب عبر حقول السيد هاريسون. أريد البحث عن الفرن فـي الغابـة المسـكونة وجمـع البنفسـج فـي وادي البنفسـج. هل تتذكرين يوم نزهتنا الذهبية، بريسيلا؟ أريد سماع غناء الضفادع

وهمس الصفصاف. ولكني تعلمت أيضًا أن أحب كينجسبورت، وأنا سعيدة بأنني سأعود في الخريف المقبل. لو لم أفز بجائزة ثوربورن، لا أعتقد أنني كنتُ قادرة على ذلك. لا يمكنني أخذ أي شيء من احتياطي ماريلا.»

«إذا كنا نستطيع فقط العثور على منزل!» أومأت ألبريسيلا. «انظري إلى هناك في كينجسبورت، آن – منازل، منازل في كل مكان، ولكن ليس واحد لنا.»

«توقفي عن ذلك، بريس. «الأفضل لم يأتِ بعد.» مثل الرومان القدماء، سنجد منزلًا أو نبني واحدًا. في يوم مثل هذا، لا يوجد كلمة «فشل» في قاموسي اللامع.»

لطالما تأخرا في الحديقة حتى غروب الشمس، يعيشون في عجائب الربيع ومجده وعجبه. وعادوا إلى المنزل كالمعتاد، عبر شارع سبوفورد، لكي يتمتعوا بلحظة النظر إلى «مكان باتي».

«أشعر كما لو أن شيئًا غامضًا سيحدث في الحال – «بلمسة أصابعي»، قالت آن، بينما كانوا يتسلقون السلم. «إنها شعور رائع كما في كتاب القصص. لماذا – لماذا – لماذا! بريسيلا جرانت، انظري هناك وقولي لي هل هذا صحيح، أم أنني أرى أشياء؟»

نظرت بريسيلا. لم تخدع أصابع آن وعيونها. كان هناك، على بوابة مكان باتي، لافتة صغيرة ومتواضعة. كتب عليها «للإيجار، مفروشة. الاستفسار في الداخل.»

«بريسيلا»، قالت آن، بصوت همس، «هل تعتقدين أنه من الممكن أن نستأجر مكان باتي؟»

«لا، لا أعتقد»، أكدت بريسيلا. «سيكون الأمر جيدًا جدًا ليكون حقيقيًا. لا تحدث الحكايات الخرافية في هذه الأيام. لن أتأمل، آن. سيكون الإحباط صعبًا جدًا للتحمل. على الأرجح،

سـيكون عليهم أن يطلبوا ثمنًا أكبر مما نسـتطيع تحمله. تذكري، إنه على شارع سبوفورد.»

«علينـا أن نعـرف علـى أي حـال»، قالـت آن بعـزم. «لقد فات الوقـت لندعو هذا المسـاء، ولكننا سـنأتي غـدًا. أوه، بريس، إذا استطعنا الحصول على هذا المكان الجميل! لقد شعرت دائمًا أن مصيري مرتبط بمكان باتي، منذ أول مرة رأيته.»

الفصل العاشر
منزل باتي

فـي المسـاء التالي، وجدوا أنفسـهم يخطون بحـزم على ممر الحديقة الصغيرة بشـكل معاكس. كانت رياح أبريل تملأ أشـجار الصنوبـر بأنغامهـا، وكانت الغابة حية بصيـاح الطيور الحمراء – ذكـور ضخمة وسـمينة ووقحة، تمشـي على طـول الممرات. رنت الفتيـات بحـذر، وتـم السـماح لهـن بالدخـول عـن طريـق خادمة قاسـية وعجـوز. انفتـح الباب مباشـرة عـن غرفة معيشـة كبيرة، حيـث جلسـت امرأتان أمـام نار صغيـرة ودافئة، وكانـت كلتاهما قاسـيتين وعجوزتيـن أيضًـا. باسـتثناء أن إحداهـن تبـدو حوالي السـبعين والأخرى حوالي الخمسـين، لم يكن هناك فارق طائفي كبيـر بينهمـا. كان لـدى كل واحدة عيـون كبيرة للغايـة بلون أزرق فاتـح وراء نظـارات ذات إطـار فـولاذي؛ كل واحـدة كانـت ترتدي قبعـة وشـال رمـادي؛ كل واحـدة كانـت تحيـك بدون عجلـة وبلا اسـتراحة؛ كل واحـدة كانت تتأرجح بسـكون وتنظـر إلى الفتيات دون أن تتحـدث؛ ومباشـرة خلـف كل واحدة جلسـت كلبة صينية كبيـرة بلـون أبيض، وكانت لديها نقاط خضـراء دائرية في جميع أنحائهـا، وأنـف وأذنـان خضراء. أعجبـت آن بهذه الـكلاب على الفور؛ بدت وكأنها الآلهة الحارسة لـ «منزل باتي».

لبضع دقائق لم يتحدث أحد. كانت الفتيات عصبيات جدًا للعثور على كلمات، ولم يبدو كل من السيدات العجوزات والكلاب الصينية ميالين إلى الحديث. لقد لقنت آن نظرة حول الغرفة. ياله من مكان جميل! انفتح باب آخر مباشرةً على الغابة الصنوبرية وجاءت الطيور الحمراء بجرأة على الخطوة نفسها. كان الأرضية مغطاة بسجاد دائرية ومضفورة، مثل تلك التي كانت تصنعها ماريلا في البراري الخضراء، والتي كانت تعتبر قديمة في كل مكان آخر، حتى في أفونلي. ومع ذلك، إليك هنا في شارع سبوفورد! كان هناك ساعة جد أبيض كبيرة ومصقولة تقرع بصوت عالٍ وجاد في الزاوية. كانت هناك خزائن صغيرة رائعة فوق الباطن، وراء أبوابها الزجاجية تلمع قطع غريبة من الصين. كانت الجدران معلقة بالطبعات القديمة والصور المظللة. في زاوية واحدة، صعدت السلالم، وفي أول منعطف منخفض كان هناك نافذة طويلة مع مقعد مدعو. كان كل شيء كما كانت آن تعلم أنه يجب أن يكون.

في هذا الوقت، كبر الصمت إلى درجة فظيعة، وحثت بريسيلا آن باللمس لتلمح أنها يجب أن تتحدث.

«نحن ... رأينا من خلال لافتتكم أن هذا المنزل متاح للإيجار،» قالت آن بخجل، متحدثة إلى السيدة الأكبر سنًا، التي كانت بوضوح السيدة باتي سبوفورد.

«آه، نعم»، قالت السيدة باتي. «كنت أنوي أن أخلع هذه اللافتة اليوم.»

«إذاً، إذاً، نحن متأخرون»، قالت آن بحزن. «هل قد أجريتِه لشخص آخر؟»

«لا، لكننا قررنا عدم تأجيره على الإطلاق.»

«آه، أنا آسفة جدًا»، صاحت آن بدفء. «أنا أحب هذا المكان كثيرًا. كنت آمل أن نتمكن من الحصول عليه.»

حينئذٍ وضعت السيدة باتي حياكتها جانبًا، خلعت نظارتها، فركتها، ووضعتها مرة أخرى، ولأول مرة نظرت إلى آن كما لو كانت إنسانة. وقد تبعتها السيدة الأخرى في مثل هذا التصرف بشكل مثالي حتى أنه كأنها كانت صورة في المرآة.

«أنتِ تحبينه»، قالت السيدة باتي بتأكيد. «هل هذا يعني أنكِ تحبينه حقًا؟ أم أنكِ مجرد تحبين شكله؟ الفتيات في هذه الأيام يلهين أنفسهن بتصريحات مبالغ فيها لدرجة أن المرء لا يستطيع أن يعرف ما الذي يقصدهن. لم يكن الأمر كذلك في أيام شبابي. حينها لم تقل الفتاة إنها تحب اللفت بنفس الطريقة التي كانت تقول فيها إنها تحب أمها أو مخلصها.»

وأثقلت الضمير آن.

«قالت بلطف: «أنا حقاً أحبها كثيراً. لقد أحببتها منذ رأيتها في الخريف الماضي. صديقتاي في الكلية وأنا نرغب في إقامة منزل العام القادم بدلاً من السكن في المبيت، لذا نحن نبحث عن مكان صغير للإيجار. وعندما رأيت أن هذا المنزل متاح للإيجار، كنت سعيدة جداً.»

«إذا كنتِ تحبينه، يمكنكِ الحصول عليه،» قالت السيدة باتي. «قررنا ماريا وأنا اليوم أننا لن نؤجره بعد الآن، لأننا لم نعجب بأي من الأشخاص الذين أرادوا استئجاره. ليس علينا أن نؤجره. يمكننا أن نتحمل الذهاب إلى أوروبا حتى إذا لم نؤجره. سيساعدنا ذلك، ولكنني لن أسمح لمنزلي أن يمر إلى ملكية أشخاص مثل الذين جاءوا هنا ونظروا إليه. أنتِ مختلفة. أعتقد أنكِ تحبينه وستكونين جيدة له. يمكنكِ الحصول عليه.»

«إذاً... إذا كنا قادرات على دفع ما تطلبينه عليه،» ترددت آن. وذكرت السيدة باتي المبلغ المطلوب. نظرت آن وبريسيلا إلى بعضهما. هزت بريسيلا رأسها.

«أخشى أننا قد لا نكون قادرات على دفع كل هذا المبلغ،» قالت آن مكبّلة إحباطها. «ترى، نحن فقط فتيات جامعية ونحن فقيرات.»

«ما الذي كنتِ تظنين أنكِ يمكنكِ تحمله؟» طالبت السيدة باتي، وهي لا تتوقف عن الحياكة.

ذكرت آن المبلغ الذي تستطيع دفعه. أومأت السيدة باتي بجدية.

«سيكون ذلك جيدًا. كما قلت لكِ، ليس من الضروري تأجيره على الإطلاق. نحن لسنا أغنياء، ولكن لدينا ما يكفي للذهاب إلى أوروبا. لم أكن في أوروبا في حياتي، ولم أتوقع أو أرغب في الذهاب. ولكن ابنة أختي هنا، ماريا سبوفورد، تحب أن تذهب. الآن، تعلمين أن شخصًا شابًا مثل ماريا لا يمكنه السفر حول العالم بمفرده.»

«لا، لا أظن ذلك،» همست آن، راجية أن تكون السيدة باتي جادة تمامًا.

«بالطبع لا. لذلك يجب علي الذهاب للعناية بها. أتوقع أن أستمتع به أيضًا. عمري سبعون عامًا، ولكنني لا أزال لا أشعر بالملل من الحياة. ربما كنت قد ذهبت إلى أوروبا من قبل إذا كانت الفكرة قد تبادرت إلي. سنكون بعيدين لمدة عامين، وربما ثلاثة. سنبحر في يونيو وسنرسل لك المفتاح ونترك كل شيء في ترتيب لك لتتولى الملكية عندما تختارين. سنقوم بتعبئة بعض الأشياء التي نقدرها بشكل خاص، ولكن سيتم ترك كل الباقي.»

«هل ستتركين الكلاب الصينية؟» سألت آن بخجل.

«هل ترغبين في ذلك؟»

«أوه، بالفعل، نعم. إنها رائعة.»

ظهرت تعبيرات سعادة على وجه السيدة باتي.

«أعتبر الكثير من هذه الكلاب،» قالت بفخر. «إنها تبلغ من العمر أكثر من مائة عام، وجلست على كل جانب من هذا الموقد منذ أن جلبهم أخي آرون من لندن قبل خمسين عامًا. تم تسمية طريق سبوفورد باسم أخي آرون.»

«كان رجلاً عظيماً،» قالت الآن ماريا لأول مرة.

«أه، لا ترى مثله هذه الأيام.»

«كان عمًا طيبًا لك، ماريا،» قالت السيدة باتي، بتعابير واضحة من الانفعال. «أنت تفعلين جيدًا عندما تتذكرينه.»

«سأتذكره دائمًا،» قالت ماريا السيدة باتي بجدية. «يمكنني أن أراه، في هذه اللحظة، يقف هناك أمام تلك النار، بيديه تحت ذيل معطفه، يشع علينا بابتسامته.»

أخرجت ماريا منديلها ومسحت عينيها، ولكن السيدة باتي عادت بحزم من مناطق العاطفة إلى تلك التجارية.

«سأترك الكلاب حيث هي، إذا وعدتِ بأن تكونين حذرة جداً بها»، قالت. «أسماؤهما هي يأجوج ومأجوج. جوج ينظر إلى اليمين وماغوج إلى اليسار. وهناك شيء واحد فقط آخر. أتمنى ألا تعارضين على أن يُطلق على هذا المنزل اسم «منزل باتي»؟»

«لا، بالطبع. نعتقد أن هذا أحد أجمل الأمور فيه.»

«أنتِ عاقلة، أرى ذلك،» قالت السيدة باتي بلهجة راضية. «هل تصدقين؟ كل الأشخاص الذين جاؤوا هنا لاستئجار المنزل أرادوا أن يعرفوا هل يمكنهم أن يأخذوا اسم البوابة أثناء فترة

احتلالهم للمنزل. قلت لهم بجرأة أن الاسم يأتي مع المنزل. لقد كان هـذا «منـزل باتـي» منـذ أن تركـه أخي آرون لي فـي وصيته، وسـيظل «منـزل باتي» حتى أموت وتمـوت ماريا. بعد ذلك، يمكن للمالك التالي أن يطلق عليه أي اسم غبي يحبه،» ختمت السيدة باتـي، تمامًا كما لو كانت سـتقول، «بعد ذلك—الطوفان.» «والآن، ألا تودين أن تتجولـي فـي المنـزل وترى كل شـيء قبـل أن نعتبر الصفقة مبرمة؟»

اسـتمرت الاستكشـاف الإضافـي فـي إسـعاد الفتيـات أكثـر فأكثـر. بالإضافـة إلى الغرفـة الكبيرة، كان هنـاك مطبخ وغرفة نـوم صغيرة في الطابق السـفلي. في الطابـق العلوي كانت هناك ثـلاث غرف، إحداها كبيرة واثنتان صغيرتان. أعجبت آن بشـكل خـاص بإحدى الغرف الصغيـرة، التي تطل على الصنوبر الكبير، وأملـت أن تكـون هي لهـا. كانت مغطاة بورقة زرقـاء فاتحة وكان بهـا مكتـب تواليـت صغير من الزمن القديم مـع مصابيح جدارية للشـموع. وكان هنـاك نافـذة ذات ألـواح المـاس مـع مقعد تحت الدانتيـل الأزرق الناعـم الـذي سـيكون مكانًا مريحًا للدراسـة أو الحلم.

«إنها جميلة لدرجة أنني أعلم أننا سنستيقظ ونجد أنها رؤية عابرة في الليلة،» قالت بريسيلا وهما يغادران.

«السـيدة باتي والسـيدة ماريا ليسـتا بالضبط مادة أحلامنا،» ضحكـت آن. «هـل يمكنـك أن تتخيلهما في «جولة حـول العالم»، خاصةً في تلك الشالات بتلك القبعات؟»

«أظن أنهما سـتخلعانها عندمـا يبدآن حقًا في الجولة،» قالت بريسـيلا، «لكنني أعلم أنهما ستأخذان معهماأشغال الحياكة في كل مـكان. لا يمكنهمـا ببسـاطة أن يفترقـا عنها. سـتتجولان في

أكابي وستمكن،بالتأكيد. وفي هذه الأثناء، آن، سنعيش في «منزل باتي» – وفي طريق سبوفورد. أشعر وكأنني مليونيرة من الآن.»

«أشعر وكأنني واحدة من نجوم الصباح التي غنت بالفرح،» قالت آن.

في تلك الليلة، تسللت فيل غوردون إلى الثامنة والثلاثين في سانت جون واندفعت نحو فراش آن.

«الفتيات، عزيزاتي، أنا متعبة حتى الموت. أشعر وكأنني الرجل بلا وطن – أو هل كان بلا ظل؟ أنا لا أتذكر أيهما. على أي حال، لقد كنت قمت بتجهيز الأمتعة.»

«وأفترض أنك تعبت لأنك لم تستطع قرارًا بشأن الأشياء التي يجب أن تحزمها أولاً، أو أين تضعها،» ضحكت بريسيلا. «بالضبط، وعندما حشوت كل شيء بطريقة ما، وجلست صاحبة البيت وخادمتها على ذلك أثناء قفلي له، اكتشفت أنني قد حزمت الكثير من الأشياء التي أردتها لحفل التخرج في أسفل الحقيبة. كان علي أن أفتح الشيء القديم وأغوص فيه لمدة ساعة حتى انتزعت ما أردت. كنت ألتقط شيئًا شعرت فيه بأنه ما أبحث عنه، وسحبته، وكان شيئًا آخر. لا، آن، لم أقل أي شتم.»

«لم أقل أنك قلت.»

«حسنًا، بدت وكأنك قلت. ولكن أعترف أن أفكاري اقتربت من الشتم. وعندي برد في الرأس — لا أستطيع فعل شيء سوى شم وتنهد وعطس. أليس ذلك معاناة من التكرار الحروف لك؟ الملكة آن، قولي شيئًا لتشجيعي.»

«تذكري أنك ستعودين إلى أرض أليك وألونزو الخميس المقبل،» اقترحت آن.

أخذت فيل رأسها بحزن.

«المزيد من التكرار الحروف. لا، لا أريد أليك وألونزو عندما أكون مصابة بالبرد. ولكن ماذا حدث لكما؟ الآن بعد أن أنظر إليكما عن كثب، يبدو أنكما مضاءتان بالتألق الداخلي. لماذا، أنتما تلمعان فعلياً! ما الذي حدث؟»

«سنعيش في منزل باتي الشتوي المقبل،» قالت آن بانتصار. «عيش، احفظي ذلك، لا تنتظمون! لقد استأجرناه، وستيلا ماينارد قادمة، وعمتها ستدير المنزل لنا.»

قفزت فيل، مسحت أنفها، وسقطت على ركبتيها أمام آن.

«فتيات — فتيات — دعوني آتي. أوه، سأكون جيدة جدًا. إذا لم يكن هناك مكان لي، سأنام في البهو الصغير في الساحة — رأيته. فقط دعوني أتي.»

«قومي، يا غبية.»

«لن أتحرك من مكاني حتى تقولي لي إنني يمكن أن أعيش معكم الشتاء القادم.»

نظرت آن وبريسيلا إلى بعضهما. ثم قالت آن ببطء، «فيل العزيزة، سنكون سعيدات بأن يكون ذلك. ولكن لنتحدث بصراحة. أنا فقيرة، وبريسيلا فقيرة، وستيلا ماينارد فقيرة، ويجب أن يكون تدبير منزلنا بسيطًا للغاية ومائدتنا متواضعة. ستضطرين للعيش كما نعيش نحن. الآن، أنتِ غنية ومأكولات النزل الخاص بكِ تثبت ذلك.»

«من أين أتيت بذلك؟» طالبت فيل بشكل مأساوي. «أفضل عشاء من الأعشاب حيث تكون صديقاتيعلى أكل ثور في غرفة النزل وأنا وحيدة. لا تعتقدن أنني كل ما أهتم به هو المعدة، فتيات. سأكون على استعداد للعيش على الخبز والماء مع قليل من المربى فقط إذا سمحتن لي بالقدوم.»

«ثم،» استمرت آن، «سيكون هناك الكثير من العمل الذي يجب القيام به. لا يمكن للعمة ستيلا أن تفعل كل شيء. نتوقع جميعًا أن يكون لدينا أعمال يومية للقيام بها. الآن، أنتِ—»

«لاأطبخ، ولا أغزل،» أكملت فيليبا. «لكنني سأتعلم فعل الأشياء. يكفي أن ترِيني مرة واحدة. يمكنني أن أرتب سريري كبداية. وتذكري أنني، رغم عدم إجادتي الطهي، يمكنني أن أحتفظ بهدوء غضبي. هذا شيء. وأنا لا أتذمر أبدًا من الطقس. هذا أكثر. أوه، من فضلك، من فضلكِ! لم أرد أي شيء بهذا القدر في حياتي — وهذه الأرض صعبة للغاية.»

«هناك شيء واحد آخر فقط،» قالت بريسيلا بحزم. «أنتِ، فيل، كما يعلم الجميع في ريدموند، تستضيفين الزوار تقريبًا كل مساء. الآن، في منزل باتي، لا يمكننا فعل ذلك. قررنا أننا سنستضيف في المنزل أصدقاءنا يوم الجمعة فقط. إذا جئتِ معنا، عليكِ أن تلتزمي بهذه القاعدة.»

«حسنًا، لا تعتقدي أنني سأمانع ذلك، أليس كذلك؟ لقد فرحت بهذا. كنت أعلم أنهستكون هناك قاعدة مثل هذه من تلقاء نفسي، لكن لم يكن لدي قرار كافٍ لتحديدها أو الالتزام بها. إذا لم تسمحن لي بالانضمام إليكن، سأموت من الإحباط، ثم سأعود وأطاردكن. سأخيم على عتبة منزل باتي ولن تكن ا قادرات على الخروج أو الدخول دون أن تتعثرن بشبحي.»

مرة أخرى، تبادلت آن وبريسيلانظرات معبرة.

«حسنًا،» قالت آن، «بالطبع لا يمكننا أن نعد بأن نأخذك حتى نتشاور مع ستيلا، ولكنني لا أعتقد أنها ستعترض، وبقدر ما يتعلق بنا، يمكنك القدوم وأنت مرحب بك.»

«وإذا شعرت بالملل من حياتنا البسيطة، يمكنكِ مغادرتنا دون أن نطرح أي أسئلة،» أضافت بريسيلا.

قفزت فيل، عانقتهما بفرح، وانطلقت في طريقها وهي مبتهجة.

«آمل أن تسير الأمور على ما يرام،» قالت بريسيلا بجدية.

«يجب أن نجعلها تسير على ما يرام،» أكدت آن. «أعتقد أن فيل ستناسب منزلنا الصغير والسعيد تمامًا.»

«أوه، فيل هي عزيزة لترافق وتكون صديقة. وبالطبع، كلما كنا أكثر، سيكون الأمر أسهل على ميزانياتنا الضئيلة. ولكن كيف ستكون للعيش معها؟ عليكِ أن تقضي الصيف والشتاء مع أي شخص قبل أن تعرف ما إذا كانت يمكن العيش معها أم لا.»

«حسنًا، سنخضع جميعًا للاختبار، فيما يتعلق بذلك. ويجب أن نتصرف كأناس معقولين، عاشوا ودعوا الآخرين يعيشون. فيل ليست أنانية، رغم أنها قليلاً غير مفكرة، وأعتقد أننا سنتعايش جميلًا جميعًا في منزل باتي.»

الفصل الحادي عشر
دورة الحياة

عـادت آن إلـى آفونليا وعلى جبينهـا لمعة منحة ثوربورن. قال لها الناس إنها لم تتغير كثيرًا، بلغة تلمح إلى أنهم كانوا متفاجئين قليـلا أنهـا لـم تتغير. لـم تتغيـر آفونليا أيضًـا، على الأقـل، هذا مـا يبـدو في البداية. ولكن عندما جلسـت آن فـي مقاعد البراي الخضـراء فـي أول أحد بعد عودتهـا، ونظرت إلى الجماعة، رأت عـدة تغييـرات صغيـرة جعلتهـا تـدرك فجـأة أن الوقـت لا يقـف تمامًـا حتـى في آفونليا. كان هناك قـسّ جديد في الخطابة. في المقاعـد، كانـت هناك وجوه مألوفة من غيـر المتوقع أن تختفي إلى الأبد. «العمّ آبي» العجوز، الذي انتهى عهد بنبوءته، السـيدة بيتر سـلون، التي كان من المأمول أن تكون قد تنهّدت لآخر مرة، تيموثي كوتن، الذي، كما قالت السيدة راشيل ليند، «تمكنت فعلًا مـن المـوت أخيرًا بعد ممارسـته لذلك لعشـرين عامًا»، والسـيد جوسـياه سـلون العجوز، الذي لم يعرفه أحد في نعشـه لأن لديه لحيتـه محفـورة بشـكل جيد، كانـوا جميعهم نائمين فـي المقبرة الصغيرة خلف الكنيسة. وكان بيلي أندروز قد تزوج نيتي بليوت! ظهـروا فـي تلك الأحد. عندما قاد بيلي، الذي كان يشـع بالفخر والسـعادة، عروسـه المزينة بالريش والحرير إلـى مقعد هارمون

أنـدروز، أغلقـت آن جفنيها لإخفاء عينيهـا الراقصة. ذكرت تلك الليلـة العاصفة من ليالي عطلـة عيد الميلاد عندما قدمت جين اقتراحًـا لصالـح بيلـي. بالتأكيـد، لم يكسـر قلبه بسـبب رفضه. تسـاءلت آن عمـا إذا كانـت جيـن قد قدمـت أيضًا عرضًـا لنيتي مـن أجلـه، أم إذا كان قـد جمع الشـجاعة الكافية لطرح السـؤال المصيري بنفسـه. على ما يبدو، عائلة أندروز كلها كانت تشـارك في فخره وسـروره، من السـيدة هارمون في المقعد إلى جين في الكورال. كانت جين قد استقالت من مدرسة آفونليا وكانت تنوي الذهاب إلى الغرب في الخريف.

«لا يمكـن الحصـول علـى خطيـب فـي آفونليا، هذا مـا قالته السـيدة راشـيل لينـد بسـخرية. «تقول إنها تعتقد أنها سـتحظى بصحة أفضل في الغرب. لم أسـمع أن صحتها كانت ضعيفة من قبل.»

«جين هي فتاة لطيفة»، قالت آن بولاء. «لم تحاول أبدًا جذب الانتباه، كما فعل بعض الآخرين.»

«أوه، لـم تكن تطـارد الفتيان، إذا كان هذا هو قصدك»، قالت السـيدة راشـيل. «ولكنها تود الزواج، تمامًا مثل أي شـخص آخر، هذا ما. ماذا يمكن آخر أن يأخذها إلى الغرب إلى مكان مهجور يمتاز فقط بكثرة الرجال وندرة النساء؟ لا تخبرني!»

ولكن لم تكن جين هي التي نظرت إليها آن في ذلك اليوم بخيبة أمل ودهشة. كانت تنظر إلى روبي جيليس التي جلست بجوارها فـي الكـورال. مـاذا حدث لروبـي؟ كانت أكثر جمـالًا حتى من أي وقت مضى؛ ولكن عينيها الزرقاء كانت مشرقة جدًا ولامعة، ولون وجنتيها كان مشعًا ببريق متهور؛ بالإضافة إلى ذلك، كانت نحيفة للغايـة؛ اليديـن التي كانت تمسـك بكتاب التسـبيح كانت شـفافة

تقريبًا في رقتها.

«هل روبي جيليس مريضة؟» سألت آن السيدة لينـد، وهما في طريقهما إلى المنزل من الكنيسة.

«روبـي جيليـس تحتضـر بسـبب السـل»، قالـت السـيدة لينـد بصراحة. «الجميع يعرف ذلك ما عدا هي وعائلتها. لن يعترفوا. إذا سألتهم، فهي تتمتع بصحة تامة. لم تتمكن من التدريس منذ تعرضـت لهجـوم توقف الدم في الشـتاء، لكنها تقول إنها سـتعود للتدريس مرة أخرى في الخريف، وهي تطمح إلى مدرسـة وايت ساندز. ستكون في قبرها، الفتاة المسكينة، عندما تفتح مدرسة وايت ساندز، هذا ما.»

اسـتمعت آن فـي صمـت صـدم إلـى هـذه المعلومـات. روبـي جيليـس، صديقتهـا القديمة في المدرسـة، فـي طريقها للموت؟ هـل يمكـن أن يكـون ذلك ممكنًا؟ في السـنوات الأخيرة، كانوا قد ابتعدوا عن بعضهم البعض، ولكن الرابطة القديمة للود والمحبة بين الفتيات في المدرسة كانت هناك، وكانت تعرض نفسها بشكل حـاد في الشـدة التي ألقت بها هذه الأخبـار على قلب آن. روبي، اللامعـة، الفرحـة، المغرية! كان من المسـتحيل ربـط فكرة عنها بأي شيء يشبه الموت. كانت قد استقبلت آن ببالغ الترحاب بعد الكنيسة وحثتها على القدوم في الليلة التالية.

«سـأكون بعيدة يومي الثلاثاء والأربعاء في المسـاء»، همسـت بانتصار روبي بفخر. «هناك حفل موسـيقي في كارمودي وحفلة في وايت سـاندز. سـيأخذني هيرب سبنسر. هو آخر من أعجب بـه. كـن متأكدة من القدوم غدًا. أنـا أموت للحديث الجيد معك. أريد أن أسمع كل شيء عن أعمالك في ريدموند.»

علمت آن أن روبي تعني أنها تريد أن تخبر آن عن كل تلاعباتها الحديثة، لكنها وعدت بالحضور، وعرضت ديانا أن ترافقها.

«لقد كنت أرغب في زيارة روبي لفترة طويلة»، قالت ديانا لآن، عندما غادرنا البراري الخضراء في المساء التالي، «لكنني حقًا لا أستطيع الذهاب وحدي. من الرهيب سماع روبي وهي تتهرب كما تفعل، وتتظاهر أنه لا يوجد شيء خاطئ بها، حتى عندما لا تستطيع الكلام بسبب السعال. إنها تقاتل بجد لحياتها، ومع ذلك، ليس لديها أي فرصة على الإطلاق، يقولون.»

سارت الفتيات ساكنات أسفل الطريق الأحمر المتجه إلى الغسق. كانت الطيور الحمام تغني التسبيح في قمم الأشجار العالية، ملئت الهواء الذهبي بأصواتها الفرحة. وكان صوت الضفادع يأتي بنغمة فضية من الأهوار والبرك، فوق حقول تستيقظ بذورها للحياة وتتنفس الشمس والمطر الذي تدفق عليها. كان الهواء عبقًا بالرائحة البرية والحلوة والصحية لأشجار التوت الشابة. كانت الضباب الأبيض يتدلى في الأماكن الصامتة وكانت النجوم البنفسجية تشع بلونها في أراضي الجداول.

«يا له من غروب جميل»، قالت ديانا. «انظري، آن، إنه تمامًا مثل أرض بحد ذاتها، أليس كذلك؟ ذلك الغيم البنفسجي الطويل والمنخفض هو الشاطئ، والسماء الصافية في المزيد بعيدة هي مثل البحر الذهبي.»

«إذا كنا يمكن أن نبحر إليها في قارب الضوء في ضوء القمر الذي كتب عنه بول في تلك الرسالة القديمة – تتذكرين؟ – كم سيكون لطيفًا»، قالت آن، تستفيق من تأملها. «هل تعتقدين أنه يمكننا العثور على جميع أمسياتنا هناك، ديانا – كل ربيعنا وزهورنا القديمة؟ أسرّة الزهور التي رأى بول هناك هي الورود

التي زهرت لنا في الماضي؟»

«لا تفعلي ذلك!»، قالت ديانا. «تجعليني أشعر كما لو كنا نساءً عجوزًا وكل شيء في الحياة قد مر بنا.»

«أعتقد أنني شعرت تقريبًا وكأننا كنا كذلك منذ أن سمعت عن فقر روبي الفقيرة»، قالت آن. «إذا كان صحيحًا أنها تموت، فقد يكون أي شيء حزين آخر حقيقيًا أيضًا.»

«ألا تمانعين في أن تمرّي لحظة عند إليشارايت؟» سألت ديانا. «طلبت مني أمي أن أترك هذا الطبق الصغير من الهلام لعمة أتوسا.»

«من هي عمة أتوسا؟»

«أوه، ألم تسمعي؟ إنها السيدة سامسون كوتس من سبينسرفيل – عمة السيد إليشا رايت. إنها عمة والدي أيضًا. توفي زوجها الشتاء الماضي وتركت فقيرة ووحيدة جدًا، لذا أخذتها عائلة رايت لتعيش معهم. اعتقدت أمي أنه يجب علينا أن نأخذها، ولكن والدي وضع حدًّا لذلك. فلن يعيش مع عمة أتوسا.»

«هل هي فظيعة جدًا؟» سألت آن بتشتت.

«ربما تراها كما هي قبل أن نستطيع المغادرة»، قالت ديانا بشكل دال. «يقول والدي إن لديها وجه مثل المنجل – يقطع الهواء. لكن لسانها أكثر حدة بكثير.»

وفي وقت متأخر كما كان، كانت عمة أتوسا تقطع أجزاء بطاطس في مطبخ رايت. كانت ترتدي ثوبًا قديمًا باهتًا، وشعرها الرمادي كان فوضويًا بشكل واضح. لا تحب عمة أتوسا أن تكون «ملتقطة في الميزان»، لذا ذهبت في اتجاه آخر لتكون متقلبة.

«أوه، إذًا أنتِ آن شيرلي؟» قالت عندما قدّمت ديانا آن. «لقد سمعت عنكِ.» كان لهجتها تعني أنها لم تسمع شيئًا جيدًا. «كانت

السـيدة أندروز تخبرني أنكِ في المنزل. قالت إنكِ قد تحسـنتِ كثيرًا.»

لا شـك في أن عمة أتوسـا تعتقد أن هناك متسعًا من الفرص للتحسين الإضافي. لم تتوقف عن قطع أجزاء بكثير من الطاقة.

«هل من المجدي أن أطلب منكِ الجلوس؟» سـألت بسـخرية. «بالطبع، ليس هناك شيء مسلي جدًا هنا بالنسبة لكِ. الآخرون جميعهم بعيدين.»

«أرسلت لكِ أمي هذا القدر الصغير من هلام الراوند»، قالت ديانا بلطف. «صنعته اليوم واعتقدت أنه قد يعجبكِ.»

«أوه، شكرًا»، قالت عمة أتوسا بمرارة. «أنا لا أحب هلام أمكِ أبـدًا – إنهـا دائمًا تجعلها حلوة جدًا. ومع ذلك، سـأحاول أن أبلع بعضهـا. كان شـهيتي فقيرة جدًا هذا الربيـع. أنا بعيدة كل البعد عـن الصحة»، واصلت عمة أتوسـا بجدية، «لكنني لازلت أسـتمر فـي القيـام بعملي. الناس الذين لا يسـتطيعون العمل ليس لديهم مـكان هنـا. إذا لـم يكن ذلـك مزعجًا للغاية، هل سـتكونين كافية التنـازل لتخزيـن الهـلام فـي الخزانة؟ أنـا مسـتعجلة لإنهاء هذه البطاطـا الليلـة. أفتـرض أنكما، سـيدتين، لا تقومان بشـيء مثل هذا. ربما تخافان من تلويث أيديكما.»

«كنتُ أقوم بتقطيع البطاطس قبل أن نأجر الحقل»، ابتسـمت آن. «أنـا لا زلـت أفعـل ذلك»، ضحكت ديانـا. «قطعت مجموعات ثلاثة أيام في الأسبوع الماضي. بالطبع»، أضافت بنغز بسخرية، «قمـتُ بتغميـس يدي في عصير الليمـون ووضعت قفازات الجلد كل ليلة بعد ذلك.»

حوصرت عمة أتوسا.

«أفترض أنكِ حصلتِ على هذه الفكرة من بعض تلك المجلات الغبية التي تقرأين الكثير منها. أتساءل كيف يسمح لكِ والدتكِ. لكنها دائمًا تدليلكِ. كنا جميعًا نعتقد عندما تزوج جورج منها أنها لن تكون زوجة مناسبة له.»

تنهدت عمة أتوسا بثقل، كما لو كانت جميع التنبؤات بمناسبة زواج جورج باري قد تم الوفاء بها بشكل وافر ومظلم.

«هل ستذهبين؟» سألت وهما يقومان. «حسنًا، أفترض أنكما لا تستطيعان أن تجدا الكثير من التسلية في الحديث مع امرأة كبيرة في السن مثلي. إنه لأمر مؤسف أن الفتيان ليسوا في المنزل.»

«نحن نريد أن ندخل ونرى روبي جيليس لفترة قصيرة»، أوضحت ديانا.

«أوه، أي شيء يصلح كذريعة، بالطبع»، قالت عمة أتوسا بلطف. «فقط ادخلي واخرجي قبل أن يكون لديكِ الوقت لقول كيف حال بشكل لائق. إنها هواء الكلية، أعتقد. ستكونين أكثر حكمة إذا ابتعدتِ عن روبي جيليس. يقول الأطباء إن السل معدي. لقد علمتِ دائمًا أن روبي ستحصل على شيء، وقد ذهبت إلى بوسطن الخريف الماضي للزيارة. الناس الذين لا يكتفون بالبقاء في المنزل دائمًا يلتقطون شيئًا.»

«الأشخاص الذين لا يقومون بالزيارات يلتقطون أيضًا أشياء. في بعض الأحيان يمكن أن يموتوا حتى»، قالت ديانا بجدية.

«إذن ليس عليهم لوم أنفسهم»، ردت عمة أتوسا بنجاح. «سمعت أنك ستتزوجين في يونيو، ديانا.»

«لا يوجد صحة في هذا التقرير»، قالت ديانا، محمرة الوجنتين.

«حسـنًا، لا تؤجليهـا طويلاً»، قالت عمة أتوسـا بشـكل مبالغ. «ستتلاشين قريبًا – أنتِ كلها بشرة وشعر. وعائلة رايتس متقلبة بشكل رهيب. يجب أن ترتدي قبعة، الآنسة شيرلي. أنفك يتجعد بشـكل مثير للفضيحة. يا إلهي، لكنكِ شـعر أحمر! حسنًا، أعتقد أننـا جميعًـا كما صنعناهم الرب! أبلغي ماريلا كوثبرت احترامي. إنها لم تأتِ لتزورني منذ أن جئت إلى أفونلي، ولكنني أعتقد أنني لا ينبغي أن أشـكو. الكثبرت دائمًا اعتبروا أنفسـهم أعلى من أي شخص آخر هنا.»

«أوه، أليسـت رهيبة؟» أنفسـت ديانا بصعوبة عندما هربوا في الطريق.

«إنهـا أسـوأ حتى من الآنسـة إليـزا أندروز»، قالـت آن. «ولكن فكـري فـي العيـش طـوال حياتكِ باسـم مثـل أتوسـا! أليس ذلك يجعل أي شـخص تقريبًا متعكر المزاج؟ كان ينبغي لها أن تحاول أن تتخيل أن اسـمها كان كورديليا. ربما كان يمكن أن يسـاعدها كثيـرًا. بالتأكيـد سـاعدني فـي الأيـام التي لم أكن فيهـا أحب أن أكون آن.»

«جوزي باي ستكون مثلها عندما تكبر،» قالت ديانا. «أم جوزي وعمة أتوسـا هما ابنتي عم، تعلمين. أوه، عزيزتي، أنا سـعيدة أن ذلـك انتهـى. إنها شـريرة جـدًا – يبدو أنها تضع طعمًا سـيئًا في كل شـيء. يحكـي والدي قصة مضحكـة عنها. في إحدى المرات كان هنـاك قـس في سبينسـرفيل كان رجلًا جيدًا جـدًا وروحانيًا ولكنه كان أصمًا جدًا. لم يتمكن من سماع أي محادثة عادية على الإطلاق. حسنًا، كانوا يعقدون اجتماعات صلاة في مساء الأحد، وكل أعضاء الكنيسـة الحاضرين كانوا يقومون ويصلون بدورهم، أو يقولـون بضـع كلمـات حول آيـة من الكتاب المقـدس. لكن في

إحدى الليالي قفزت عمة أتوسا. إنها لم تصلي ولا تبشر. بدلاً من ذلك، هاجمت كل شخص آخر في الكنيسة وأعطتهم انتقادًا رهيبًا، دعتهم جميعًا بالاسم وقالت لهم كيف تصرفوا جميعًا، ورفعت كل النزاعات والفضائح في العقد الماضي. أخيرًا، اختتمت بالقول إنها غاضبة من كنيسة سبينسرفيل وأنها لا تنوي أبدًا أن تعترض عتبتها مرة أخرى، وتأمل أن يحل عليها حكم رهيب. ثم جلست متنهدة والقس، الذي لم يسمع كلمة قالتها، علق على الفور، بصوت متدين جدًا، «آمين! الرب يحقق صلاة أختنا العزيزة!» يجب عليكِ أن تسمعي والدي يحكي القصة.»

«وفيما يتعلق بالقصص، ديانا»، لاحظت آن بلغة ذات طابع سري، سريعة، «هل تعلمين أني في الآونة الأخيرة كنتُ أتساءل عما إذا كنتُ قادرة على كتابة قصة قصيرة – قصة تكون جيدة بما يكفي للنشر؟»

«لماذا، بالطبع يمكنكِ»، قالت ديانا بعد أن فهمت الاقتراح المدهش. «كنتِ تكتبين قصصًا مثيرة تمامًا قبل سنوات في نادي القصة القديم لدينا.»

«حسنًا، أنا نادرًا ما أعني من هذا النوع من القصص»، ابتسمت آن. «كنتُ أفكر في ذلك قليلاً في الآونة الأخيرة، ولكني تقريبًا خائفة للتجربة، لأنه إذا فشلتُ، سيكون الأمر محرجًا للغاية.»

«سمعت بريسيلا تقول مرة أن جميع القصص الأولى للسيدة مورغان تم رفضها. ولكنني متأكدة أن قصصكِ لن تُرفض، آن، لأنه من المحتمل أن لدي المحررين أكثر حكمة في هذه الأيام.»

«مارغريت بيرتون، إحدى الفتيات من الصف الثالث في ريدموند، كتبت قصة الشتاء الماضي وتم نشرها في كنديان وومان. أعتقد حقًا أنني يمكن أن أكتب واحدة على الأقل بجودة

مماثلة.»

«وهل ستنشرينها في كنديان ووومان؟»

«قد أحاول أولاً نشرها في إحدى المجلات الكبيرة. يعتمد كل شيء على نوع القصة التي سأكتبها.»

«وما هي موضوع القصة؟»

«لا أعرف بعد. أرغب في العثور على قصة جيدة. أعتقد أن هذا أمر ضروري جدًا من وجهة نظر المحرر. الشيء الوحيد الذي تم تحديده هو اسم البطلة. سيكون اسمها أيفيريل ليستر. جميل نوعًا ما، ألا تعتقدين؟ لا تذكري ذلك لأي شخص، ديانا. لم أخبر أحدًا سوى إياكِ والسيد هاريسون. إنه لم يكن تشجيعًا جيدًا للغاية – قال إن هناك الكثير من الزبالة المكتوبة في هذه الأيام كما هو، وكان يتوقع شيئًا أفضل مني بعد سنة في الكلية.»

«ما الذي يعرفه السيد هاريسون عن هذا؟» طالبت ديانا بسخرية.

وجدوا منزل جيليس مليئًا بالأضواء والزوار. كان ليونارد كيمبل من سبينسرفيل ومورجان بيل من كارمودي يحدقان في بعضهما البعض عبر الصالة. دخل العديد من الفتيات المبتهجات. كانت روبي متألقة بفستان أبيض، وكانت عيناها وخداها لامعين جدًا. ضحكت وثرثرت بلا توقف، وبعد رحيل الفتيات الأخريات، أخذت آن إلى الطابق العلوي لتعرض لها فساتينها الصيفية الجديدة.

«لدي فستان حريري أزرق لم أنهِ تصنيعه بعد، ولكنه ثقيل قليلاً لفصل الصيف. أعتقد أنني سأتركه حتى الخريف. سأقوم بالتدريس في وايتساندز. ما رأيك في قبعتي؟ تلك التي كنت ترتدينها في الكنيسة أمس كانت جميلة حقًا. ولكني أحب شيئًا ألوانه أكثر لنفسي. هل لاحظتِ هؤلاء الفتيان السخيفين هنا في

الأسـفل؟ لقـد جاء كل واحد منهم مصممًـا على تجاوز الآخر. لا أهتم على الإطلاق بأي منهما، تعلمين. هيرب سبنسـر هو الذي أحبـه. فـي بعض الأحيـان أعتقد حقًا أنه هو السـيد المناسـب. فـي عيد الميلاد، اعتقدت أن مدرس سبينسـرفيل كان هو ذلك. لكننـي اكتشـفت شـيئًا عنـه أثر عليّ ضـده. كاد يصـاب بالجنون عندمـا رفضتـه. كنتُ أتمنى أن لا يكونوا هؤلاء الفتيان قد جاؤوا الليلـة. كنـت أرغب في إجراء محادثة لطيفـة معكِ، آن، وأخبركِ بكميات من الأمور. كنا دائمًا أصدقاء جيدين، أليس كذلك؟»

انزلقـت يـد روبـي حـول خصـر آن مـع ضحكة ضحلـة. ولكن للحظة فقط التقت عيونهما، وراء كل لمعان في عيون روبي، رأت آن شيئًا جعل قلبها يؤلمها.

«تعالي كثيرًا آن؟» همست روبي. «تعالي وحدكِ – أنا أريدكِ.»

«هل تشعرين بالتعافي تمامًا، روبي؟»

«أنـا! لمـاذا، أنـا بحالة جيـدة تمامًا. لم أشـعر بصحة أفضل فـي حياتي. بالطبـع، هذا الاحتقان الذي حدث الشـتاء الماضي جعلنـي أشـعر بالتعـب قليـلاً. ولكن انظـري إلى وجهـي. لا أبدو كمريضة كثيرًا، أنا متأكدة.»

كان صـوت روبـي حادًا تقريبًا. سـحبت ذراعهـا بعيدًا عن آن، كما لو كانت تشعر بالاستياء، وركضت إلى الطابق السفلي، حيث كانت أكثر حيوية من أي وقت مضى، على ما يبدو مشـغولة جدًا في المزاح مع فارسـيها الاثنين، حتى شـعرت ديانا وآن بالانبعاث وانصرفتا قريبًا.

الفصل الثاني عشر
توبة أفيريل

«ما الذي تحلمين به، آن؟»

كانت الفتاتان تتسكعان في إحدى الليالي في وادٍ ساحر من الجدول. وكانت الزهور الصغيرة خضراء، والاجاص البري معلق بستائر بيضاء عطرة حوله.

استفاقت آن من تأملها بتنهيدة سعيدة.

«كنت أفكر في قصتي، ديانا.»

«أوه، هل بدأتِ حقًا؟» صاحت ديانا، مشتعلة بفضول وحماس في لحظة.

«نعم، لدي بضع صفحات فقط مكتوبة، ولكن لديها كلها تمامًا مفكرة. لقد كان لدي وقت صعب للغاية في العثور على حبكة مناسبة. لم تكن أي من الحبكات التي اقترحت مناسبة لفتاة تدعى أفيريل.»

«أليس من الممكن تغيير اسمها؟»

«لا، كان الأمر مستحيلا. حاولت ذلك، ولكني لم أستطع فعله، تمامًا كما لم أستطع تغيير اسمكِ. كانت أفيريل حقًا لي حتى أنني على الرغم من محاولاتي لإعطائها اسمًا آخر، لم أفكر فيها سوى باسم أفيريل في كل ذلك. ولكن في النهاية، وجدت

حبكة تناسبها. ثم جاءت إثارة اختيار أسماء لجميع شخصياتي. لا تعرفين مدى جاذبية ذلك. لقد بقيت مستيقظة لساعات أفكر في تلك الأسماء. اسم البطل هو بيرسيفال دالريمبل.»

«هل أطلقتِ أسماء على جميع الشخصيات؟» سألت ديانا بحنين. «إذا لم تكن قد فعلت ذلك، كنت سأطلب منكِ السماح لي بتسمية واحدة – فقط شخص غير مهم. سأشعر كما لو كنت لدي حصة في القصة.»

«يمكنكِ أن تطلقي اسمًا على الصبي الصغير الذي عاش مع عائلة ليسترز»، أقرت آن. «ليس مهمًا جدًا، ولكنه هو الوحيد الذي ترك دون اسم.»

«اتصل به ريموند فيتزوسبورن»، اقترحت ديانا، التي كانت تمتلك مجموعة من مثل هذه الأسماء المحفوظة في ذاكرتها، ذكريات من النادي القصصي القديم، الذي كانت قد أسسته هي وآن وجين أندروز وروبي جيليس في أيام مدرستهم.

أن حركت آن رأسها بشك لا مؤكد.

«أخشى أن يكون هذا اسمًا أرستقراطيًا جدًا لصبي الأعمال المنزلية، ديانا. لا يمكنني تخيل فيتزوسبورن وهو يطعم الخنازير ويلتقط الحطب، هل تستطيع؟»

لم ترَ ديانا سببًا لذلك، إذا كنتِ تمتلكين خيالًا على الإطلاق، فلماذا لا تتمددين إلى هذا الحد؟ ولكن على الأرجح كانت آن أعلم، وأطلق على صبي الأعمال المنزلية اسم «روبرت راي»، ليتم استدعاؤه «بوبي» في حال تطلب الأمر.

«كم تعتقدين أنك ستحصلين عليه؟» سألت ديانا.

ولكن آن لم تفكر في ذلك على الإطلاق. كانت في مطاردة للشهرة، ليس الأموال القذرة، وكانت أحلامها الأدبية لم تتلوث

بعد بالاعتبارات الربحية.

«سوف تسمحين لي بقراءته، أليس كذلك؟» ناشدت ديانا.

«عندما يكتمل، سأقرأه لكِ وللسيد هاريسون، وسأرغب في أن تنتقديه بشدة. لن يراه أحدٌ آخر حتى يتم نشره.»

«كيف ستنهينه؟ بسعادة أم بتراجيديا؟»

«لست متأكدة. أرغب في أن ينتهي بتراجيديا، لأن ذلك سيكون أكثر رومانسية بكثير. ولكنني أفهم أن المحررين لديهم تحيز ضد النهايات الحزينة. سمعت البروفيسور هاميلتون يقول مرة واحدة أنه لا يجب على أحد إلا العباقرة محاولة كتابة نهاية حزينة. و»، ختمت آن بتواضع، «أنا بعيدة كل البعد عن أن أكون عبقرية.

«أنا أحب النهايات السعيدة أكثر. من الأفضل أن تتركيه يتزوجها»، قالت ديانا، التي كانت تعتقد، خاصة بعد خطوبتها لفريد، أن هكذا يجب أن تنتهي كل قصة.

«لكنك تحبين البكاء على القصص؟»

«أوه، نعم، في منتصفها. لكنني أحب أن تنتهي كل الأمور بشكل صحيح في النهاية.»

«يجب أن يكون لدي مشهد مأساوي واحد فيها»، قالت آن بتأنيب ضمير. «ربما أترك روبرت راي يصاب في حادث ويكون لديه مشهد موت.»

«لا، لا يجب عليكِ قتل بوبي»، أعلنت ديانا وهي تضحك. «إنه ينتمي إلي وأريد له أن يعيش ويزدهر. اقتلي شخصًا آخر إذا كان لديكِ لذلك.»

خلال الأسبوعين التاليين، تلوَّنت حياة آن بحسب المزاج، حيث كانت تنخرط أحيانًا في أعمالها الأدبية بفرح، وأحيانًا

أخرى تكون يائسة لأن شخصيات معاكسة لم تتصرف بالطريقة المناسبة.

«اجعليهم يفعلون ما تريدين»، قالت ديانا.

«لا أستطيع»، نوحت آن. «إيفيريل هي بطلة عنيدة. ستفعل وتقول أشياء لم أكن قد قصدتها. ثم يفسد كل شيء حدث من قبل، ويجب علي أن أكتب الكل مرة أخرى.»

وأخيرًا، تم الانتهاء من القصة، وقرأت آن لديانا في عزلة زاوية الشرفة. كانت قد حققت «المشهد المؤثر» دون التضحية بروبرت راي، وحافظت على نظر حذر على ديانا أثناء قراءتها. صعدت ديانا إلى المناسبة وبكت بشكل صحيح، ولكن عندما جاءت النهاية، بدت مبتسمة قليلاً.

«لماذا قتلتِ موريس لينوكس؟» سألت ديانا بانتقاد.

«إنه كان الشرير»، احتجت آن. «كان يجب أن يعاقب.»

«أنا أحبه أكثر منهم جميعًا»، قالت ديانا بشكل غير منطقي.

«حسنًا، إنه ميت، وسيظل ميتًا»، قالت آن بشكل مستاء قليلاً. «إذا كنت قد سمحت له بالعيش، كان سيستمر في اضطهاد إيفيريل وبيرسيفال.»

«نعم، ما لم تقمي بإصلاحه.»

«لن يكون ذلك رومانسيًا، وبالإضافة إلى ذلك، سيكون ذلك قد جعل القصة طويلة جدًا.»

«حسنًا، على أي حال، إنها قصة أنيقة تمامًا، آن، وستجعلك مشهورة، من ذلك أنا متأكد. هل لديك عنوان لها؟»

«أوه، قررت على العنوان منذ فترة طويلة. أطلق عليها «تكفير إفريل». أليس هذا يبدو لطيفًا وقريبًا؟ الآن، ديانا، قولي لي بصدق، هل ترى أي عيوب في قصتي؟»

«حسنًا»، تردفت ديانا، «تلك الجزء الذي تقوم فيه إفريل بصنع الكعكة لا يبدو لي كافياً رومانسيًا بما يكفي ليتناسب مع باقي القصة. إنها مجرد ما قد يفعل أي شخص. لا يجب أن تقوم البطلات بالطهي، أعتقد.»

«لماذا، هذا هو المكان الذي يظهر فيه الفكاهة، وهو واحد من أفضل أجزاء القصة كلها»، قالت آن. ويمكن القول إنها كانت على حق في ذلك.

امتنعت ديانا بحكم الحذر عن أي انتقاد إضافي، ولكن السيد هاريسون كان أكثر صرامة في الرضا. أولاً، قال لها إن هناك الكثير جدًا من الوصف في القصة.

«احذفي كل تلك المقاطع الزاهية»، قال بلا شعور.

كانت لدى آن إقرار غير مريح بأن السيد هاريسون كان على حق، وأجبرت نفسها على حذف معظم وصفها الذي تحبه، على الرغم من أنه استغرق الأمرأن أعيد كتابته ثلاث مرات قبل أن يمكن تقليص القصة لترضي السيد هاريسون المتطلب.

«لقد تركت جميع الوصفات باستثناء الغروب»، قالت أخيرًا. «ببساطة لا يمكنني تركها. إنها كانت الأفضل من بينهم جميعًا.»

«ليس لها علاقة بالقصة»، قال السيد هاريسون، «ولم يكن يجب أن تكون وضعت المشهد بين أناس ثريين في المدينة. ما الذي تعرفين عنهم؟ لماذا لم تضعيها هنا في أفونليا – بتغيير الاسم، بالطبع، أو ستعتقد السيدة راشيل ليند أنها هي البطلة.»

«أوه، هذا لن يكون مناسبًا أبدًا»، احتجت آن. «أفونليا هو أغلى مكان في العالم، ولكنه ليس كافيًا رومانسيًا تمامًا ليكون مشهدًا لقصة.»

«ربما كان هناك العديد من الرومانسيات في أفونليا – والعديد من المأساة أيضًا»، قال السيد هاريسون بجفاء. «ولكن أهلك ليسوا كالأشخاص الحقيقيين في أي مكان. إنهم يتحدثون كثيرًا ويستخدمون لغة متفائلة للغاية. هناك مكان واحد حيث يتحدث هذا الشاب دالريمبل حتى لصفحتين، ولا يتيح للفتاة أن تتحدث.»

«لا أصدق ذلك»، قالت آن بشكل قاطع. في روحها السرية، اعتقدت أن الأشياء الجميلة والشعرية التي قالها لإيفريل ستفوز بقلب أي فتاة تمامًا. علاوة على ذلك، كان من غير المقبول سماع أن إيفريل، الرائعة، إيفريل كالملكة، تلقي أي شخص بعيدًا. إيفريل «رفضت مُقدمي الطلبات لها».

«على أي حال»، استأنف السيد هاريسون بلا رحمة، «لا أرى لماذا لم يحصل موريس لينوكس عليها. كان رجلاً أفضل بمرتين من الآخر. قام بأشياء سيئة، لكنه قام بها. بيرسيفال لم يكن لديه وقت إلا للتتبع.»

«التتبع.» كان ذلك أسوأ حتى من «الرمي!»

«موريس لينوكس كان الشرير»، قالت آن بغضب. «لا أرى لماذا يحب الجميع إياه أكثر من بيرسيفال.»

«بيرسيفال جيد جدًا. إنه مزعج. في المرة القادمة التي تكتب فيها عن بطل، ضعي قليلاً من التواجد البشري فيه.»

«إيفريل لا يمكن أن تتزوج موريس. كان سيئًا.»

«كانت ستصلحه. يمكنك إصلاح رجلاً. بالطبع لا يمكنك إصلاح قنديل البحر. قصتك ليست سيئة – إنها نوعًا من المثيرة، سأعترف. ولكنك صغيرة جدًا لكتابة قصة تستحق

العناء. انتظري عشر سنوات.»

قررت آن في قلبها أنه في المرة القادمة التي تكتب فيها قصة، لن تطلب من أي شخص أن ينتقدها. إنها كانت تفقد الشجاعة. لن تقرأ القصة لجيلبرت، على الرغم من أنها أخبرته عنها.

«إذا كانت ناجحة، ستراها عند نشرها، جيلبرت، ولكن إذا كانت فاشلة، لن يراها أحد أبدًا.»

لم تكن ماريلا تعلم شيئًا عن المغامرة. في خيال آن، رأت نفسها تقرأ قصة من مجلة لماريلا، مستدركة إياها في مدحها – لأن في الخيال كل الأشياء ممكنة – ثم أعلنت نفسها بفخر الكاتبة.

ذات يوم، أحضرت آن إلى مكتب البريد ظرفًا طويلًا وضخمًا، موجهًا، بثقة الشباب والخبرة، إلى أكبر المجلات «الكبيرة». كانت ديانا متحمسة تمامًا كما كانت آن.

«كم تظن أنه سيستغرق قبل أن تسمعي منهم؟» سألت ديانا.

«لا يجب أن يكون أطول من أسبوعين. أوه، كم سأكون سعيدة وفخورة إذا تم قبولها!»

«بالطبع سيتم قبولها، ومن المحتمل أن يطلبوا منك إرسال المزيد. قد تصبحين مشهورة مثل السيدة مورغان يومًا ما، آن، وحينها سأكون فخورة جدًا بمعرفتك»، قالت ديانا، التي كانت تمتلك، على الأقل، الفضيلة البارزة لإعجابها الغير أناني بهدايا وفضائل أصدقائها.

أسبوع من الأحلام السعيدة تلته الصدمة، ثم جاءت صحوة مريرة. في إحدى المساءات، وجدت ديانا آن في شرفة الطابق العلوي، بعيون تبدو مشبوهة. كان هناك في الطاولة ظرف طويل

ومخطوطة مطوية.

«آن، لم يعُد قصتك؟» صاحت ديانا بدهشة.

«نعم، لقد عادت»، قالت آن بإيجاز.

«حسنًا، يجب أن يكون ذلك المحرر مجنونًا. ما السبب الذي أعطاه؟»

«لا سبب على الإطلاق. هناك فقط ورقة مطبوعة تقول أنه لم يتم قبولها.»

«لم أفكر كثيرًا في تلك المجلة، على أي حال»، قالت ديانا بحماس. «القصص فيها ليست بنصف الإثارة كما في المرأة الكندية، على الرغم من تكلفتها الأعلى كثيرًا. أعتقد أن المحرر متحيز ضد أي شخص ليس أمريكيًا. لا تيأسي، آن. تذكري كيف عادت قصص السيدة مورجان. أرسلي قصتك إلى المرأة الكندية.»

«أعتقد أنني سأفعل ذلك»، قالت آن، مستندة إلى الأمل. «وإذا تم نشرها، سأرسل للمحرر الأمريكي نسخة مميزة. ولكن سأستبعد المغيب الشمسي. أعتقد أن السيد هاريسون كان على حق.»

خرج المغيب الشمسي؛ ولكن على الرغم من هذا التشويه البطولي، أعاد محرر المرأة الكندية «تكفير أفيريل» بسرعة بحيث أعلنت ديانا الغاضبة أنه لا يمكن أن يكون قد قرأها على الإطلاق، وأقسمت بأنها ستتوقف فورًا عن اشتراكها. استقبلت آن هذا الرفض الثاني بهدوء اليأس. غلقت القصة في صندوق العلية حيث كانت تستريح قصص نادي القصة القديمة، ولكنها أولاً استجابت لتضرعات ديانا وأعطتها نسخة.

«هـذه نهايـة طموحاتي الأدبية»، قالت بمـرارة. لم تذكر الأمر للسـيد هاريسـون، لكن في إحدى المسـاءات سألها بصراحة إذا كانت قصتها قد تم قبولها.

«لا، المحرر لم يقبلها»، أجابت آن بإيجاز.

نظر السـيد هاريسون بزاوية إلى الملامح الحمراء والدقيقة. «حسنًا، أعتقد أنك ستستمرين في كتابتها»، قال بتشجيع.

«لا، لن أحاول أبدًا كتابة قصة مرة أخرى»، أعلنت آن بالحسم الميؤوس منه الذي يمتلكه الشاب عندما يُغلق به وجهه باب.

«لن أتخلى تمامًا»، قال السيد هاريسون بتفكير. «سأكتب قصة من حين لآخر، ولكن لن أزعج المحررين بها. سـأكتب عن الناس والأماكن كما أعرف، وسـأجعل شـخصياتي تتحـدث بالإنجليزية اليومية؛ وسأسـمح للشـمس بالصعود والغروب بالطريقة الهادئة المعتادة دون الكثير من الضجة حول هذه الحقيقة. إذا كان عليّ أن أكون لدي شريرين، سأعطيهم فرصة، آن، سأعطيهم فرصة. يوجـد بعـض الرجال السـيئين بشـكل فظيـع في العالـم، أعتقد، ولكن ستضطرين للبحث بعيدًا للعثور عليهم — على الرغم من أن السيدة لايند تعتقد أننا جميعًا سيئون. ولكن معظمنا لديه قليلاً من اللياقة في داخلنا. استمري في الكتابة، آن.»

«لا، كان مـن غبـاء كبيـر أن أحـاول ذلـك. عندمـا أنهـي فتـرة دراسـتي في ريدموند، سـألتزم بالتدريس. أسـتطيع التدريس. لا أستطيع كتابة القصص.»

«سـتحين الأوان لـكِ لتحصلـي علـى زوج عندمـا تنهيـن فتـرة دراسـتك في ريدموند»، قال السـيد هاريسـون. «لا أؤمن بتأجيل الزواج لفترة طويلة — كما فعلت أنا.»

قامـت آن ومشـت إلـى المنـزل. كان هنـاك أوقات يكـون فيها السـيد هاريسـون حقًا لا يُطاق. «التحليق»، «التأمل»، و«الحصول على زوج.» أوه!!

الفصل الثالث عشر
طريق المعتدين

كان دافي ودوراجاهزين لمدرسة الأحد. كانا ذاهبين وحدهما، وهو أمر نادر الحدوث، لأن السيدة ليند دائمًا تحضر مدرسة الأحد. ولكنها كانت قد لوت كاحلها وأصبحت تعرج، لذا كانت ستقضي الصباح في المنزل. وكان من المقرر أن يمثل التوأم أيضًا العائلة في الكنيسة، لأن آن قد ذهبت في المساء السابق لتقضي يوم الأحد مع الأصدقاء في كارمودي، وماريلا تعاني من صداع.

نزل دافي ببطء. كانت دورا تنتظره في الردهة، بعد أن أعدتها السيدة ليند. وقام هو بالاهتمام بتجهيزاته بنفسه. كان لديه سنتًا في جيبه لتبرعات مدرسة الأحد، وقطعة نقدية بقيمة خمسة سنتات لتبرعات الكنيسة. حمل كتابه المقدس في يده اليمنى والجدول الزمني لمدرسة الأحد في يده اليسرى. كان يعرف درسه ونصه الذهبي وسؤال التعاليم المسيحية الخاص به تمامًا. ألم يكن قد درسها – بالضرورة – في مطبخ السيدة ليند طوال مساء الأحد الماضي؟ لذا، كان يجب أن يكون دافي في حالة روحية هادئة. في الواقع، على الرغم من ذلك، كان في داخله كذئب جائع.

خرجت السيدة ليند تتعثر من مطبخها عندما انضم إليها دافي ودورا.

«هل أنت نظيف؟»، سألت بحدة.

«نعم، كل ما يظهر مني نظيف»، أجاب دافي بعبوس.

تنهدت السيدة راشيل. كانت لديها شكوك حول رقبة دافي وأذنيه. ولكنها كانت تعلم أنها إذا حاولت إجراء فحص شخصي، فإنه من الممكن أن يفر إلى حيث يمكنها مطاردته اليوم.

«حسنًا، تأكدا من أن تتصرفا بشكل لائق»، حذرتهما. «لا تسيرا في الغبار. لا تتوقفا في الرواق للتحدث مع الأطفال الآخرين. لا تتحركا أو تتموجوا في مكانيكما. لا تنسيا النص الذهبي. لا تضيعا تبرعاتكما أو تهملا وضعها. لا تتحدثا بصوت منخفض أثناء الصلاة، ولا تنسيا الانتباه إلى الخطبة.»

لم يكترث دافي للرد. ذهب بعيدًا في الطريق، وراءه دورا الودودة. ولكن كانت روحه تغلي من الداخل. لقد عانى دافي، أو على الأقل اعتقد أنه عانى، من العديد من الأمور على يد ولسان السيدة راشيل ليند منذ أن جاءت إلى البراري الخضراء، لأن السيدة ليند لا تستطيع العيش مع أي شخص، حتى سواءكان في التاسعة أو في التسعين، دون محاولة تربيته بشكل صحيح. فلم يحن وقد الظهر حتى تدخلت لتؤثر في ماريلا لمنع دافي من الذهاب للصيد مع تيموثي كوتونز. كان دافي لا يزال يشعر بالغضب بسبب هذا.

بمجرد أن خرج إلى الطريق، توقف دافي وعبّر وجهه بتعبير فظيع ومخيف لدرجة أن دورا، على الرغم من معرفتها بمواهبه في ذلك الصدد، كانت خائفة بصدق من أن يكون قد فقد القدرة على استعادة شكل وجهه مرة أخرى.

«اللعنة»، انفجر دافي.

«أوه، دافي، لا تشتم»، قالت دورا بدهشة.

«اللعنة» ليست شتما حقيقيا. ولا يهمني إذا كانت كذلك»، أجاب دافي بجرأة.

«حسنًا، إذا كنت تشعر بالحاجة إلى قول كلمات فظيعة، فلا تقلها يوم الأحد على الأقل»، توسلت دورا.

دافي لم يصل بعد إلى التوبة، ولكن في روحه السرية، شعر أنه ربما قد بالغ قليلا بالشتم. «سأبتكر كلمة نابية خاصة بي»، أعلن.

«سيعاقبك الله إذا فعلت ذلك»، قالت دورا بجدية.

«على أي حال، لن أتحمل المزيد من تحكم السيدة ليند،» قال دافي . «قد تكون آن وماريلا لديهما الحق في التحكم فيّ، ولكن ليس لديها هي هذا الحق. لن أفعل شيئا واحدا من الأشياء التي حثتني على عدم فعلها. راقبيني.»

بصمت تام ومتعمد، وفي حين كانت دورا تراقبه بإعجاب رهيب، خرج دافي من العشب الأخضر على جانب الطريق، غاطسًا بكاحليه في الطين الناعم الذي خلفته أربعة أسابيع من الجو الجاف على الطريق، وسار فيه، يحرك قدميه بشراسة حتى غاص في غيمة دخانية.

«هذه هي البداية»، أعلن بنجاح. «وسأتوقف في الرواق وأتحدث طالما هناك أي شخص أتحدث معه. سأتحرك وأتموج وأتحدث بصوت مرتفع، وسأقول إنني لا أعرف النص الذهبي. وسألقي بعيدًا كل التبرعات الآن.»

وألقى دافي السنتين فوق سياج السيد باري بسعادة شديدة.

«الشيطان جعلك تفعل ذلك»، قالت دورا بلوم.

«لم يفعل»، صاح دافي بغضب. «لقد فكرت فيه بنفسي. ولدي شيء آخر في الاعتبار. لن أذهب إلى مدرسة الأحد أو الكنيسة على الإطلاق. سأذهب للعب مع آل كوتون. قالوا لي يوم أمس إنهم لن يذهبوا إلى مدرسة الأحد اليوم، لأن والدتهم ذهبت وليس هناك أحد ليأخذهم. هيا، دورا، سنقضي وقتًا رائعًا.»

«لا أريد أن أذهب»، اعترضت دورا.

«يجب أن تأتي»، قال دافي. «إذا لم تأتي، سأخبر ماريلا أن فرانك بيل قبلك في المدرسة الاثنين الماضي.»

«لم أستطع أن أمنعه. لم أكن أعلم أنه سيفعل ذلك»، صرخت دورا، وجهها يحمر.

«حسنًا، لم تصفعيه أو تظهري أي عدوانية على الإطلاق»، رد دافي. «سأخبرها بذلك أيضًا إذا لم تأتي. سنسلك الطريق القصير عبر هذا الحقل.»

«أنا خائفة من تلك الأبقار»، اعترضت دورا المسكينة، وهي تبحث فرصة للهروب.

«فكرة غريبة أن تخافي من تلك الأبقار»، سخر دافي. «لماذا، إنهم أصغر سنا منك.»

«لكنهم أكبر حجمًا»، قالت دورا.

«لن يؤذوك. هيا الآن. هذا رائع. عندما أكبر، لن أُتعب نفسي بالذهاب إلى الكنيسة على الإطلاق. أعتقد أنه يمكنني الوصول إلى الجنة بمفردي.»

«ستذهب إلى الجحيم» قالت دورا بحزن، تتبعه بحزن ضد إرادتها.

لكن دافي لم يكن خائفًا بعد. كانت الجحيم بعيدة جدًا، وكانت متعة رحلة الصيد مع آل كوتون قريبة جدًا. كان يتمنى أن تكون

لـدى دورا المزيـد مـن الشـجاعة. كانت تتطلع إلـى الخلف كأنها سـتبكي في أي لحظة، وهذا كان يفسـد متعة الفتى. اللعنة على الفتيـات، علـى أي حـال. لم يقـل دافي «اللعنة» هـذه المرة، حتى فيسـره. لم يكن آسـفًا حتى الآن لأنه قالها مرة واحدة، ولكن قد يكون من الأفضل عدم إغضاب القوى الغامضة إلى حد كبير في يوم واحد.

كان صغار آل كوتونز يلعبون في فناء منزلهم الخلفي، ورحبوا بظهـور دافـي بصرخـات من الفـرح. كان بيت وتومـي وأدولفوس وميرابيل كوتون جميعهم وحدهم. كانت أمهم وأخواتهم الكبريات بعيـدات. وكانـت دورا ممتنـة لوجـود ميرابيـل على الأقـل. كانت قد خشـيت أن تكون وحيدة في حشـد من الأولاد. ميرابيل كانت تقريبًا سيئة مثل صبي وكانت صاخبة ومحروقة من الشمس ولا تهتم بالمخاطر. لكنها كانت ترتدي الفساتين على الأقل.

«لقد جئنا للذهاب إلى الصيد»، أعلن دافي.

صـاح آل كوتـون. وهرعـوا لحفر الديـدان على الفـور، وكانت ميرابيـل تقـود الطـوق بعلبة صفيـح. كان بإمـكان دورا أن تجلس وتبكي. أوه، لو كان فرانك بيل لم يقبلها أبدًا! بعد ذلك يمكنها أن تتحدى دافي وتذهب إلى مدرستها المحبوبة.

لـم يجـرؤوا، بالطبـع، على الذهـاب للصيد فـي البركة، حيث سـيراهم النـاس وهم يذهبـون إلى الكنيسـة. كان عليهـم اللجوء إلـى الجـدول في الغابة خلف منزل عائلة كوتـون. لكنه كان مليئًا بأسـماك السـلمون، لقـد أمضـوا وقتا رائعـا ذلك الصبـاح، على الأقـل عائلـة كوتـون بالتأكيد، وكان يبدو أن دافي يسـتمتع به. لم يكـن يفتقـر تمامًا إلى الحذر، لقد تخلص من الأحذية والجوارب واستعار سروال تومي كوتون. بهذا المظهر، لم تكن المستنقعات

والأراضي الرطبة والنباتات الأسفل لها رهبة. دورا كانت بوضوح تعاني. تابعت الآخرين في جولاتهم من بركة إلى بركة، تحتضن كتابها المقدس والربع بإحكام، وتفكر بمرارة في روحها في صفها المحبوب حيث يجب أن تكون جالسة في تلك اللحظة، أمام معلمة تعشقها. بدلاً من ذلك، ها هي هنا تتجول في الغابة مع تلك آلكوتون البريئة، تحاول الحفاظ على نظافة حذائها وفستانها الأبيض الجميل خاليًا من التمزقات والبقع. كانت ميرابيل قد عرضت إعارة مريلة، لكن دورا رفضتها بسخرية.

لدغت السلمون كما تفعل دائمًا في أيام الأحد. في غضون ساعة، كان لدى المتجاوزين جميعًا الأسماك التي أرادوها، لذلك عادوا إلى المنزل، مما كان يساهم في راحة دورا. جلست بشكل لائق على قن الدجاج في الفناء بينما كان الآخرون يلعبون لعبة صاخبة من اللطمة. ثم صعدوا جميعًا إلى سطح منزل الخنازير وقطعوا حروفهم الأولى على لوحة السرج. كان منزل الدجاج المسطح السقف وركم من القش أسفله مصدر إلهام آخر لدافي. قضوا نصف ساعة رائعة يتسلقون على السطح ويقفزون في القش بصيحات وصرخات.

ولكن حتى المتع غير القانونية يجب أن تأتي إلى نهايتها. عندما أخبرتهم الرنة من عجلات المركبة على جسر البركة أن الناس كانوا في طريقهم إلى البيت من الكنيسة، علم دافي أنهم يجب أن يذهبوا. تخلص من سروال تومي، وارتدى ملابسه الصحيحة، وتحول بعيدًا عن مجموعته من السلمون بتنهد. لا داعي للتفكير في أخذها إلى المنزل.

«حسنا، ألم نقض وقتًا رائعًا؟» سأل دافي بتحدٍّ، وهم ينحدرون من التلة.

«لـم أكن»، قالت دورا بسـطحية. «ولا أعتقـد أنك كنت حقًا— أيضًا»، أضافت، بلمعان فطري لم يكن متوقعًا منها.

«كنت كذلك»، صاح دافي، ولكن بصوت يبدي الاحتجاج الزائد. «لا عجب أنك لم تكن—تجلسين هناك فقط كما لو كنتِ—كما لو كنتِ البغل.»

«لن أتواصل مع آلكوتون»، قالت دورا بفخر.

«آلكوتون على ما يرام»، رد دافي. «ولديهم أوقات أفضل بكثير ممـا لدينـا. إنهـم يفعلـون ما يشـاءون ويقولون ما يحلـو لهم أمام الجميع. سأفعل ذلك أيضًا بعد هذا.»

«هنـاك الكثيـر مـن الأشـياء التـي لن تجـرؤ على قولهـا أمام الجميع»، أكدت دورا.

«لا، لا يوجد ذلك.»

«يوجـد، أيضًا. هل تسـتطيع»، طالبـت دورا بجدية، «أن تقول «قط الذكر» أمام القس؟»

كانـت هـذه صدمة. لـم يكن دافي مسـتعدًا لمثل هـذا المثال الملمـوس عـن حريـة التعبير. ولكن لا يلزم أحد أن يكون متسـقًا مع دورا.

«بالطبع لا»، اعترف بانزعاج. «قط الذكر» ليست كلمة مقدسة. لن أشير إلى مثل هذا الحيوان أمام القس على الإطلاق.»

«ولكن إذا كنت تضطر؟» أصرت دورا.

«أنا سأسميها قطة توماس»، قال دافي.

«أعتقد أن «قط السيد» سيكون أكثر أدبًا»، تأملت دورا.

«أنت تفكر!»، رد دافي بسخرية مدمرة.

لم يكن دافي يشعر بالراحة، على الرغم من أنه كان سيموت قبل أن يعترف بذلك لدورا. الآن بعد أن تلاشـت الحماسـة من لذائذ

الغيـاب، بـدأت ضميره في إعطائه نغمات مفيدة. بعد كل شـيء، ربما كان من الأفضل أن يذهب إلى مدرسة الأحد والكنيسة. قد تكون السيدة ليند قوية الشخصية، ولكن هناك دائمًا صندوق من الكوكيز في خزانة مطبخها وهي ليست ببخيلة. في هذه اللحظة غيـر الملائمـة، تذكـر دافـي أنه عندما قطع سـرواله المدرسـي الجديـد فـي الأسـبوع الماضـي، كانـت السـيدة لينـد قـد قامت بإصلاحها بشكل جميل ولم تقل كلمة لماريلا حولها.

ولكن كوب دافي من الإثم لم يمتلئ بعد. كان عليه أن يكتشف أن خطيئـة واحـدة تتطلـب أخـرى لتغطيتهـا. تناولـوا الغـداء مع السيدة ليند في ذلك اليوم، وأول شيء سألته دافي كان:

«هل كانت جميع فصولك في مدرسة الأحد اليوم؟»

«نعـم، سـيدة»، قـال دافي بانتفـاخ. «كان الجميـع هناك—عدا واحد.»

«هل قلت نصك الذهبي والتعليم المسيحي؟»

«نعم، سيدة.»

«هل وضعت تبرعك؟»

«نعم، سيدة.»

«هل كانت السيدة مالكولم ماكفيرسون في الكنيسة؟»

«لا أعلم.»، هذا على الأقل كانت الحقيقة، فكر دافي بحزن.

«هل تم الإعلان عن موعد تجمع نساء جمعية الإغاثة للأسبوع القادم؟»

«نعم، سيدة»، برجاء.

«هل كان هناك اجتماع صلاة؟»

«أنا—أنا لا أعرف.»

«يجب عليك أن تعرف. يجب عليك الاستماع بعناية أكبر إلى الإعلانات. ما كان نص السيد هارفي؟»

أخذ دافي جرعة ماء هائلة وابتلعها. ثم قرأ بشكل سلس نصًا ذهبيًا قديمًا تعلمه قبل عدة أسابيع. لحسن الحظ، توقفت الآن السيدة ليند عن استجوابه، ولكن دافي لم يستمتع بعشاءه.

لم يستطع تناول وجبة الحلوى إلا مرة واحدة.

«ما الذي يحدث معك؟»، طالبت السيدة ليند، مستغربة بحق. «هل أنت مريض؟»

«لا»، همس دافي.

«تبدو شاحبًا. ستكون أفضل إذا حافظت على عدم التعرض للشمس هذا الفترة بعد الظهر»، حذرته السيدة ليند.

«هل تعلم كم كذبت على السيدة ليند؟» سألت دورا بتوبيخ، بمجرد أن كانوا وحدهم بعد العشاء.

دافي، الذي تحول إلى اليأس، تحول بشكل عنيف.

«لا أعرف ولا يهمني»، قال. «فقط اسكتي، دورا كيث.»

ثم اتجه المسكين دافي إلى مأوى منعزل خلف كومة الحطب ليفكر في طريق المتجاوزين.

كانت البراري الخضراء مغمورة في الظلام والصمت عندما وصلت آن إلى المنزل. لم تفوت الوقت في الذهاب إلى الفراش، لأنها كانت متعبة ونعسانة للغاية. كانت هناك العديد من الاحتفالات في أفونلي خلال الأسبوع السابقة، في ساعات متأخرة إلى حد ما. لم تكن رأس آن على وسادتها قبل أن تكون نصف نائمة؛ ولكن في هذه اللحظة تم فتح بابها بلطف وصوت يتوسل قال: «آن».

جلست آن بشكل نعسان.

«دافي، هل هذا أنت؟ ما الذي حدث؟»

رمى شخص ملفوف باللون الأبيض نفسه عبر الأرض وعلى السرير.

«آن»، بكى دافي، ووضع ذراعيه حول رقبتها. «أنا مسرور للغاية بعودتك. لم أتمكن من النوم حتى أخبر شخصًا.»

«بماذا؟»

«كم أنا تعيس، آن.»

«لماذا أنت تعيس، عزيزي؟»

«لأنني كنت سيئًا اليوم، آن. أوه، كنت سيئًا جدًا—أكثر سوءًا مما كنت عليه حتى الآن.»

«ماذا فعلت؟»

«آه، أخشى أن أخبرك. لن تحبيني مرة أخرى، آن. لم أستطع أن أصلي الليلة. لم أستطع أن أخبر الله بما فعلته. كنت خائفًا أن يعلم.»

«لكنه علم على أي حال، دافي.»

«هذا ما قالته دورا. لكنني فكرت ربما لم يكن قد لاحظ في تلك اللحظة. على أية حال، كنت أفضل أن أخبرك أولا.»

«ما هو الذي فعلته؟»

خرج كل ذلك باندفاع.

«هربت من مدرسة الأحد—وذهبت للصيد مع آلكوتون—وقلت كذبة بعد كذبة للسيدة لينـد—أوه!، نصف دزينة على الأقل—و—و—قلت كلمة نابية، آن—كلمة قريبة من النابية، على الأقل—وناديت الله أسماءً.»

هدوء ساد المكان. لم يكن دافي يعرف ما الذي يمكن أن يستنتجه من ذلك. هل كانت آن صدمت لدرجة أنها لن تتحدث

إليه مرة أخرى؟

«آن، ما الذي ستفعلينه بي؟» همس.

«لا شيء، عزيزي. لقد تم عقابك بالفعل، أعتقد.»

«لا، لم يحدث شيء لي.»

«كنت سعيدًا جدًا منذ أن فعلت الخطأ، أليس كذلك؟»

«تأكيداً،» قال دافي بقوة.

«كان ذلك ضميرك يعاقبك، دافي.»

«ما هو ضميري؟ أريد أن أعرف.»

«إنه شيء في داخلك، دافي، يخبرك دائمًا عندما تفعل خطأ ويجعلك غير سعيد إذا استمررت في القيام به. ألم تلاحظ ذلك؟»

«نعم، ولكني لم أكن أعرف ما هو. أتمنى ما كان لدي. لكنني سأكون أكثر مرحًا بكثير. أين ضميري، آن؟ أريد أن أعرف. هل هو في معدتي؟»

«لا، إنه في روحك»، أجابت آن، ممتنة للظلام، حيث يجب الحفاظ على الجدية في المسائل الجادة.

«أفترض أنني لا أستطيع التخلص منه إذن»، قال دافي بتنهد. «هل ستخبرين ماريلا والسيدة ليند عني، آن؟»

«لا، عزيزي، لن أخبر أحدًا. ألست تشعر بالندم لكونك كنت شقيًا؟»

«تأكيداً!»

«ولن تكون سيئًا مثل ذلك مرة أخرى.»

«لا، ولكن—» أضاف دافي بحذر، «ربما أكون سيئًا بطريقة أخرى.»

«لن تقول كلمات خارجة، أو تهرب أيام الأحد، أو تروج أكاذيب لتغطية ذنوبك؟»

«لا، لا يستحق»، قال دافي.

«حسنًا، دافي، قل للّه أنك آسف واطلب منه أن يغفر لك.»

«هل قد غفرت لي، آن؟»

«نعم، عزيزي.»

«إذاً»، قال دافي بفرح، «لا يهمني كثيرًا ما إذا كان اللّه قد غفر لي أم لا.

« دافي!»

«أوه، سأسأله، سأسأله»، قال دافي بسرعة، متسلقًا من السرير، مقتنعًا = خلال تلك اللحظة بأنه يجب أن يكون قد قال شيئًا فظيعًا. «لا أمانع في أن أسأله، آن. يا اللّه، أنا آسف للغاية لأنني اقترفت سلوكًا سيئًا اليوم وسأحاول أن أكون جيدًا أيام الأحد دائمًا ورجاءً اغفر لي.ها قد الآن، آن.»

«حسنًا، الآن، اذهب إلى الفراش كصبي جيد.»

«حسنًا. قل، لا أشعر بالتعاسة بعد الآن. أشعر بأنني بحالة جيدة. تصبحين على خير.»

«تصبح على خير.»

انزلقت آن على وسائدها مع تنهيدة من الراحة. أوه، كم هي نعسة! في لحظة أخرى—

«آن!» كان دافي قد عاد مرة أخرى إلى فراشها. رفعت آن عينيها بصعوبة.

«ما هو الأمر الآن، عزيزي؟» سألت، محاولة الحفاظ على لحن الانزعاج بعيدًا عن صوتها.

«آن، هل لاحظتي أي وقت مضى كيف يبصق السيد هاريسون؟ هل تعتقدين أنه إذا مارست بجد، يمكنني أن أتعلم كيفية البصق تمامًا مثله؟»

ارتفعت آن.

«دافـي كيث»، قالت، «اذهب مباشـرة إلى فراشـك ولا تدعني ألتقطك خارجه مرة أخرى الليلة! اذهب، الآن!»

ذهب دافي، ولم ينتظر لحظة

الفصل الرابع عشر

الاستدعاء

كانـت آن تجلـس مع روبي جيليس فـي حديقة جيليس بعد أن مـر اليـوم ببـطء من خلالهـا وانتهى. كان بعد ظهـر صيفي دافئ ومدخـن. كان العالـم فـي رونق الازدهـار. كانت الأوديـة الخمول مليئـة بالغيـوم. كانـت الطرق الخشـبية مزينة بالظـلال والحقول بلـون الأزرق الفاتـح لزهور الأسـتير. كانت آن قد تخلى عن رحلة في الليل إلى شاطئ وايت ساندز لكي تقضي الأمسية مع روبي. لقد قضت العديد من الأمسيات هذا الصيف بهذه الطريقة، على الرغـم مـن أنهـا كانت في كثيـر من الأحيان تتسـاءل عن فائدتها وتذهـب إلـى البيـت أحيانًـا مقررة أنهـا لا تسـتطيع الذهاب مرة أخرى.

أصبحـت روبـي أكثـر شـحوبًا مع تراجـع الصيف؛ تـم التخلي عـن مدرسـة وايـت سـاندز – «فكر والدها أنه مـن الأفضل أن لا تدرس حتى رأس السنة الجديدة» – وأصبحت الأعمال الفانتازية التي كانت تحبها أكثر تساقطًا من يديها التي أصبحت أكثر تعبًا لهـا. ومـع ذلك، كانت دائمًـا مبتهجة، دائمًا متفائلـة، دائمًا تثرثر وتهمس حول معشـوقيها وتنافسـهم ويأسـهم. كان هذا هو الذي جعل زيارات آن صعبة بالنسبة لها. ما كان يعتبر في وقت مضى

أمورًا سخيفة أو مسلية أصبح مروعًا الآن. كانت الموت يتطلع من خلال قناع حياة متعمدة. ومع ذلك، يبدو أن روبي تتشبث بها، ولم تتركها أبدًا حتى وعدت بالعودة قريبًا. تتذمر السيدة لايند من الزيارات المتكررة لآن، وتقول إنها ستصاب بالسل، حتى ماريلا كانت مترددة. «في كل مرة تذهبين لرؤية روبي، تعودين إلى البيت تبدين متعبة»، قالت. «إنها أمر حزين جداً ورهيب»، قالت آن بصوت منخفض. «لا يبدو أن روبي تدرك حالتها على الإطلاق. ومع ذلك، يبدو لي أنها بحاجة إلى مساعدة – تشتاق إليها – وأريد أن أقدمها لها ولا أستطيع. طوال الوقت الذي أقضيه معها، أشعر وكأنني أشاهد صراعها مع عدو غير مرئي – تحاول دفعه إلى الوراء بمقاومة ضعيفة كما لديها. ولهذا السبب أعود إلى المنزل متعبة.»

ولكن هذه الليلة لم تشعر آن بذلك بنفس الحدة. كانت روبي هادئة بشكل غريب. لم تقل كلمة عن الحفلات والرحلات والفساتين و»الأصدقاء». كانت تستلقي في نعشها، مع عملها غير الملامس بجانبها، وشال أبيض ملفوف حول كتفيها النحيفة. كانت خصلات شعرها الصفراء الطويلة – كم كانت آن تحسد تلك الضفائر الجميلة في أيام المدرسة القديمة! – ترقد على جانبيها. كانت قد أخذت الدبابيس – كانت تجعل رأسها تؤلمها، قالت. انخرطت الوجهة الحمراء للحمى للوقت، مارة تاركة إياها شاحبة وطفولية.

ارتفعت القمر في السماء الفضية، محاطًا بالغيوم من حوله. أسفلها، كانت البركة تتلألأ في إشراقها الضبابي. وبالقرب من مزرعة جيليس كانت الكنيسة، مع المقبرة القديمة بجوارها. سطع ضوء القمر على الأحجار البيضاء، مبرزًا إياها بوضوح

واضح أمام الأشجار الداكنة في الخلف.

«كيف تبدو المقبرة بأضواء القمر!» قالت روبي فجأة. «ما أشبه الليلة!» هزت كتفيها. «آن، لن يمر وقت طويل قبل أن أكون مستلقية هناك. أنتِ وديانا وكل الآخرين ستتجولون، مليئين بالحياة، وسأكون هناك – في المقبرة القديمة – ميتة!»

صدمها الأمر وأربك آن. لفترة قصيرة لم تستطع التحدث.

«أنتِ تعلمين أنه كذلك، أليس كذلك؟» قالت روبي بإصرار.

«نعم، أعلم»، أجابت آن بصوت منخفض. «روبي العزيزة، أعلم.»

«الجميع يعلم ذلك»، قالت روبي بمرارة. «أنا أعلم، لقد علمت ذلك طوال الصيف، على الرغم من أنني لم أستسلم. وأوه، آن» – مدت يدها وأمسكت بيد آن بطلب وبشكل مفاجئ – «لا أريد أن أموت. أنا خائفة من الموت.»

«لماذا يجب أن تكونين خائفة، روبي؟» سألت آن بهدوء.

«لأنه – لأنه – أوه، لستُ خائفة من أن أذهب إلى الجنة، آن. أنا عضوة في الكنيسة. لكن – سيكون كل شيء مختلفًا. أعتقد – وأفكر – وأشعر بالرعب والحنين. يجب أن تكون الجنة جميلة جدًا، بالطبع، كما يقول الكتاب المقدس، ولكن، آن، لن تكون كما اعتدت عليها.»

مرت في ذهن آن ذكرى متطفلة لقصة مضحكة سمعتها فيليبا جوردون تحكي – قصة عجوز قال شيئًا مشابهًا تمامًا عن العالم الآتي. كان قد بدا مضحكًا حينها – تذكرت كيف كانت وبريسيلا يضحكان عليها. لكنها لم تبد مضحكة على الإطلاق الآن، عندما خرجت من شفاه روبي الباهتة والترجِّل. كانت حزينة، مأساوية – وصحيحة! لا يمكن أن تكون الجنة كما اعتدت روبي عليها. لم

يكـن هناك شـيء في حياتها المرحة والتافهـة، ومثلما تصبح لها أفكارها الضحلة وتطلعاتها، يكون لها دور في هذا التغيير الكبير، أو يجعـل الحيـاة القادمة تبدو لها شـيئًا غيـر غريب وغير واقعي وغير مرغوب فيه. تساءلت آن بلا قدرة عما إذا كانت قادرة على قول أي شـيء سيسـاعدها. هل يمكنها قول أي شـيء؟ «أعتقد، روبـي»، بـدأت آن بتـردد - لأنه كان مـن الصعب على آن التحدث إلى أي شـخص عن أعماق أفكار قلبها، أو الأفكار الجديدة التي بدأت تشكل نفسها بشكل غامض في عقلها، فيما يتعلق بالألغاز الكبيـرة للحيـاة هنـا وفيما بعد، تحـل محل تصوراتهـا الطفولية القديمـة، وكان مـن الصعـب الحديث عنها مـع مثل روبي جيليس - «أعتقد، ربما، أن لدينا أفكارًا خاطئة جدًا عن الجنة - ما هي عليـه ومـاذا تحمـل لنا. لا أعتقد أنه يمكـن أن يكون مختلفًا جدًا عـن الحيـاة هنا كما يظن معظم الناس. أعتقد أننا سنسـتمر في العيش، إلى حد كبير كما نعيش هنا - وسـنظل أنفسـنا تمامًا - سيكون من السهل فقط أن نكون طيبين ونتبع الأعلى. سيتم إزالة جميع العوائق والتعقيدات، وسنرى بوضوح. لا تخافي، روبي.»

«لا أسـتطيع أن أمنع ذلك»، قالت روبي بشـكل مؤسـف. «حتى لـو كانـت مـا تقولينه عـن الجنة صحيحًا - ولا يمكنـك أن تكوني متأكدة - قد يكون ذلك مجرد خيال لكِ - لن يكون مطابقًا تمامًا. لا يمكن. أرغب في الاستمرار في الحياة هنا. أنا شابة جدًا، آن. لم أعش حياتي. لقد قاتلت بجد للعيش - ولكن لا فائدة - يجب أن أموت - وتترك كل شيء أهتم به.» جلست آن في ألم كان يكاد يكون لا يطاق. لا يمكنها قول أكاذيب مريحة؛ وكل ما قالته روبي كان صحيحًا بشـكل رهيب. إنها كانت تترك كل شـيء كانت تهتم بـه. لقـد خزنت كنوزها على الأرض فقط؛ لقد عاشـت فقط من

أجل الأشياء الصغيرة في الحياة – الأشياء التي تمر – متناسية الأشياء العظيمة التي تسير إلى الأمام نحو الخلود، تجسيدًا للجسر الذي يتيح للحياة الانتقال من مسكن إلى آخر – من الشفق إلى يوم صاف. سيعتني الله بها هناك – كما كانت تؤمن آن – ستتعلم – ولكن الآن ليس من العجب أن تتشبث روحها، في عجز أعمى، بالأشياء الوحيدة التي تعرفها وتحبها.

رفعت روبي نفسها على ذراعها ورفعت عينيها الزرقاء الجميلة واللامعة إلى السماء المضاءة بأشعة القمر.

«أرغب في العيش»، قالت بصوت يرتجف. «أرغب في العيش كبقية الفتيات. أنا – أرغب في الزواج، آن – وأنجب أطفالًا صغارًا. تعلمين أنني أحببت دائمًا الأطفال، آن. لا أستطيع قول ذلك لأي شخص غيرك. أعلم أنك تفهمين. وبعد ذلك، المسكين هيرب – إنه – إنه يحبني وأنا أحبه، آن. الآخرون لم يعنوا شيئًا بالنسبة لي، لكن هو – وإذا كنت قد عشت سأكون زوجته وسأكون سعيدة جدًا. أوه، آن، إنه صعب.»

ركدت روبي على وسائدها وبكت بشكل هستيري. آن ضغطت على يدها بألم من التعاطف – تعاطف صامت، الذي ربما ساعد روبي أكثر مما كان يمكن أن تفعله الكلمات المتفككة وغير الكاملة. لأنها في وقت لاحق أصبحت أكثر هدوءً وتوقفت نوبات بكائها.

«أنا سعيدة لأنني قد قلت لك هذا، آن»، همست. «لقد ساعدني فقط أن أقول كل ذلك. لقد أردت أن أفعل ذلك طوال الصيف – في كل مرة جئت فيها. أردت أن أتحدث معك – ولكني لم أستطع. بدا وكأنه سيجعل من الموت شيئًا مؤكدًا إذا قلتُ أنني سأموت، أو إذا قالها أي أحد آخر أو إذا تلمح إليها. لم أكن

سـأقوله، أو حتـى أفكر فيه. في النهـار، عندما كان الناس حولي وكان كل شـيء مشـرقًا، لـم يكن من الصعب تفـادي التفكير فيه. ولكن في الليل، عندما لم أتمكن من النوم – كان ذلك فظيعًا، آن. لم أستطع الابتعاد عنه حينها. الموت فقط جاء ونظر إلي وجهي، حتى أصبحت خائفة جدًا إلى درجة أنني كنت سأصرخ.

«ولكنـك لـن تكونيـن خائفـة بعـد الآن، روبـي، أليـس كذلـك؟ سـتكونين شـجاعة وتعتقديـن أن كل شـيء سـيكون علـى ما يرام بالنسبة لك.»

«سـأحاول. سـأفكر فيمـا قلتِـه وسـأحاول أن أعتقـد ذلـك. وستأتينَ إليَّ في كل وقت تستطيعين، أليس كذلك، آن؟»

«نعم، عزيزتي.»

«إنه – لن يسـتغرق وقتًا طويلاً الآن، آن. أشـعر بالتأكيد بهذا. وأفضل أن يكون لديكِ من أي شخص آخر. أنا كنت أحبكِ دائمًا أكثـر مـن جميع الفتيات اللاتي كنـتُ أدرس معهن. لم تكنين يومًا مـا غيـورة أو بغيضـة، كما كانـت بعضهن. زرعتِ إيـم وايت كانت عنـدي البارحة. هل تتذكرين إيم وكنتُ صديقتين حميمتين لمدة ثلاث سـنوات عندما كنا نذهب للمدرسـة؟ ثم تشـاجرنا في وقت حفـل المدرسـة. لـم نتحدث أبـدًا إلـى بعضنا منذ ذلـك الوقت. أليس ذلك سـخيفًا؟ أي شـيء من هذا القبيل يبدو سـخيفًا الآن. ولكن إيم وأنا قمنا بتسـوية الخلاف القديم يوم أمس. قالت إنها كانت ستتحدث منذ سنوات، لكنها ظنت أنني لن أتحدث. وأنا لم أتحـدث إليهـا لأننـي كنت متأكدة أنها لن تتحـدث إليَّ. أليس من الغريب كيف يسيء الناس فهم بعضهم البعض، آن؟»

«معظـم المشـكلات في الحياة تأتي من سـوء الفهم، أعتقد»، قالـت آن. «يجـب أن أذهـب الآن، روبي. الوقت متأخر، ويجب ألا

تكوني خارجة في الرطوبة.»

«ستأتينَ قريبًا مرة أخرى؟»

«نعم، قريبًا جدًا. وإذا كان هناك شيء يمكنني فعله للمساعدة، سأكون سعيدة جدًا.»

«أعلم. لقد ساعدتني بالفعل. لا شيء يبدو فظيعًا الآن. تصبحينَ على خير، آن.»

«تصبحينَ على خير، عزيزتي.»

سارت آن ببطء شديد في ضوء القمر. كان المساء قد غير شيئًا بالنسبة لها. حملت الحياة معنىً مختلفًا، وهدفًا أعمق. سيظل السطح كما هو، ولكن الأعماق قد أثيرت. لا يجب أن تكون مصيرها كما هو حال روبي الفراشة الفقيرة. عندما تصل إلى نهاية حياة واحدة، لا يجب أن تكون لديها خوف من مواجهة الحياة التالية برعب تمامًا – شيء يختلف تمامًا – شيء لم يكن يتوقعه الفكر والمثال العادي والطموح. يجب ألا تكون الأشياء الصغيرة الممتعة هي الأشياء التي تعيش من أجلهافي الحياة. يجب أن تكون الأعلى هي التي يجب السعي وراءها واتباعها؛ يجب أن تبدأ حياة الجنة هنا على الأرض.

تلك الليلة الطيبة في الحديقة كانت للأبد. لم تر آن روبي مرة أخرى في حياتها. في الليلة التالية، نظمت الجمعية النسائية للتحفيز الاجتماعي حفل وداع لجين أندروز قبل رحيلها إلى الغرب. وفي حين كانت الأقدام ترقص والعيون الساطعة تضحك والألسنة الفرحة تثرثر، جاءت استدعاءات إلى روح في أفونلي التي لا يمكن تجاهلها أو تفاديها. في الصباح التالي، انتشرت الكلمة من بيت إلى بيت بأن روبي جيليس قد فارقت الحياة. لقد توفيت في نومها، بدون ألم وبهدوء، وعلى وجهها كان هناك

ابتسامة – كما لو كانت الموت قد جاء كصديق لطيف ليقودها عبر العتبة، بدلاً من الشبح المرعب الذي كانت تخشاه.

قالت السيدة راشيل ليند بحزم بعد الجنازة إن روبي جيليس كانت أجمل جثة رأتها عينيها. تم تذكير بجمالها، وهي مستلقية بين الزهور الرقيقة التي وضعتها آن من حولها، وتم التحدث عنها لسنوات في أفونليا. كانت روبي دائمًا جميلة، لكن جمالها كان من التراب، وكان لديه طابع معين من التحدي فيه، كما لو كان يتجاوب مع ناظريها؛ لم يظهر الروح من خلاله، ولم يكن له تأثير ذهني. لكن الموت لمسها وقدسها، مظهرًا نماذج دقيقة ونقاء في الخطوط لم يرها من قبل – يفعل ما كان يمكن أن تفعله الحياة والحب والحزن الكبير وفرح الأنوثة العميقة لروبي. نظرت آن، من خلال ضباب من الدموع، إلى رفيقتها القديمة، وظنت أنها رأت الوجه الذي أراد اللّه أن تكونه روبي، وتذكرته دائمًا.

قامت السيدة جيليس بدعوة آن إلى غرفة فارغة قبل موكب الجنازة مغادرة المنزل، وسلمتها حزمة صغيرة.

«أريدكِ أن تأخذي هذا»، بكت، «رغبة روبي كانت أن تعطيكِ إياه. إنها منسوجة بالتطريز وكانت تعمل عليها. ليس هناك الكثير متبقي – الإبرة متعلقة فيها تمامًا حيث وضعت أصابعها الصغيرة الفقيرة آخر مرة وضعتها فيها، بعد ظهر اليوم الذي توفيت فيه».

«يظل دائماً هناك قطعة من العمل غير المكتملة»، قالت السيدة ليند، بدموع في عينيها. «ولكنني أفترض أن هناك دائماً شخص ما ليكملها».

«كم هو صعب أن ندرك أن شخصًا عرفناه دائمًا يمكن أن يكون حقًا ميتًا»، قالت آن وهي تمشي مع ديانا إلى البيت. «روبي هي أول زملائنا في المدرسة التي ترحل. واحدًا تلو الآخر، في وقت ما، يجب علينا أن نتبع جميعنا».

«نعم، أظن ذلك»، قالت ديانا بشكل غير مريح. لم تكن ترغب في الحديث عن ذلك. كانت تفضل أن تناقش تفاصيل الجنازة – التابوت الأبيض الكتان الفاخر الذي أصر السيد جيليس على الحصول عليه لروبي – «يجب على آل جيليس دائمًا أن يختاروا حتى في الجنازات»، علقت السيدة راشيل ليند – وجه هيرب سبنسر الحزين، الحزن غير المتحكم في إحدى أخوات روبي – لكن آن لم تكن ترغب في الحديث عن هذه الأمور. بدت مغمورة في تأمل، حيث شعرت ديانا بالوحدة بأنها ليست لها حظ أو جزء فيه.

«كانت روبي جيليس فتاة عظيمة في الضحك»، قال ديفي فجأة. «هل ستضحك كثيرا في السماء كما فعلت في أفونلي، آن؟ أريد أن أعرف».

«نعم، أعتقد ذلك»، قالت آن.

«أوه، آن»، احتجت ديانا، بابتسامة مذهولة إلى حد ما.

«حسنًا، لما لا؟»، سألت آن بجدية. «هل تعتقدين أننا لن نضحك في الجنة؟»

«أ–أنا لا أعلم»، تردفت ديانا. «ليس يبدو صحيحًا بطريقة ما، تعلمين أنه من المروع أن نضحك في الكنيسة.»

«ولكن الجنة لن تكون مثل الكنيسة – طوال الوقت»، قالت آن.

«آمل ألا تكون كذلك»، قال ديفي بتأكيد. «إذا كانت كذلك، فلا أريد الذهاب. الكنيسة مملة بشكل فظيع. على أي حال، لا أنوي

الذهـاب لفتـرة طويلـة جدًا. أعني أن أعيش حتـى أبلغ من العمر مائـة عـام، مثل السـيد تومـاس بلوت من وايت سـاندز. يقول إنه عاش طويلاً لأنه دائماً كان يدخن التبغ وأنه قتل جميع الجراثيم. هل يمكنني أن أدخن التبغ قريبًا جدًا، آن؟»

«لا، ديفي، آمل أنك لن تسـتخدم التبغ أبدًا»، قالت آن بتشـتت الذهن.

«كيـف ستشـعرين إذا كانـت الجراثيـم قد قتلتني بعـد ذلك؟» طالب ديفي.

الفصل الخامس عشر
الحلم قلب رأسًا على عقب

«قالت آن: «أسبوع واحد فقط ونعود إلى ريدموند.»

كانت سعيدة بفكرة العودة إلى العمل والدروس وأصدقائها في ريدموند. كانت رؤى سارة أيضًا تُحاك حول «منزل باتي». كان هناك شعور دافئ وممتع بالمنزل في تلك الفكرة، حتى وإن لم تعش هناك أبدًا.

ولكن الصيف كان سعيدًا أيضًا – وقتًا للعيش بفرح مع أشعة الشمس الصيفية والسماء، وقتًا للاستمتاع العميق بالأمور الصحية؛ وقتًا لتجديد وتعميق الصداقات القديمة، وقتًا تعلمت فيه أن تعيش بشكل أرفع، وتعمل بصبر أكثر، وتلعب بحماس أكبر.

«لا تُدرس كل دروس الحياة في الكلية»، فكرت. «الحياة تُدرسها في كل مكان.»

ولكن، للأسف، تم تدمير الأسبوع الأخير من تلك العطلة السارة لآن، بواحدة من تلك الأحداث الشيطانية التي تشبه حلمًا قلبت رأسًا على عقب.»

«هل كنت تكتبين المزيد من القصص في الفترة الأخيرة؟» سأل السيد هاريسون بلطف في إحدى الليالي عندما كانت آن

تتناول الشاي معه ومع السيدة هاريسون.

«لا»، أجابت آن بحدة نوعًا ما.

«حسنًا، لا قصد لي بذلك. قالت لي السيدة هيرام سلون يومًا ما أن ظرفًا كبيرًا مُوجهًا إلى شركة رولينغز لتصنيع خميرة الخبز الموثوق بها في مونتريال قد وُضع في صندوق البريد قبل شهر، واشتبهت في أن هناك شخصًا يحاول الفوز بالجائزة التي قدموها لأفضل قصة تُدرج اسم خميرة الخبز الخاصة بهم فيها. قالت إنها لم تكن مُوجهة بخطك، ولكن فكرت ربما كانت أنت.»

«حقًا، لا! رأيت عرض الجائزة، ولكنني لن أحلم أبدًا بالمنافسة عليها. أعتقد أنه سيكون من الفضيحة الكاملة كتابة قصة للإعلان عن خمرة الخبز. سيكون تقريبًا مثل سياج دواء جادسون باركر.»

هكذا تكلمت آن بفخر، دون أن تحلم بوادٍ من التحقير ينتظرها. في تلك الليلة نفسها، دخلت ديانا إلى الشُرفة، نابضة بالحيوية وبوجنتين محمرتين، حاملة رسالة.

«آه، آن، إليك رسالة. كنت في المكتب، لذا فكرت في أن أحضرها معي. افتحيها بسرعة. إذا كانت ما أعتقد أنها، فسأكون مسرورة جدًا.» آن، محتارة، فتحت الرسالة وألقت نظرة على محتوياتها المطبوعة بالآلة الكاتبة.

الآنسة آن شيرلي،

البراي الخضراء،

أفونلي، جزيرة الأمير إدوارد.

«عزيزتي السيدة: يسعدنا أن نبلغكِ بأن قصتكِ الرائعة «تكفير أفيريل» قد فازت بجائزة قيمتها خمسة وعشرون دولارًا في مسابقتنا الأخيرة. نقدم لكِ الشيك مع هذا الخطاب. نحن

نقـوم بترتيب نشـر القصة فـي عدة صحف كندية بـارزة، ونعتزم أيضًا طبعها على شكل كتيب لتوزيعها بين عملائنا. نشكركِ على الاهتمام الذي أبديتِه في مشروعنا، ونبقى،

«مع خالص التحية،»

«شركة رولينغزريلابل

«خميرة الخبز»

«أنا لا أفهم»، قالت آن بدهشة.

هتفت ديانا بفرح.

«آه، كنـت أعلـم أنهـا سـتفوز بالجائزة – كنت واثقـة من ذلك. أرسلت قصتك إلى المسابقة، آن.»

«ديانا – باري!»

«نعـم، فعلـت ذلـك»، قالـت ديانـا بسـعادة، وهـي تجلـس على السرير.

«عندمـا رأيـت العـرض، فكـرت في قصتـك في لحظـة، وفي البداية فكرت في أن أطلب منك أن ترسليها. ولكنني كنت خائفة أنك لن تفعلي ذلك – لديكِ قليل جدًا من الإيمان بها. لذا قررت فقط أن أرسـل نسـخة أعطيتني إياها ولا أقول شـيئًا عنها. ثم، إذا لـم تفـز بالجائزة، لن تعلمي ولن تشـعري بسـوء بسـببها، لأن القصص التي لم تفلح لن يتم إعادتها، وإذا فعلت، سـتكون لديكِ مفاجأة رائعة.»

ديانـا لـم تكـن أفضـل النـاس في فهـم الأمور، ولكـن في هذه اللحظة تحديدًا، شعرت بأن آن لا تظهر بالضبط سعادة.

المفاجأة كانت هناك، بلا شك، ولكن أين كانت البهجة؟

«لماذا، آن، لا تبدون سعيدة على الإطلاق!» صاحت ديانا.

صنعت آن فورًا ابتسامة ووضعتها على وجهها.

«بالطبـع، لا يمكننـي أن أكون شـيئًا إلا سـعيدة بسـبب رغبتك النبيلـة فـي منحـي المتعـة»، قالت ببـطء. «ولكنك تعلميـن – أنا مذهلـة للغايـة – لا أسـتطيع أن أدرك ذلـك – ولا أفهـم. لـم يكن هنـاك كلمـة فـي قصتي عن – عن –» علقت آن قليلاً على الكلمة – «خميرة الخبز.»

«آه، وضعت ذلك»، قالت ديانا وهي مطمئنة. «كان الأمر سهلًا جـدًا – وبالطبـع سـاعدتني تجربتـي فـي نادي القصـص القديم لدينـا. تعرفيـن مشـهد افيريـل الذي تعـده الكعكة؟ حسـنًا، قلت فقط إنها استخدمت رولينغز ريلابل فيها، ولهذا السبب خرجت جيـدة جـدًا. ثـم، فـي الفقـرة الأخيـرة، حيـث يعانـق بيرسـيفال أفيريـل ويقـول: «حبيبتـي، سـتأتينا السـنوات الجميلـة لتحقيـق أحلامنـا المنزلية»، أضفت: «سنسـتخدم فيهـا فقط خميرة خبز رولينغزريلابل.»

«آه»، أفاجـأت آن بفـزع، كما لو أن أحدهـم قد رش عليها ماءً باردًا.

«وقد فزت بخمسـة وعشـرين دولارًا»، اسـتمرت ديانا ببهجة. «لماذا، سمعت بريسيلا تقول مرة واحدة إن مجلة المرأة الكندية تدفع فقط خمسة دولارات مقابل القصة!»

عرضت آن الورقة الوردية المكروهة بأصابع ترتجف.

«لا أسـتطيع أن آخذها – إنها لكِ بحق، ديانا. أرسـلتِ القصة وقمـتِ بالتعديـلات. أنـا – بالتأكيـد – لـن أرسـلها بـأي حال من الأحوال. لذا يجب أن تأخذي الشيك.»

«أرى نفسي»، قالت ديانا بسخرية. «لم يكن ما فعلته أي عبء. شـرف كونـي صديقـة للفائز بالجائـزة يكفيني. حسـنًا، يجب أن أذهب. كنت سـأذهب مباشـرة إلى المنزل من مكتب البريد لدينا

لأن لدينا ضيوف. ولكني اضطررت ببساطة للتوجه إلى هنا وسماع الأخبار. أنا سعيدة جدًا من أجلكِ، آن.»

فجأة، انحنت آن إلى الأمام، وضعت ذراعيها حول ديانا، وقبلت خدها.

«أظن أنكِ ألطف وأصدق صديقة في العالم، ديانا.»

قالت بصوتٍ يرتعش قليلاً، «وأؤكد لكِ أنني أقدر دافع ما فعلته.»

ديانا، سعيدة ومحرجة، ابتعدت عن نفسها، وأن، بعد أن رمت الشيك البريء في درج مكتبها كما لو كانت هي رياء،

ألقت نفسها على سريرها وبكت دموع الخجل والإحساس المُستهان. أوه، لن تستطيع أبدًا أن تتغلب على هذا—أبدًا!

وصل جيلبرت عند الغسق، وهو يفيض بالتهاني، لأنه كان قد زار أورشارد سلوب وسمع الأخبار. ولكن تهانيه توقفت عند رؤية وجه آن.

«لماذا، آن، ما الذي حدث؟ كنت أتوقع أن أجدكِ سعيدة لفوزكِ بجائزة رولينجز ريلابل. مبروك لكِ!»

«أوه، جيلبرت، لا أنت!»، استنجدت آن بصوت مليء بالإيحاء بـ «أيضًا أنت». «اعتقدت أنك ستفهم. ألا تستطيع أن ترى مدى الرهبة؟»

«يجدر بي أن أعترف بأنني لا أستطيع. ما هو الخطأ؟»

«كل شيء»، نوحت آن. «أشعر وكأنني قد تم تشويهي إلى الأبد. ماذا تعتقد أن الأم ستشعر به إذا وجدت طفلها مغطى بإعلان لبودرة الخبز؟ أشعر بنفس الشيء تمامًا. أحببت قصتي الصغيرة المسكينة، وكتبتها من أفضل ما في داخلي. وهو تدنيس أن يتم خفضها إلى مستوى إعلان لبودرة الخبز. ألا

تتذكريـن ما كان البروفيسـور هاملتـون يقوله لنا في فصل الأدب فـي كوينـز؟ قـال إنه يجـب علينـا ألا نكتب كلمـة لدافع منخفض أو لدافـع غيـر جديـر، ولكن دائماً أن نتمسـك بأعلى المثل. ماذا سـيعتقد عندمـا يسـمع أننـي كتبت قصـة للإعلان عـن رولينجز ريلابل؟ وأوه، عندما ينتشر الخبر في ريدموند! فكيف سأتعرض للسخرية والضحك!»

«لـن تتعرضـي لذلـك،» قـال جيلبـرت، وهـو يتسـاءل بقلق إذا كانت آن قلقة بشـكل خاص حول رأي الطالب السـنة الثالثة ذلك المريـب. «سـيعتقد الآخرون تمامًـا كما فعلت أنا—أنـك، كغالبية تسعة من كل عشرة منا، لا تحملين عبئًا زائدًا من الثروة الدنيوية، وقد اتخذتِ هذا الطريق لكسب بعض الأموال النزيهة لتساعدي نفسـكِ علـى مـر العـام. لا أرى في ذلك أي شـيء منخفضًا أو لا يسـتحق، أو حتـى أمرًا مضحكًا. بالطبـع، يفضل أن تكتبين تحفًا أدبية، ولكن في الوقت نفسه يجب دفع الرسوم الدراسية ورسوم التعليم.»

هـذا الـرأي العملـي والواقعي فـي القضية رفع مـن معنويات آن قليـلاً. علـى الأقل أزال مخاوفها من التعرض للسـخرية، على الرغـم مـن أن الألـم الأعمق الناجـم عن انتهاك المثـل الرفيع لا يزال قائمًا.

الفصل السادس عشر
علاقات معدلة

«إنـه أكثـر المواقع التي تشـعرك بالدفـء – إنـه أكثر دفئًا من المنزل نفسـه»، أقـرت فيليبا جوردون، وهـي تتطلع حولها بعيون مسـرورة. كـن مجتمعـات فـي فتـرة الشـفق فـي غرفة المعيشـة الكبيـرة فـي بيـت باتـي – آن وبريسـيلا وفيـل وسـتيلا والعمـة جيمسينا وراستي وجوزيف وسارة القطة ويأجوج ومأجوج. كانت ظـلال النـار ترقص على الجدران. وكانـت القطط تخرخر، وكان هنـاك مزهريـة كبيـرة ممتلئة بأقحـوان يتألق من خـلال الظلام كالقمرالذهبيكان قد أرسله أحد ضحايافيل،.

مضـت ثلاثـة أسـابيع منذ أن اعتبرن أنفسـهن قد اسـتقررن، وكان الجميـع يعتقـد أن التجربـة سـتكون ناجحـة بالفعـل. كانت الفترة المثيرة للسرور في الأسبوعين الأولين بعد عودتهن، حيث كانمشـغولات بتجهيـز أثـاث منزلهـن وتنظيم منشـآتهن الصغيرة وضبط آرائهنالمختلفة.

لم تكن آن حزينة عندما حان الوقت للعودة إلى الكلية. لم تكن الأيام الأخيرة من إجازتها في أوفنلي سارة. كانت قصتها الفائزة قـد نشـرت في الصحـف المحلية، وكان لدى السـيد ويليام بلير، على مكتب متجره، كومة ضخمة من الكتيبات الوردية والخضراء

والصفراء التي تحتوي عليها، وقدم واحدة منها لكل زبون. أرسل إلى آن حزمة مجانية، فرمتها على الفور في مدفأة المطبخ. كان شعورهابالمهانة نتيجة لمثلها الخاصة فقط، لأن أهل أفونلي اعتبروا أنه من الرائع أن تكون قد فازت بالجائزة. كان أصدقاؤها الكثيرون ينظرون إليها بإعجاب صادق، وأعداؤها القلائل بحسد ساخر. قالت جوزي باي إنها تعتقد أن آن شيرلي قد انتحلت القصة فقط؛ وكانت متأكدة أنها قرأتها في صحيفة ما منذ سنوات. وقال آل سلون، الذين اكتشفوا أو خمنوا أنّ آن تشارلي قد تم «رفضها»، إنهم لا يعتقدون أن هناك ما يمكنها أن تفتخر به. فأي شخص يمكن أن يفعل ذلك إذا حاول. وقالت العمة أتوسا لآن إنها آسفة جدًا لسماع أنها بدأت في كتابة الروايات؛ لا يفعل أحد ولد ونشأ في أفونلي ذلك. هذا ما حدث بسبب تبني من لا يُعرف آباؤهم وأمهاتهم ولم يعلمهمأحد الخير. حتى السيدة راشيل ليند كانت مُرتبكة بشكل غامض بشأن لائقية كتابة القصص الخيالية، قبل أن يزيل ترددها شيك بقيمة ٢٥ دولارًا.» إنّ السعر الذي يدفعونه مقابل هذه الأكاذيب مذهل «

بكل الاعتبارات، شعرت بالارتياح عندما حان وقت الرحيل. وكان من الممتع جدًا أن تكون مرة أخرى في ريدموند، طالبة حكيمة وخبيرة مع العديد من الأصدقاء في اليوم المبهج لافتتاح السنة. كانت بريس وستيلا وجيلبرت هناك، وقد كان تشارلي سلون، يبدو أكثر أهمية مما كان عليه أي طالب في السنة الثانية بالنسبة لفيل.بالإضافة إلى عرض أليك وألونزوالذي لم يتم حسمه بعد، ومودي سبورجونماكفيرسون. كان مودي سبورجون يدرس في المدرسة منذ تركه للجامعة الملكية، ولكن والدته قررت أنه حان الوقت الأنسب لترك ذلك وتحويل انتباهه إلى

تعلم كيف يكون قسا. سقط مودي سبورجون بشكل سيء في بداية حياته الجامعية. انقض ستّة من الطلاب الذين كانوا زملاء إقامته، عليه ذات ليلة وحلقوا نصف رأسه. وبهذا الشكل، كان على المسكين مودي سبورجون أن يتجول هكذا حتى ينمو شعره مرة أخرى. قال لآن بحرقة أنه كانت هناك أوقات شك فيها في ما إذا كان حقًا مدعوًا ليكون قسا.

لم تأت العمة جيمسينا حتى قدمت الفتيات «مكان باتي» لها. أرسلت الآن مفتاحًا مع رسالة من الآنسة باتي تقول فيها إن يأجوج ومأجوج في صندوق تحت سرير الغرفة الاحتياطية، ولكن يمكن أن يتم سحبهما عند الحاجة. وفي ملحق الرسالة، أضافت أنها تأمل أن تكون الفتيات حذرات بشأن وضع الصور. كانت غرفة المعيشة قد تم وضع ورقها حديثًا قبل خمس سنوات، ولم يكن لدى السيدتين باتي وماريا رغبة في إحداث المزيد من الثقوب في هذا الورق الجديد مما كان ضروريًا. بالنسبة للباقي، كانت تؤمن في كل شيء بين يدي آن.

كم كنيستمتع بترتيب عشهن! كما قالت فيل، إن الأمر تقريبًا مثل الزواج. فقط أنتن تستمتعن بمتعة تكوين بيت دون عناء الزوج. جلبت كل واحدة منهن شيئًا معها لتزيين أو جعل المنزل الصغير أكثر راحة. كانت بريس وفيل وستيلا لديهن العديد من الديكورات والصور، والتي قررن تعليقها حسب ذوقهن، متجاهلات متهورات للورق الجديد الذي وضعته السيدة باتي.

«سنملا الثقوب عندما نرحل، عزيزتي – لن تعلم أبدًا»، قالوا لآن التي كانت تحتج.

كانت ديانا قد أعطت لآن وسادة من إبر الصنوبر، وقدمت السيدة آدا ولكل منهما ولبريسيلا واحدة مطرزة بشكل ورائع.

أرسلت ماريلا صندوقًا كبيرًا من المربى، وألمحت إلى سلة لعيد الشكر، وأعطت السيدة ليند لآن بطانية مطرزة وأعارتها خمسة آخرين.

«خذيها»، قالت بسلطة. «قد يكون من المستحسن استخدامها بدلاً من تعبئتها في ذلك الصندوق في الغرفة العلوية ليأكلها بق الفراش.»

لن تتجرأ أي حشرة على الاقتراب من تلك البطانيات أبدًا، لأنها كانت تفوح برائحة كرات الفراش إلى درجة أنه كان عليها أن تُعلق في حديقة منزل باتي لمدة أسبوعين كاملين قبل أن يمكن تحملها في الداخل. في الحقيقة، لم يشهد شارع سبوفورد الأرستقراطي مثل هذا العرض بشكل نادر. جاء العجوز فاحش الثراء الذي يعيش «بالجوار» وأراد شراء البطانية الرائعة ذات الزنابق المطرزةبالأحمر والأصفر الذي قدمته السيدة راشيل لآن. قال إن والدته كانت تصنع بطانيات مثل تلك، وبصراحة، يريد واحدة ليتذكرها بها. لم ترغب آن في بيعها، إلى حد إحباطه، ولكنها كتبت عن كل هذا للسيدة ليند التي أرسلت مسرورة بهذا الخبر مكتوبا يقول بأن لديها واحدة تمامًا مثلها لتبديلها، لذا حصل ملك التبغ على بطانيته في النهاية، وأصر على وضعها على سريره، لاستياء زوجته العصرية.

خدمت بطانيات السيدة ليند غرضًا مفيدًا ذلك الشتاء. كان لدى منزل باتي، بكل فضائله الكثيرة، أيضًا عيوب. كان المنزل باردًا إلى حد ما؛ وعندما جاءت ليالي الصقيع، كانت الفتيات سعيدات جدًا بالتسلل تحت بطانيات السيدة ليند، وأملوا أن تعتبر إعارتها إليهم صدقة لها.

حصلت آن على الغرفة الزرقاء التي كانت تشتهيها منذ اللحظة الأولى. كانت لبريسيلا وستيلا الغرفة الكبيرة. وكانت فيل راضية تمامًا بالغرفة الصغيرة فوق المطبخ؛ وكانت العمة جيمسينا ستحصل على الغرفة في الطابق السفلي بجوار غرفة المعيشة. في المدخل، كان ينام راستي.

في أثناء عودتها من ريدموند، أصبحت آن على علم بأن الناس الذين التقتهم كانوا يراقبونها بابتسامة سرية. تساءلت آن بقلق عما إذا كان هناك شيء خاطئ فيها. هل كانت قبعتها مائلة؟ هل كان حزامها فضفاضًا؟ أثناء تفقد رأسها، رأت آن، لأول مرة، راستي.

تجلس وحيدة خلفها، قريبًا من عقبيها، كانت أكثر مخلوق حزين في قبيلة القطط التي رآتها على الإطلاق. كان الحيوان بعيدًا عن مرحلة القطط الصغيرة، نحيفًا، هزيلًا، وبمظهر مذموم. كانت هناك قطع ناقصة من أذنيه ، وكان أحد عينيه معطلًا مؤقتًا، وكانت إحدى خدوده متورمة بشكل هزلي. أما بالنسبة للون، إذا كانت قطة سوداء في السابق قد تعرضت للحرق بشكل جيد وبشكل كامل، فإن النتيجة كانت تشبه لون فرو هذا الشارد الرقيق، المتسخ، والمقزز.

أن شجعت القط بقولها «شو»، ولكن القط لم يُبالِ بـ «شو». طالما أنها وقفت، جلس على مؤخرته ونظر إليها بغضب من عينه الجيدة الوحيدة. وعندما استأنفت مسيرتها، تبعها القط. تنازلت آن عن رفقته حتى وصلت إلى بوابة «باتيزبلايس»، التي أغلقتها ببرود في وجهه، ظنت بحماقة أنها رأت آخر منه. ولكن عندما فتحت فيل الباب بعد خمسة عشر دقيقة، كان القط البني الصدئ على السلم. والمزيد من ذلك، اقتحم الباب فجأة وقفز

على حضن آن بصوت «مياو» نصف استغاثة ونصف انتصار.

«آن»، قالت ستيلا بجدية، «هل تمتلكين هذا الحيوان؟»

«لا، أنا لا أمتلكه،» احتجت آن بانزعاج. «المخلوق تبعني إلى المنزل من مكان ما. لم أستطع التخلص منه. أخ، انزل. أحب القطط اللائقة إلى حد ما، لكنني لا أحب الوحوش من لونك.»

ومع ذلك، رفض القط النزول. انكمش ببرود في حضن آن وبدأ يردد.

«من الواضح أنه قد اعتنى بك،» ضحكت بريسيلا.

«لن أسمح له بالاعتناء بي»، قالت آن بعناد.

«إنه كائن فقير،» قالت فيل بشفقة. «لماذا، يكاد عظامه تظهر من خلال جلده.»

«حسنًا، سأعطيه وجبة لذيذة ثم يجب عليه العودة إلى حيث جاء،» قالت آن بعزم.

تم إطعام القط وطرده. في الصباح، كان لا يزال على السلم. واستمر في الجلوس على السلم، يتسلل داخل كلما فُتح الباب. لم تكن أي برودة في الترحيب تؤثر عليه؛ فلم يكن لديه انتباه سوى لـ آن. من خلال الرحمة، قدمت الفتيات له الطعام، ولكن بعد مرور أسبوع، قررن أن يجب القيام بشيء. كان ظهور القط قد تحسن. استعادت عينه وخدهما طبيعتهما العادية، ولم يكن نحيفًا للغاية، وكانوا قد رأوا أنه يغسل وجهه.

«لكن على الرغم من ذلك، لا يمكننا الاحتفاظ به»، قالت ستيلا. «عمة جيمسي ستأتي الأسبوع المقبل وستحضر معها قطة سارة. لا يمكننا الاحتفاظ بقطتين، وإذا فعلنا ذلك، سيقاتل هذا الرستي كوت طوال الوقت مع قطة سارة. إنه قتالة بطبيعته. خاض معركة شرسة مساء البارحة مع قط السيجارة وهزمه،

بفارق كبير.»

«يجب علينا التخلص منه»، أتفقت آن، وتنظر بعبوس إلى موضوع نقاشهم، الذي كان يردد بطريقة توحي بالوداعة الحميمة. «لكن السؤال هو – كيف؟ كيف يمكن لأربع إناث غير محمية التخلص من قط لا يمكن التخلص منه؟»

«يجب أن نفحصه بالكلوروفورم»، قالت فيل بحماس. «هذه هي الطريقة الأكثر إنسانية.»

«من منا يعلم أي شيء عن إعطاء الكلوروفورم للقط؟» طالبت آن بتشاؤم.

«أنا، عزيزتي. إنها واحدة من قليل إنجازاتي المفيدة – التي للأسف قليلة جداً. لقد تخلصت من العديد منها في البيت. تأخذين القط في الصباح وتعطينه إفطارًا جيدًا. ثم تأخذين حقيبة قماش قديمة – هناك واحدة في الشرفة الخلفية – تضعين القط عليها وتقومين بوضع صندوق خشبي فوقه. ثم تأخذين زجاجة كلوروفورم بحجم أونصتين، تفتحينها، وتزحفينها تحت حافة الصندوق. ثم تضعين وزنًا ثقيلًا على الصندوق وتتركينه حتى المساء. سيكون القط ميتًا، ملفوفًا بسلام كما لو كان نائمًا. لا ألم، لا صراع.»

«يبدو أنه سهل»، قالت آن بتردد.

«إنه سهل. فقط اتركيه لي، سأتكفل به»، قالت فيل بطمأنينة.

تم الحصول على الكلوروفورم وفي الصباح التالي، جذبوا راستي إلى مصيره. أكل إفطاره، لعق شفتيه، وصعد إلى حضن آن. راجت قلب آن. هذا المسكين يحبها – يثق بها. كيف يمكنها أن تكون شريكة في هذا الدمار؟

«ها هو، خذيه»، قالت على عجل لفيل. «أشعر وكأنني قاتلة.»

«لن يعاني، تعلمين»، حنانت فيل، ولكن هربت آن.

تمت الجريمة الفظيعة في الشرفة الخلفية. لم يقترب أحد منها ذلك اليوم. ولكن عند الغسق، أعلنت فيل أنه يجب أن يدفن راستي.

«يجب أن تحفرا القبر في البستان»، أعلنت فيل، «ويجب أن تأتي آن معي لرفع الصندوق. هذا هو الجزء الذي أكرهه دائمًا.»

المتآمرون الاثنان اقتربوا بتردد إلى الشرفة الخلفية. رفعت فيل الحجر بحذر الذي وضعته على الصندوق. فجأة، سُمع مواءٍ خافت ولكن واضح تحت الصندوق.

«هو – هو ليس ميتًا»، قالت آن بدهشة، جلسة بتلك الوسادة عتيقة أمام باب المطبخ.

«يجب أن يكون»، قالت فيل بريبة.

مواء صغير آخر أثبت أنه ليس كذلك. نظرت الفتاتان إلى بعضهما.

«ماذا سنفعل؟» سألت آن.

«لماذا لا تأتين؟» طالبت ستيلا بغضب، ظاهرة في الباب.

«لدينا القبر جاهز. «لماذا الصمت والسكون؟»، نقلت بمزاح.

«أو لا، أصوات الموتى تبدو كصوت شلال بعيد،» عكست آن بجدية، وتشير بجدية إلى الصندوق.

اندلعت نوبة ضحك فككت التوتر.

«يجب أن نتركه هنا حتى الصباح»، قالت فيل، ووضعت الحجر مكانه. «لم يمت لمدة خمس دقائق. ربما كانت المواء التي سمعناها صرخته الأخيرة. أو ربما قمنا بتخيلها تحت وطأة ضمائرنا الذنبية.»

لكن عندما رفع الصندوق في الصباح، قفز راستي بنفسجية واحدة سعيدة إلى كتف آن حيث بدأ يلعق وجهها بحنان. لم يكن هناك قط أكثر إحياءً قط.

«ها هو فتحة في الصندوق»، قالت فيل بألم. «لم أراها أبدًا. هذا هو السبب في أنه لم يمت. الآن، يجب علينا أن نفعل كل ذلك مرة أخرى.»

«لا، لن نفعل»، أعلنت آن فجأة. «لن يتم قتل راستي مرة أخرى. إنه قطي – ويجب أن تتقبلوا ذلك.»

«حسنًا، إذاً، إذا كنتِ ستتفقين مع عمة جيمسينا وقطة سارة»، قالت ستيلا، بمظهر يدل على أنها تتخلص من المسؤولية.

من تلك اللحظة كان راستي جزءًا من العائلة. كان ينام في الليالي على وسادة التنظيف في الشرفة الخلفية وكان يعيش على زينة الأرض. وعندما جاءت عمة جيمسينا، كان ممتلئًا ولامعًا ومحترمًا إلى حد ما. ولكن، مثل قط كيبلينغ، «كان يسير بمفرده.» كانت لديه مشكلة مع كل قط، وكل قط كان له مشكلة معه. واحدًا تلو الآخر، هزم القط الأرستقراطيين في طريق سبوفورد. أما بالنسبة للبشر، فأحبه آن وحدها. لم يجرؤ أحد آخر حتى على مداعبته. وكل من فعل ذلك كان يواجه شطبًا غاضبًا وشيئًا يشبه إلى حد كبير لغة غير لائقة.

«التصرفات التي يظهرها هذا القط غير محتملة تمامًا»، أعلنت ستيلا.

«هو كان قطًا جميلًا، كان كذلك»، أقسمت آن، تضم حيوانها بتحدي.

«حسنًا، لا أعرف كيف سيتفق مع قطة سارة هو»، قالت ستيلا بتشاؤم. «القتال بين القطط في البستان ليلاً أمر سيء بما فيه

الكفاية. لكن القتال هنا في غرفة المعيشة أمر لا يُعقل.»

في الوقت المناسب وصلت عمة جيمسينا. كانت آن وبريسيلا وفيل قد انتظرن وصولها بتحفظ إلى حد ما؛ ولكن عندما جلست عمة جيمسينا على كرسي الهزاز أمام النار المشتعلة، انحنينا رمزيًا وعبدناها بمعنى الكلمة.

كانت عمة جيمسينا امرأة صغيرة ذات وجه صغير ذو زوايا ناعمة، وعيون زرقاء كبيرة ناعمة كانت متألقة بشباب لا يمكن اخماده، وكانت مليئة بالآمال كفتاة. كانت لديها خدين وردية وشعر أبيض ناصع كانت ترتديه بتسريحات صغيرة وغريبة فوق أذنيها.

«إنها طريقة قديمة جداً»، قالت، وهي تحيك بجدية شيئًا دقيقًا وورديًا مثل سحابة غروب الشمس. «لكنني قديمة الطراز. ملابسي كذلك، ومن المنطقي أن تكون آرائي كذلك. لا أقول أنها أفضل بأي حال من الأحوال، تفهمين. في الواقع، أعتقد أنها ربما تكون أسوأ بكثير. ولكنها كانت مريحة. الأحذية الجديدة أذكى من القديمة، ولكن القديمة أكثر راحة. أنا كبيرة بما فيه الكفاية للانغماس في مسألة الأحذية والآراء. أعني أن أتأخر هنا. أعلم أنك تتوقعون مني أن أعتني بكم وأحافظ على السلوك اللائق بكم، ولكنني لن أفعل ذلك. أنتن كبيرات بما فيه الكفاية لتعرفن كيف تتصرفن إذا كنتن ستفعلن ذلك على الإطلاق. إذاً، بقدر ما يخصني»، اختتمت عمة جيمسينا، ببريق في عيونها الشابة، «يمكنكن جميعًا أن تذهبن إلى الدمار بالطريقة التي تختارنها.»

«أرجوكِ، هل يمكن لأحدهم أن يفصل بين تلك القطط؟»، توسلت ستيلا برعب.

كانت عمة جيمسينا قد جلبت معها ليس فقط قطة سارة ولكن أيضًا جوزيف. كان جوزيف، كما شرحت، قد تبع إلى صديقة عزيزة عليها انتقلت للعيش في فانكوفر.

«لم تستطع أن تأخذ جوزيف معها لذلك طلبت مني أن آخذه. لم أكن حقًا قادرة على رفض. إنه قط جميل - أي، طباعه جميلة. سمته جوزيف بسبب أن فرائه ملون بعدة ألوان.»

كان حقًا كذلك. جوزيف، كما قالت ستيلا بانزعاج، يبدو وكأنه يمشي في حقيبة رثة. كان من المستحيل أن يُحدد ما هو لونه الرئيسي. كانت ساقيه بيضاء مع نقاط سوداء عليهما. كانت ظهره رماديًا مع بقعة ضخمة صفراء على جانب واحد وبقعة سوداء على الجانب الآخر. كانت ذيله أصفر بطرف رمادي. كانت إحدى أذنيه سوداء والأخرى صفراء. قطعة سوداء فوق عين واحدة أعطته مظهرًا فظيعًا للغاية. في الواقع، كان هويس وغير مهاجم، وكان لديه نزعة اجتماعية. من جهة، إذا لم يكن غير ذلك، كان جوزيف مثل زنبقة الحقل. لا يشتغل ولا ينسج ولا يصطاد الفئران. ومع ذلك، لم ينم سليمان في كل مجده على وسائد أنعم، أو احتفل بالأشياء الدهنية بشكل أكبر.

وصل جوزيف وقطة سارة بواسطة البريد السريع في صناديق منفصلة. بعد أن تم إطلاقهما وتغذيتهما، اختار جوزيف الوسادة والزاوية التي أعجبت به، وقطة سارة جلست بجدية أمام النار وبدأت في تنظيف وجهها. كانت قطة كبيرة ولامعة رمادية وبيضاء، بكرامة ضخمة لم يتأثر بها وعي بأصلها الشعبي. كانت قد أُهدِيَت لعمة جيمسينا من قبل جارتها.

«اسمها كان سارة، لذلك كان زوجي يسمي القطة بسارة»، شرحت عمة جيمسينا. «عمرها ثماني سنوات، وهي صيادة فعّالة

للغاية. لا تقلقي، ستيلا. القطة سارة لا تقاتل أبدًا وجوزيف نادرًا ما يقاتل.»

«عليهم أن يقاتلوا هنا في الدفاع عن أنفسهم»، قالت ستيلا.

في هذه اللحظة وصل راستي إلى الساحة. قفز بفرح على نصف الطريق عبر الغرفة قبل أن يرى الغزاة. ثم توقف فجأة؛ ذيله توسع حتى أصبح كبيرًا كثلاثة ذيول. ارتفعت شعر ظهره بقوس تحدٍّ؛ خفض راستي رأسه، أطلق صرخة فظيعة من الكراهية والتحدي، وانطلق نحو قطة سارة

كان الحيوان الرفيع قد توقف عن تنظيف وجهها وكانت تنظر إليه بفضول. لقد تلبّست هجومه بلكمة مزهرة من خفة يدها. ذهب راستي يتدحرج بلا مساعدة على السجادة؛ انقلب بنفسه بذهول. ما هو هذا القط الذي لطم أذنيه؟ نظر راستي بتردد إلى قطة سارة. هل سيفعل أم لا؟ قررت قطة سارة بشكل متعمد أن تدير ظهرها له وتعاود عمليات التجميل. قرر راستي أنه لن يفعل. ولم يفعل أبدًا. من تلك اللحظة وصاعدًا، كانت قطة سارة هي التي تحكم في كل شيء. لم يتدخل راستي مرة أخرى معها.

لكن جوزيف جلس بسرعة وتثاوب. هاجم راستي، الذي كان يحترق من الرغبة في الانتقام من اهانته، عليه. جوزيف، السلمي بطبعه، كان قادرًا على القتال عند الضرورة وكان يقاتل بشكل جيد. كانت النتيجة سلسلة من المعارك التي انتهت بالتعادل. كل يوم كان يقاتل راستي وجوزيف عند اللقاء. انضمت آن إلى جانب راستي وكرهت جوزيف. كانت ستيلا في يأس. ولكن عمت جيمسينا كانت تضحك فقط.

«دعهم يتقاتلون»، قالت بتسامح. «سيصبحون أصدقاء بعد لحظة. إن جوزيف بحاجة إلى بعض التمرين – كان يصبح سمينًا

جداً. وعلى راستي أن يتعلم أنه ليس هو القط الوحيد في العالم.»

فـي النهاية، قبل جوزيف وراسـتي الوضـع وأصبحوا أصدقاء مقسـمين. كانوا ينامون على نفس الوسـادة بأيديهم حول بعضهم البعض، ويغسلون وجوه بعضهم بجدية.

«لقـد تعودنـا جميعًا على بعضنا البعـض»، قال فيل. «وتعلمت كيف أقوم بغسل الأطباق ومسح الأرض.»

«لكـن لا داعـي لمحاولـة إقناعنـا بأنـك يمكنـك تخديـر قطة بالكلوروفورم»، ضحكت آن.

«كل ذلك كان بسبب فتحة العقدة»، احتج فيل.

«كانـت فتحـة العقدة شـيئًا جيدًا أن تكون هنـاك»، قالت عمة جيمسينا بحسم. «يجب أن تغرق القطط الصغيرة، أعترف بذلك، أو سيغزو العالم. ولكن لا ينبغي أن يتم قتل قطة نزيهة وكبيرة ما لم يمص البيض.»

«لـم تكـن لتعتبـر راسـتي نزيهًا جدًا لـو رأيته عندمـا جاء إلى هنا»، قالت ستيلا. «كان يبدو بالفعل وكأنه الشيطان.»

«لا أعتقد أن الشيطان يمكن أن يكون بهذه القبح»، قالت عمة جيمسـينا بتفكير. «لم يكن سـيفعل كل هذا الضرر لو كان كذلك. أعتبر دائمًا أنه رجل وسيم إلى حد ما.»

الفصل السابع عشر
رسالة من ديفي

«إن الثلج قد بدأ يتساقط، يا بنات»، قالت فيل في إحدى أماسي نوفمبر، «وقد أنارت النجوم وبلورات الثلجالصغيرة جميع أنحاء ممر الحديقة. لم ألاحظ من قبل مدى روعة بلورات الثلج. لك يكن لدينا الوقت للاهتمام بأشياء من هذا القبيل. بارك الله فيكن جميعًا للسماح لي بأن أعيشها. إنه حقًا رائع أن تشعر بالقلق لأن سعر الزبدة قد ارتفعت بخمسة سنتات.»

«هل حدث ذلك؟» سألت ستيلا، التي تدير حسابات الأسرة.

«نعم، وهاهي زبدتك. أصبحت ماهرة جدًا في التسوق. إنها متعة أفضل من التغازل،» ختمت فيل بجدية.

«كل شيء يرتفع بشكل فاضح»، تنهدت ستيلا.

«لا يهم. الحمد لله الهواء والخلاص لا يزالان مجانيين»، قالت العمة جيمسينا.

«وكذلك الضحك»، أضافت آن. «لا يوجد ضريبة عليه بعد وهذا جيد، لأنكن جميعًا ستضحكن بعد حين. سأقرأ لكم رسالة ديفي. تحسن إملاؤه بشكل كبير خلال العام الماضي، على الرغم من أنه ليس بارعًا في استخدام علامات الاستفهام، وبالتأكيد يمتلك موهبة في كتابة الرسالة المثيرة للاهتمام. استمعن

واضحكن، قبل أن ننخرط في الدراسة هذا المساء.»

جاء في رسالة ديفي:

«عزيزتي آن، أحمل قلمي لأخبرك أننا جميعًا بصحة جيدة ونأمل أن تجدك بنفس الحال. الثلج يتساقط اليوم بعض الشيء، وتقول ماريلا إن العجوز في الفضاء تنفض فراشا من الريش. من هي تلك العجوز يا آن؟ أريد أن أعرف.

«كانت السيدة ليند حقًا مريضة ولكنها تحسنت الآن. سقطت من الدرج الأسبوع الماضي. عندما سقطت، أمسكت بالرف الذي كان عليه جميع دلاء الحليب وقدور الطهي، فانهار وسقط معها وأحدثت صوتًا قويا. اعتقدت ماريلا في البداية أنها زلزال.»

«تكسر أحد القدور تمامًا وتعرضت السيدة ليند لكدمات في ضلوعها. جاء الطبيب وأعطاها مرهما لضلوعها، لكنها لم تفهمه وابتلعته بدلاً من ذلك. قال الطبيب إنه من العجيب أنه لم يقتلها، ولكنه لم يفعل ذلك، وقد شفيت ضلوعها، وتقول السيدة ليند إن الأطباء لا يعرفون الكثير على أي حال. ولكننا لم نتمكن من إصلاح القدر، كان على ماريلا أن تلقي به.

كان عيد الشكر الأسبوع الماضي. لم يكن هناك مدرسة وكان لدينا عشاء رائع. أكلت فطيرة لحم البقر المفروم وديك رومي محمص وكعك الفاكهة والبسكويت والجبن والمربى وكعكة الشوكولاتة. قالت ماريلا إنني سأموت ولكنني لم يحصل ذلك. كان لدى دورا ألم في الأذن بعد ذلك، ولكنه لم يكن في أذنيها في الحقيقة، بل كان في معدتها. لم يسبب لي ألم الأذن وجعا في أي مكان.

«معلمنا الجديد رجل يقدم لنا الكثير من المرح. الأسبوع الماضي، جعلنا نحن أولاد الصف الثالث جميعنانقوم بكتابة

مواصفـات الزوجـة التي نود أن نحظى بهـا وجعل الفتيات يكتبن حـول نـوع الزوج الذييردن أن يتزوجنه. ضحك بشـدة عندما قرأ ما كتبت. اعتقدت أنك قد تودين رؤيتها.»

«نوع الزوجة التي أود أن أحظى بها.»

«يجـب أن تكون لديها أخـلاق جيدة وتقدم وجباتي في الوقت المحدد وتفعل ما أقوله لها وأن تكون دائمًا مهذبة تجاهي. يجب أن يكون عمرها خمسة عشرة عامًا. وأن تكون لطيفة مع الفقراء وتحافـظ علـى نظافـة منزلها وتكون حسـنة الطبـاع وتذهب إلى الكنيسـة بانتظـام. كمـا يجب أن تكون جميلة جدًا وتمتلك شـعرًا مجعدًا. إذا حصلت على زوجة تكون بالضبط كما أحب، سـأكون زوجًا جيدًا للغايةلها. أعتقد أن المرأة يجب أن تكون زوجة جيدة لزوجها. بعض النساء المسكينات ليس لديهن أزواج.

«النهاية.»

«كنـت فـي جنازة السـيدة إيزاكرايت في وايتسـاندز الأسـبوع الماضـي. كان زوج الفقيـدة حزينًـا حقًـا. تقـول السـيدة ليند إن جـد السـيدة رايت سـرق خروفًا، ولكن ماريلا تقـول إنه يجب ألا نتحدث بشـكل سـيء عـن الأموات. لمـاذا يجب علينـا ذلك، آن؟ أريد أن أعرف. إنه أمر آمن جدًا، أليس كذلك؟

«كانت السيدة ليند غاضبة للغاية اليوم الماضي لأنني سألتها مـا إذا كانـت علـى قيـد الحيـاة فـي عهـد نوح. لـم أقصـد إيذاء مشاعرها. أردت فقط أن أعرف. هل كانت كذلك، آن؟

«أراد السـيد هاريسـون التخلص من كلبه. لذلك فشـنقه ذات مـرة ولكنـه عـاد إلـى الحياة وفر إلـى الحظيرة بينما كان السـيد هاريسون يحفر القبر، لذا شنقه مرة أخرى وقد مات تلك المرة. أحضـر السـيد هاريسـون أجيـرا ليعمـل لديـه. وقـد كان غريـب

الأطوار. يقول السيد هاريسون إنه كان أعسر. وقد كان أجير السيد باري كسولا. تقول السيدة باري ذلك ولكن السيد باري يقول إنه ليس كسولاً تمامًا، فقط يعتقد أنه أسهل أن يصلى من أجل أن يُنجز العمل بدلا من أن يعمل.»

«مات خنزير السيدة هارمون أندروز، الذي كثيراً ما تحدثت عن حصوله على نوبل، بسبب الحمى. تقول السيدة ليند إنه كان قصاصا إلهيا بسبب كبريائها. ولكنني أعتقد أنه كان صعبًا على الخنزير أن يتحمل مرضه.

مرض ميلتيبولتر. أعطاه الطبيب دواءً وكان طعمه فظيعًا. تطوعت لأخذه مقابل ربع دولار لكن عائلة بولتر بخيلة جدًا. يقول ميلتي إنه يفضل أن يتناوله بنفسه ويوفر أمواله.

سألت السيدة بولتر كيف يمكن للمرأة أن توقع رجلا في شباكها، فاستشاطت غضبا وقالت إنها لا تعرف، لم تطارد الرجال أبدًا.

«سيقوم النادي النسائي بطلاء القاعة مرة أخرى. إنهم متعبون من رؤيتها زرقاء.

«كان القس الجديد هنا لتناول العشاء الليلة الماضية. أخذ ثلاث قطع من الفطائر. لو فعلت ذلك، لكانت السيدة ليند ستسميني خنزيرا. وأكل بسرعة وأخذ لقمًا كبيرة، وماريلا دائماً تقول لي ألا أفعل ذلك. لماذا يمكن للقس أن يفعل ما لا يستطيع الأولاد فعله؟ أريد أن أعرف.

«ليس لدي أخبار أخرى. إليك ست قبلات... ودورا ترسل واحدة. إليك قبلتها..

«صديقك المحب ديفيد كيث»

«ملاحظة: آن، من هو والد الشيطان؟ أريد أن أعرف.»

الفصل الثامن عشر

الآنسة جوزيفينلم تنس الصغيرة آن

عندما حلت عطلة عيد الميلاد، انتشرت فتيات «بيت باتي» في منازلهن الخاصة، ولكن العمة جيمسينا قررت البقاء حيث هي.

قالت: «لا أستطيع الذهاب إلى أي من الأماكن التي تمت دعوتي إليها وآخذ تلك القطط الثلاث، ولن أترك الحيوانات المسكينة هنا وحدها لمدة تقارب الثلاثة أسابيع. إذا كان لدينا جيران لطفاء يستطيعون إطعامها، ربما كنت سأذهب، لكن لا يوجد هنا سوى المليونيرات في هذا الشارع. لذا سأبقى هنا وأبقي «بيت باتي» دافئا بالنيابة عنكن.»

عادت آن إلى المنزل بتلك التوقعات المفرحة المعتادة، التي لم تتحقق بشكل كامل. وجدت أفونلي تحت سيطرة شتاء بارد وعاصف بشكل غير متوقع، لم يستطع حتى «أقدم ساكن» في المنطقة أن يتذكر مثله. كانت البراري الخضراء محاصرة حرفيًا بواسطة تراكمات هائلة. تقريبًا في كل يوم من تلك العطلة الملعونة، كانت العواصف عاتية، وحتى في الأيام الجيدة كانت تتراكم الثلوج بلا توقف. لا يكاد يكون من الممكن الخروج. حاولت جمعية تحسين مدينة أوفنلي طيلة ثلاثة أيام، أن تقيم

حفلة تكريم لطلاب الكلية، وفي كل مرة كانت تهب عاصفة عنيفة إلى درجة أن أحدًا لم يستطع الحضور، لذا فشلوا في المحاولة. على الرغم من حبهم وولائهم للمرتفعات الخضراء، لم تتمكن آن من عدم التفكير بشوق في «بيت باتي»، بمدفأته، وعيون العمةجيمسينا الفرحة، والقطط الثلاث، والحديث المرح للفتيات، وسعادة أماسي يوم الجمعة عندما يجتمع أصدقاء الكلية للحديث عن الأمور الجادة والممتعة.

كانت آن وحيدة. فقد كانت ديانا، طوال العطلة، محبوسة في المنزل بسبب التهاب شديد في الشعب الهوائية. لم تتمكن من القدوم إلى البراري الخضراء، وكانت آن نادراً ما تستطيع الوصول إلى «أورشارد سلوب»، لأن الطريق القديمة عبر «الغابة المسحورة» كانت غير قابلة للمرور بسبب تراكمات الثلوج، والطريق الطويل عبر «بحيرة المياه المتلألئة» المتجمدة كانت به نفس المشكلة. كانت روبي جيليسترقد في المقبرة المكسوة بالثلوج البيضاء؛ وكانت جين أندروز تعلم في مدرسة في السهول الغربية. وكان جيلبرت، بالتأكيد، لا يزال مخلصًا يجتاز الطريق إلى البراري الخضراء في كل مساء ممكن. ولكن زياراته لم تكن كما كانت في السابق. كادت آن تخشاها. كان محرجًا جدًا أن تنظر إليه في وسط الهدوء المفاجئ وتجد عيونهالكستنائية متجهة نحوها بتعبير واضح عما في أعماقه؛ وكان محرجًا أكثر أن تجد نفسها تحمر بشكل حار وغير مريح تحت وطأة نظراته، تمامًا كما لو.. تمامًا كما لو.. حسنًا، كان الأمر محرجًا للغاية وكفى. كانت آن تتمنى أن تعود إلى «بيت باتي»، حيث كان هناك دائمًا شخص آخر حولها لتخفيف حدة الوضع الحساس.

في البراري الخضراء، ذهبت ماريلا بسرعة إلى بيت السيدة

ليند عندما جاء جيلبرت وأصرت على أن تأخذ التوأم معها. كان مقصدها واضحا، وكانت آن في غضب عاجز بسبب ذلك.

أما ديفي، فكان سعيدًا تمامًا. كان يستمتع بالخروج في الصباح واللعب حول البئر وقن الدجاج. كان يستمتع بالأطعمة الخاصة بعيد الميلاد التي كانت ماريلا والسيدة ليند يتنافسان في تحضيرها لآن، وكان يقرأ حكاية مثيرة في كتاب مكتبة المدرسة، عن بطل رائع يبدو أنه يملك قدرة خارقة على الوقوع في مشاكل ينقذه منها عادة زلزال أو انفجار بركاني يرفعه بعيدًا عن مشكلاته، ويحصل على ثروة، وتختتم القصة نهاية سعيدة.

«أقول لك إنها قصة رائعة، آن»، قال بنشوة. «أنا أفضل قراءتها أكثر من قراءة الكتاب المقدس.»

«هل هذا صحيح؟» ابتسمت آن.

ظل ديفي يحدق بها بفضول.

«لا تبدين مصدومة، آن. بدت السيدة ليند مصدومة بشكل رهيب عندما قلت لها ذلك.»

«لا، لست مندهشة، ديفي. أعتقد أنه من الطبيعي تمامًا أن يفضل صبي يبلغ تسع سنوات قراءة قصة مغامرة على الكتاب المقدس. ولكن عندما تكبر أتمنى وأعتقد أنك ستدرك مدى روعة الكتاب المقدس.»

«أوه، أعتقد أن بعض أجزائه جيدة»، أقر ديفي. «تلك القصة عن يوسف – إنها رائعة. ولكن إذا كنت يوسف، لما سمحت لأخوتي بذلك. لا، أنا لا أفعل ذلك، آن. كنت قطعت رؤوسهم جميعا. كانت السيدة ليند غاضبة للغاية عندما قلت ذلك وأغلقت الكتاب المقدس وقالت إنها لن تقرأ لي منه أكثر إذا تحدثت هكذا. لذلك لم أعد أتحدث عندما تقرأ لي يوم الأحد بعد الظهر.

أنـا فقـط أفكر في الأمور وأقولها لـ ميلتيبولتر في المدرسـة في اليوم التالي. أخبرته عن قصة إيليشا والدببة فارتعب حتى أنه لم يسـتهزئ بصلعة السـيد هاريسون مرة ثانية. هل هناك دببة على جزيرة الأمير إدوارد، آن؟ أريد أن أعرف.»

«ليس في الوقت الحالي»، قالت آن في شرود بينما نزلت زخة من الثلج على النافذة. «أوه ألن تتوقف هذه العاصف أبدا.»

«يعلم الرب»، قال ديفي بطريقة عفوية، وهو يستعد لاستئناف حديثه.

انزعجت آن هذه المرة.

«ديفي!» صاحت به غاضبة.

«السـيدة لينـد تقـول ذلـك»، احتـج ديفـي. «في إحـدى ليالي الأسـبوع الماضـي قالـت ماريـلا «هـل سـيتزوج لودوفيك سـبيد وثيـودورا ديـك يوما؟»، وقالت السـيدة لينـد « يعلم الرب» – تمامًا مثل ذلك.»

«حسنًا، لم يكن من يحق لها قول ذلك. لا يحق لأي شخص أن يلفـظ هـذا الاسـم باطلا أو أن يتحدث به باسـتخفاف، ديفي. لا تفعل ذلك مرة أخرى.»

«حتى إذا قلتها ببطء وبجدية، مثل القس؟» سأل ديفي بجدية.

«لا، حتى في هذه الحالة.»

«حسـنًا، لن أفعل ذلك. لودوفيك سبيد وثيودورا ديك يعيشون في ميدل غرافتون وتقول السيدة راشيل إنه قد تقدم لخطبتهامنذ مائـة عـام. ألـن يكونـا قد كبرا جـدًا ليتزوجا قريبًـا، آن؟ آمل ألا يتقـدم غيلبـرت لك بعد هـذه المدة. متى سـتتزوجين، آن؟ تقول السيدة لينـد إنه أمر مؤكد.»

«السيدة ليند هي ...» بدأت آن تغضب؛ ثم توقفت. «هذا هراء»، أكمل ديفي بهدوء. «هذا ما يقوله الجميع. ولكن هل هو أمر مؤكد، آن؟ أريد أن أعرف.»

«أنت طفل صغير جداً وغبي، ديفي»، قالت آن، وهي تسير بكبرياء خارج الغرفة. كان المطبخ فارغا فجلست قرب النافذة وقد غربت الشمس وهدأت الرياح. طلع قمرٌ باهتمن خلف سحابة بنفسجية في الغرب. تلاشت زرقة السماء، ولكن الشريط الأصفر على الأفق الغربي أصبح أكثر سطوعًا وتوهجا، كما لو كانت كل الأشعة المتناثرة تتركز في مكان واحد.

نظرت آن عبر الحقول البيضاء الهادئة، فدت باردة وخاملة في ضوء الغروب القاسي، وتنهدت. كانت وحيدة جداً، وكان الحزنيملأ قلبها، لأنها كانت تتساءل عما إذا كانت ستتمكن من العودة إلى ريدموند العام القادم. لم يبدو ذلك ممكنًا. الفرصة الوحيدة الممكنة في السنة الثانية كانت ضعيفة جدًا. لن تأخذ أموال ماريلا، ويبدو أن احتمالأن تكسب ما يكفي خلال عطلة الصيفضئيل جدا.

فكرت بيأس: «أعتقد أنه سيتعين عليّ أن أترك الدراسة العام المقبل وأعمل في مدرسة منطقة أخرى حتى أكسب ما يكفي لإنهاء دورتي. وحتى ذلك الوقت، سيكون جميع طلاب دفعتي قد تخرجوا، وسيكون من المستحيل الانضمام إلى «بيت باتي». ولكن يكفي! لن أكون جبانة. أنا ممتنة لأنني يمكنني كسب قوتي إذا كان ذلك ضروريًا.»

«ها هو السيد هاريسون يمشي في الطريق»، أعلن ديفي وهو يركض خارجًا. «آمل أن يكون قد جلب البريد. لقد مرت ثلاثة أيام منذ أن حصلنا عليه. أريد أن أرى ما الذي يقوم به هؤلاء

الليبراليون المزعجون. أنا محافظ، آن. وأقول لك، عليك أن تبقي عينيك على هؤلاء الليبراليين.»

سلم السيد هاريسون البريد، ورسائل مرحة من ستيلا وبريسيلا وفيل سرعان ما طردت عن آن الحزنبعيدًا. كتبت العمة جيمسينا أيضًا، قائلة إنها تحتفظ بنار المدفأة، وأن القطط جميعها بصحة جيدة، والنباتات المنزلية تنمو بشكل جيد.

«كان الطقس باردًا حقًا»، كتبت، «لذلك أترك القطط تنام في المنزل – راستي وجوزيف على الأريكة في غرفة المعيشة، والقطة سارة على حافة سريري. إنها رفيق حقيقي أسمع مواءها عندما أستيقظ في الليل وأفكر في ابنتي المسكينة في البلاد الأجنبية. لو كانت في أي مكان آخر غير الهند، لما كنت قلقة، ولكنهم يقولون إن الثعابين هناك فظيعة. أحتاج صوت القطة سارة إلى دفع فكرة تلك الثعابين بعيدًا. لدي إيمان كاف بكل شيء إلا الثعابين. لا يمكنني أن أفهم لماذا خلقهم اللّٰه. في بعض الأحيان لا أعتقد أنه فعل ذلك. أنا ميالة إلى الاعتقاد بأن الشيطان كان له يد في خلقهم.»

تركت آن رسالة مرقونة حتى النهاية، معتبرة إياها غيرمهمة. ولكن عندما قرأتها، جلست هادئة جداً، والدموع في عينيها.

«ما الذي حدث، آن؟» سألت ماريلا.

«السيدة جوزفين باري توفيت»، قالت آن بصوت منخفض.

«إذا قد رحلت أخيرًا»، قالت ماريلا. «حسنًا، لقد كانت مريضة لأكثر من عام، وكانت آل باري يتوقعون سماع خبر وفاتها في أي وقت. من جيد أن تكون في سلام لأنها عانت بشكل فظيع، آن. كانت دائما طيبة معك.»

«كانت طيبة حتى النهاية، ماريلا. هذه الرسالة من محاميها.

لقد تركت لي ألف دولار في وصيتها.»

«يالهـا مـن أمـوال كبيـرة،» صاح ديفـي. «هل هي المـرأة التي انقضيتِ عليها أنت وديانا عندما كنتما تقفزان على سرير الغرفة الاحتياطيـة؟ أليـس كذلك؟ ديانا أخبرتني تلـك القصة. هل هذا هو السبب في أنها تركت لكِ الكثير؟»

«اهـدأ، ديفـي»، قالـت آنَ بلطـف. انزلقت بعيدًا إلى الشـرفة بقلـب مفطـور، تاركة ماريلا والسـيدة ليند للحديـث عن الأخبار بحريـة. «هل تعتقدان أن آن سـتتزوج في وقت قريب؟» فكرديفي بقلق. «عندما تزوجت دوركاس سلون الصيف الماضي، قالت إنها لو كان لديها ما يكفي من المال للعيش، لما اهتمت أبدًا بالرجل، ولكـن حتـى أرمـل بثمانية أطفال كان أفضل مـن العيش مع أخت زوجها.» «ديفي كيث، يكفيأمسـك لسـانك،» قالت السيدة راشيل بشـدة. «الطريقـة التي تتحدث بها فاضحـة لفتى صغير، هذا ما أقوله.»

الفصل التاسع عشر
فاصل

«أن أفكر أني قد بلغت عيد ميلادي العشرين، وأنني تركت سنوات المراهقة ورائي إلى الأبد،» قالت آن، التي كانت ملتفة في السجادة الموضوعة على الأرضية مع «راستي» في حضنها، للجيمسينا التي كانت تقرأ في كرسيها المفضل. كانا وحيدتين في غرفة المعيشة. كانت ستيلا وبريسيلا قد ذهبتا إلى اجتماع لجنة وكانت فيل في الطابق العلوي تزين نفسها لحفلة.

«أظن أنكِ تشعرين ببعض الحزن»، قالت العمةجيمسينا. «سنوات المراهقة هي جزء جميل من الحياة. أنا سعيدة لأنني لم أغادرها أبدًا.»

ضحكت آن.

«لن تفعلي ذلك أبدًا، عمتي. ستكونين في الثامنة عشرة عندما يجب أن تكوني في المائة. نعم، أنا أشعر بالأسف، وبقليل من الاستياء أيضًا. قالت لي السيدة ستيسي منذ فترة طويلة أنه بحلول عامي العشرين سيكون قد تم تشكيل شخصيتي، للخير أو للشر. لا أشعر أنها كما يجب أن تكون. إنها مليئة بالعيوب.»

«كما هو الحال مع الجميع»، قالت العمةجيمسينا بسعادة. «شخصيتي مشروخة في مئات الأماكن. ربما قصدت السيدة

ستيسي أنه عندما تكون في العشرين، ستكون شخصيتك قد اتخذت انحرافها الدائم في اتجاه أو اتجاه آخر، وسيستمر التطور في هذا الاتجاه. لا تقلقي بشأنه، آن. افعلي واجبك تجاه الله وجارك ونفسك، واستمتعي بوقتك. هذه هي فلسفتي ولطالما عملت بشكل جيد تقريبًا دائمًا. إلى أين ذاهبة فيل الليلة؟»

«إنها ذاهبة إلى حفل راقص، وستلبس أجمل فستان لها – حرير أصفر كريمي ودانتيل خفيف كالعنكبوت. إنه يتناسب تمامًا مع تلك الدرجات البنية لديها.»

«هناك سحر في كلمات «حرير» و «دانتيل»، أليس كذلك؟» قالت العمة جيمسينا. «حتى صوتهما يجعلني أشعر كما لو كنت سأذهب إلى حفل راقص. وحرير أصفر. إنه يجعل الشخص يفكر في فستان من أشعة الشمس. لطالما أردت فستانًا حريريًا أصفراً، ولكن أمي أولاً وثم زوجي لم يكونا يسمعان عن ذلك. أول شيء سأفعله عندما أصل إلى السماء هو الحصول على فستان حريري أصفر.»

في وسط ضحك آن، نزلت فيل الدرج، وهي تجلب معها سحبًا من المجد، ونظرت إلي نفسها في المرآة الطويلة على الحائط.

«هذه المرآة المحببة ناشرة للودّ،» قالت. «أما مرآة غرفتي فتجعلني بالتأكيد أشعر بالغضب. هل أبدو جميلة بما يكفي، آن؟»

«هل تعرفين حقًا مدى جمالك، فيل؟» سألت آن، بإعجاب صادق.

«بالطبع أعرف. لماذا توجد المرآة والرجال؟ لم يكن هذا ما كنت أقصده. هل جميع نهاياتي مثبتة؟ هل تنساب تنورتي على نحو مستقيم؟ وهل ستبدو هذه الزهرة أفضل إذا نزلت إلى

أسـفل قليـلا؟ أخشـى أنهـا مرتفعة جداً، سـتجعلني أبـدو مائلة. ولكنني أكره أن تلامس الأشياء أذني.»

«كل شـيء علـى ما يـرام، وتلك الثقبة الجنوبيـة الغربية لديكِ جميلة.»

«آن، هناك شـيء واحد بشـكل خاص أحبه فيكِ – أنتِ سخية جدًا. ليس هناك جزء من الغيرة فيك.»

«لماذا يجب أن تكوني غيورة؟» سألت العمة جيمسينا. «قد لا تكونِينَ جميلةً تمامًا مثلها، ربما، لكن لديكِ أنفٌ أجمل.»

«أعلم ذلك»، اعترفت فيل.

«أنفي كان دائمًا مصدر راحة كبير بالنسبة لي»، اعترفت آن.

«وأحـب طريقة نمو شـعرك علـى جبينـك، آن. وتلك الخصلة الصغيـرة دائمًـا تبـدو كمـا لو كانت ستتسـاقط، لكنها لا تسـقط أبدًا، لذيذة. أما بالنسبة للأنوف، فإن أنفي يشكل لي قلقًا كبيرًا. أعلـم أنـه بحلـول عمري الأربعين سـيكون مهملًا. كيـف تعتقدين أنني سأبدو عندما أكون في الأربعين، آن؟»

«مثل امرأة متزوجة مسنة،» سخرت آن.

«لن أكون،» قالت فيل وهي جالسة براحة في انتظار مرافقها. «جوزيف، يا وحش القطط، لا تتجرأ على القفز على حضني. لن أذهـب إلـى حفل راقص وكلي شـعر قط. لا، آن، لـن أبدو كامرأة متزوجة. ولكن لا شك أنني سأكون متزوجة.»

«مع ألك أم ألونزو؟» سألت آن.

«بواحـد منهما، أعتقد،» قالت فيل بحرقة، «إذا تمكنت من أن أقرر يومًا ما أيهما.»

«لا ينبغـي أن يكـون من الصعب اتخاذ القرار»، سـخرت العمة جيميسينا.

«ولدت مترددة، ولا شيء يمكن أن يمنعني أبدًا من التذبذب.»

«يجب أن تكوني أكثر حكمة، فيليبا.»

«من الأفضل أن تكوني حكيمة، بالطبع»، وافقت فيليبا، «لكنك تفوتين الكثير من المرح. أما بالنسبة لأليك وألونزو، إذا كنتِ تعرفينهما، فستفهمين لماذا من الصعب اختيار أحدهما. إنهما لطيفان على حد السواء.»

«ثم اختاري شخصًا ألطف»، اقترحت عمتي جيميسينا.

«هناك هذا الطالب الذي يكرس نفسه لك، ويل ليسلي. لديه عيون جميلة وكبيرة.»

«إنهما كبيرتان جدًا مثل عيون البقرة»، قالت فيل بقسوة.

«ماذا عن جورج باركر؟»

«لا يوجد شيء يمكن قوله عنه إلا أنه دائمًا يبدو وكأنه تم كويه.»

«مار هولوورثي إذن. لا يمكنك أن تجدي عيبًا فيه.»

«لا، لو لم يكن فقيرًا، لكان جيدا. يجب أن أتزوج رجلاً غنيًا، عمتي جيميسينا. هذا - وجماله - هو مؤهل لا غنى عنه. لو كان جيلبرتبلايث ثريًا، لتزوجته.»

«أوه، حقًا؟» قالت آن، بشكل غاضب.

«لا نحب هذه الفكرة قليلاً، على الرغم من أننا لا نريد جيلبرتلأنفسنا، أو لا،» سخرت فيل. «ولكن دعونا لا نتحدث عن المواضيع غير السارة. يجب أن أتزوج في يوم من الأيام، أفترض، ولكن سأؤجل هذا اليوم الشرير قدر الإمكان.»

«لا يجب أن تتزوجي أي شخص لا تحبينه، فيل، عندما يتعلق الأمر بالنهاية»، قالت العمة جيميسينا.

«أيتها القلوب التي أحبت بالطريقة الجيدة القديمة

لقد خرجت من الملعب منذ أيام كثيرة.» قالت فيل بسخرية. «ها هي العربة قد وصلتلتطير بي، أيتها العزيزتان الأصيلتان وداعا.»

عندما رحلت فيل، نظرت العمة جيميسينا بجدية إلى آن.

«تلك الفتاة جميلة ولطيفة وطيبة القلب، ولكن هل تعتقدين أنها في حالة ذهنية سليمة دائمًا، آن؟»

«أوه، لا أعتقد أن هناك أي مشكلة في عقل فيل»، قالت آن، مخفية ابتسامة. «إنها فقط طريقتها في الحديث.»

هزت العمة جيميسينا رأسها.

«حسنًا، آمل ذلك، آن. آمل ذلك حقًا، لأنني أحبها. ولكني لا أستطيع أن أفهمها – إنها تفوقني. إنها ليست مثل أي من الفتيات اللواتي عرفتهن، أو أي من الفتيات اللواتي كنت عليهن.»

«كم كنتِ من فتاة، عمتي جيمسي؟»

«حوالي ستّ عزيزتي.»

الفصل العشرون
جيلبرت يعترف بمشاعره

«كان هـذا يومًـا مملًا ومضجرًا،» تثاءبت فيل، متمددة بكسـل علـى الأريكـة بعـد أن أزاحـت اثنيـن مـن القطـط الغاضبـة إلـى الجانب.

رفعت آن عينيها عن كتاب بيكويك. الآن بعد انتهاء الامتحانات الربيعية، كانت تطالع روايات ديكنز لمتعتها الشخصية.

«لقد كان يومًا مملًا بالنسبة لنا»، قالت بتفكير، «ولكن بالنسبة لبعض الناس، كان يومًا رائعًا. ربما كان شـخص ما سـعيدًا جدًا فيه. ربما هناك حدثا عظيما قد وقع في أحد الأماكن اليوم – أو تمـت كتابـة قصيـدة عظيمـة – أو وُلد رجل عظيـم. أوقلب ما تم كسره، فيل.»

«لماذا أفسدت فكرتك الجميلة بهذه الجملة الأخيرة، حبيبتي؟» تذمـرت فيـل. «أنـا لا أحب أن أفكر في القلوب المكسـورة أو أي شيء غير سار.»

«هـل تعتقديـن أنك سـتتمكنين من تجنـب الأمور غيرالسـارة طوال حياتك، فيل؟»

«يـا ليتنـي، لا. أليسـتأواجهها الآن؟ أتعتبريـن أليـك وألونـزو أشياء لطيفة عندما يقومون فقطبإزعاجي؟»

«أنت لا تأخذين أي شيء بجدية، فيل.»

«لماذا يجب أن أفعل ذلك؟ هناك ما يكفي من الناس الذين يفعلون ذلك. يحتاج العالم إلى أشخاص مثلي، آن، فقط ليسليه. سيكون مكانًا رهيبًا إذا كان الجميع ذكيًا وجادًا وفي خطر عميق. مهمتي هي، كما يقول جوسيا ألين، «أن أسحر وأجذب.» اعترفي الآن. ألم تكن الحياة في بيت باتي أكثر إشراقًا وسعادة أكثر من الشتاء الماضي لأنني كنت هنا لأقلب الأمور لك؟»

«نعم، كانت كذلك»، أقرت آن.

«وأنتن جميعًا تحببنني، حتى عمتي جيميسينا، التي تعتقد أنني مجنونة تمامًا. لذا لماذا يجب علي أن أحاول أن أكون مختلفة؟ أوه، عزيزتي، أنا نعسانة جدًا. كنت مستيقظة حتى الواحدة الليلة الماضية، أقرأ قصة رعب مروعة. قرأتها في السرير، وبعد أن انتهيت منها، هل تتخيلين أنني لم أستطع الخروج من السرير لأطفئ الضوء؟ إذا لم تكن بستيلا قد دخلت في تلك اللحظة، لكان المصباح سيظل مضاء حتى الصباح. عندما سمعت ستيلا، دعوتُها، وشرحت لها مأزقي، وأقنعتها بأن تطفئ الضوء. فإذا خرجت بنفسي للقيام بذلك، كنتُ أعلم أن شيئًا ما سيمسك بي من قدمي عندما أعود. بالمناسبة، آن، هل قررت عمتي جيميسينا ما الذي ستفعله هذا الصيف؟»

«نعم، ستبقى هنا. أعلم أنها تفعل ذلك من أجل تلك القطط المباركة، على الرغم من أنها تقول إنه متعب كثيراأن تفتح منزلها الخاص، وتكره الزيارات.»

«ما الذي تقرئينه؟»

«بيكويك.»

«هـذا كتاب يجعلنـي دائمًا جائعة»، قالت فيـل. «هناك الكثير من الأكل اللذيذ فيه. يبدو أن الشـخصيات دائمًا تسـتمتع باللحم المقـدد والبيـض والحليـب. عادةً مـا أقوم بتفتيـش الخزانة بعد قراءة بيكويك. الفكرة نفسها تذكرني بأنني جائعة. هل هناك أي لقمة في المطبخ، ملكة آن؟»

«صنعـت فطيـرة ليمـون هذا الصبـاح. يمكنـكِ الحصول على قطعة منها.»

أسـرعت فيـل إلـى المطبـخ وذهبـت آن إلـى الحديقـة برفقة راسـتي. كانت ليلة رطبة وعطرة بلطف في بداية الربيع. لم يكن الثلـج قد اختفى تمامًـا من الحديقة. كان هناك حزمة صغيرة لا تـزال تتوسـط الصنوبـر على طريـق الميناء، محجوبـة عن تأثير أشـعة الشـمس فـي أبريـل. كانت تحتفـظ برطوبـة الطريق وبرد الهواء المسـائي. ولكن العشـب كان ينمو بلون أخضر في الأماكن المحميـة وكان جيلبـرت قـد وجـد بعض الأزهار البتـول في ركن مخفـي. فقطفهـا من الحديقة وكانت يـداه مليئتين بها. كانت آن جالسـة علـى الصخـرة الكبيـرة الرمادية في الحديقـة تنظر إلى فـرع شـجرة البتـولا العاريـة تتدلى ضـد الغروب الأحمـر الفاتح بكمـال نعومتـه. كانـت تبني قلعة في الهواء – قصـرا رائعا تغمره ساحات مضاءة بالشمس وقاعات فخمة غرقت في طابع عربي، حيث رأت نفسـها كملكة ومهندسـة معمارية. عبسـت عندما رأت جيلبـرت يمشـي من خلال البسـتان. في الآونـة الأخيرة، نجحت في تجنب البقاء وحدها معه. ولكنه قد اصطادها الآن بشـكل لا مفـر منـه؛ وحتى راسـتي قد تركتها وحيدة. جلـس بجوارها على الصخرة وقدم لها زهور البتول.

«ألا تذكرك بالمنزل ونزهاتنا القديمة في المدرسة، آن؟»

أخذت آن الزهور وأخفت وجهها فيها.

«أنا الآن في أراضي سيلاس سلون،» قالت بحماس.

«أعتقد أنك ستكونين هناك في الواقع في غضون أيام قليلة، أليس كذلك؟»

«لا، ليس خلال أسبوعين. سأذهب لزيارة فيل في بولينجبروك قبل أن أعود إلى المنزل. ستكون في أفونلي قبلي.»

«لا، لن أكون في أفونلي على الإطلاق هذا الصيف، آن. لقد حصلت على وظيفة لي في مكتب صحيفة إخبارية يومية وسأقبلها.»

«أوه»، قالت آن بشكل غامض. كانت تتساءل كيف سيكون صيف كامل في أفونلي بدون جيلبرت. بطريقة ما، لم تعجبها الفكرة. «حسنًا»، ختمت بانكماش، «إنه أمر جيد بالطبع.»

«نعم، لقد كنت آمل أن أحصل عليها. ستساعدني السنة القادمة.»

«يجب ألا تجهد نفسك كثيرا»، قالت آن، دون فهم واضح لما كانت تقوله. كانت تتمنى بشدة أن تظهرفيل. «لقد درست باستمرار هذا الشتاء. أليست هذه ليلة رائعة؟ هل تعلم، وجدت مجموعة من البنفسج الأبيض تحت تلك الشجرة الملتوية القديمة هناك اليوم؟ شعرت كما لو أنني اكتشفت منجمًا ذهبيًا.»

«أنتِ دائمًا تكتشفين مناجم ذهب،» قال جيلبرت أيضًا بتشتت.

«لنذهب ونرى إذا كان بإمكاننا العثور على المزيد»، اقترحت آن بحماس. «سأدعو فيل و—»

«لن يهم فيل والبنفسج الآن، آن»، قال جيلبرت بهدوء، وهو يأخذ يدها بقبضة لا تستطيع أن تتحرر منها. «هناك شيء أريد قوله لك.»

«أوه، لا تقوله»، صرخت آن، بتوسل. «لا—من فضلك، جيلبرت.»

«يجب علي. لا يمكن أن تستمر الأمور هكذا لفترة أطول. آن، أنا أحبك. تعلمين ذلك. لا أستطيع أن أخبرك إلى أي مدى أحبك. هل تعدِينني يومًا بأن تكوني زوجتي؟»

«أنا—أنا لا أستطيع»، قالت آن بحزن. «أوه، جيلبرت—أنت—أنت أفسدت كل شيء.»

«أليس لديكِ أدنى اهتمام بي؟» سأل جيلبرت بعد فترة مروعة جدًا، خلالها لم تجرؤ آن على النظر إليه.

«ليس—ليس بهذه الطريقة. أنا أهتم كثيرًا بكِ كصديق. ولكنني لا أحبكِ، جيلبرت.»

«لكن هل يمكنكِ أن تعطيني بعض الأمل أنكِ ستفعلين ذلك في المستقبل؟»

«لا، لا أستطيع»، صرخت آن بيأس. «أنا لن أستطيع أبدًا أن أحبك بهذه الطريقة، جيلبرت. يجب ألا تتحدث عن هذا معي مرة أخرى.»

كان هناك وقفة أخرى—طويلة ومروعة إلى درجة أن آن اضطرت في النهاية إلى أن تنظرإليه. وكان وجه جيلبرتشاحبا حتى شفتيه. وعينيه..لكن آن اقشعرت وابعدت نظرها. لم يكن هناك شيء رومانسي في هذا. هل يجب أن تكون المقترحات إما غريبة أو—رهيبة؟ هل يمكنها أن تنسى وجه جيلبرت أي وقت؟

«هل هناك شخص آخر؟» سأل أخيرًا بصوت منخفض.

«لا—لا»، قالت آن بحماس. «ليس لدي اهتمام بأحد بتلك الطريقة—وأنا أحبك أكثر من أي شخص آخر في العالم، جيلبرت. ويجب أن نظل—يجب أن نظل أصدقاء، جيلبرت.»

أطلق جيلبرت ضحكة صغيرة مريرة.

«أصدقـاء! صداقتـكِ لا يمكـن أن ترضينـي، آن. أريد حبكِ— وأنتِ تقولين لي أنني لن أحصل على ذلك أبدًا.»

«آسـفة. اسـمح لي، جيلبرت»، كانت هذه كلمات آن الوحيدة. أيـن ذهبـت جميع الخطـب الفصيحة والأنيقة التـي كانت تتخيل أنها ستقولها للمتقدمين الذين تم رفضهم؟

أطلق جيلبرت يدها بلطف.

«لا يوجد شيء يحتاج إلى الغفران. كانت هناك أوقات شعرت فيها أنكِ تهتمين. لقد خدعت نفسي، هذا كل شيء. وداعًا، آن.»

ذهبت آن إلى غرفتها، جلست على مقعدها خلف الصنوبر في ضـوء القمـر، وبكت بمرارة. شـعرت وكأن شـيئًا لا يقدر قد خرج مـن حياتهـا. كانت صداقة جيلبرت، بالطبـع. أوه، لماذا يجب أن تخسره بهذه الطريقة؟

«مـا الـذي يحـدث، يا عزيزتي؟» سـألت فيل، وهـي تدخل من خلال ضباب الليل المضاء بالقمر.

لـم تجـب آن. فـي تلك اللحظة، كانت تتمنى أن تكون فيل على بعد ألف ميل.

«أظـن أنكِ رفضتِ جيلبرت بليث، أليس كذلك؟ أنتِ غبية، آن شيرلي!»

«هـل تعتبريـن رفض الزواج من رجـل لا أحبه غباء؟» قالت آن ببرودة، مضطرة للرد.

«أنتِ لا تعرفين معنى الحب عندما ترينه. لقد صغتِ شيئًا ما بخيالـكِ تعتقديـن أنه حـب، وتتوقعين أن يظهر الشـيء الحقيقي علـى هـذا النحـو. هـذا هو أول شـيء منطقـي قلته فـي حياتي. أتساءل كيف نجحت في ذلك؟»

«فيل»، ناشدت آن، «من فضلكِ، اذهبي واتركيني وحدي لفترة قليلة. عالمي قد انهار. أريد إعادة بنائه.»

«بدون جيلبرت فيه؟» قالت فيل وهي تغادر.

عالم بدون جيلبرت فيه! كررت آن الكلمات بحزن. ألا سيكون مكانًا شديد الوحدة والبشاعة؟ حسنًا، كان كل ذلك ذنب جيلبرت. لقد أفسد صداقتهما الجميلة. يجب عليها أن تتعلم فقط أن تعيش بدونه.

الفصل الواحد والعشرون

ورود الأمس

أمضت آن وقتًا لطيفًا جدًا في بولينجبروك ، مع تيار ضعيف من الألم وعدم الرضا يتدفق عندما كانت تفكر في جيلبرت. لكن لم يكن هناك الكثير من الوقت للتفكير فيه. فماونت هولي، المنزل الجميل القديم لعائلة جوردون، كان مكانًا حيويًا جدًا، مليئًا بأصدقاء فيل من الجنسين. كان هناك توال مربك للغاية من الرحلات والرقصات والنزهات بالقوارب، كلها مجتمعة بشكل تعبيري تحت رأس «جامبوريز» من قبل فيل. كان أليك وألونزو في المكان باستمرار بحيث تساءلت آن عما إذا كانا يفعلان أي شيء غير أن يكونا على استعداد لمرافقة تلك الفتاة الخيالية، فيل. كان الشابان لطفين، ولكن آن لن تتورط في أي رأي بخصوص من هو الألطف منهما.

«واعتمدت كثيرًا عليك لمساعدتي في اتخاذ قرار حول من يجب علي أن أتزوج منهما»، انتحبت فيل.

«يجب عليك فعل ذلك بنفسك. إنك ماهرة تمامًا في اتخاذ قرار حول من يجب أن يتزوج به الآخرون»، ردت آن، بشكل ساخر نوعًا ما.

«أوه، هذا أمر مختلف تمامًا»، قالت فيل، بصدق.

لكـن أجمـل لحظة في إقامة آن في بولينجبروك كانت زيارتها إلى مكان ميلادها – البيت الصغير الأصفر المتهالك في شـارع ناءالذي حلمت به كثيرًا. نظرت إليه بعيون مبتهجة، عندما دخلت هي وفيل من البوابة.

«إنـه تقريبًـا كما تخيلته»، قالت. «لا يوجـد على النوافذ زهرة العسـل، ولكـن هنـاك شـجرة ليلـك بجـوار البوابة، ونعـم، هناك سـتائر موسـلين في النوافذ. كم أنا سـعيدة لأنه لا يزال مصبوغًا باللون الأصفر.»

امرأة طويلة جداً ورفيعة جداً فتحت الباب.

«نعـم، عـاش آل شـيرلي هنـا قبل عشـرين عامًا»، قالـت، ردًا على سـؤال آن. «كانوا قد اسـتأجروه. أتذكرهم. توفيا معًا بسبب حمـى. كان ذلـك حزينًا جدًا. تركوا طفلـة. أعتقد أنها ماتت منذ زمن بعيد. كانت شـيئًا ضعيفًا. أخذها السـيد توماس وزوجته – كما لو أنهما ليس لديهما ما يكفي من أطفالهما.»

«لم تمت»، قالت آن وهي تبتسم. «كنت تلك الطفلة.»

«لا تقولـي ذلـك! لقـد كبـرت»، صاحت المـرأة، كما لـو كانت متفاجئـة كثيـرًا مـن أن آن لم تعـد لا طفلة. «عندمـا أنظر إليكِ، أرى الشبه. لديكِ بشرة مثل والدك. كان لديه شعر أحمر. ولكنكِ تشبهين والدتك في عيونكِ وفمكِ. كانت شيئًا لطيفًا. ابنتي كانت تذهـب إلـى مدرسـتها وكانـت مجنونة بهـا. دُفِنوا فـي قبر واحد ووضـع مجلـس التعليم لهم نصبًـا تذكاريًا كمكافـأة على الخدمة الوفية. هل ستدخلين؟»

«هل ستسـمحين لي بالتجول في كل أنحاء البيت؟» سـألت آن بفارغ الصبر.

« يمكنك إذا أردتِ. لن يستغرق وقتا طويلاً – ليس هناك الكثير من المساحة. أنا أحث زوجي دائمًا على بناء مطبخ جديد، لكنه ليس من الناس الذين يجتهدون. الصالون هناك وهناك غرفتان في الطابق العلوي. انفردي بنفسك. يجب أن أراعي الطفل. الغرفة الشرقية كانت تلك التي وُلدت فيها. أتذكر والدتكِ وقالت إنها كانت تحب أن ترى شروق الشمس. وأذكر أنكِ وُلدتِ فيما يشرق الشمس وكان نورها على وجهكِ أول ما رأته والدتكِ.»

صعدت آن الدرج الضيق ودخلت تلك الغرفة الشرقية الصغيرة بقلب فائض. كانت مقدسة بالنسبة لها. هنا حلمت والدتها الأحلام الجميلة والسعيدة للأمومة المتوقعة. هنا سقط ضوء الشروق عليهما في الساعة المقدسة للميلاد. هنا توفيت والدتها. نظرت آن حولها بتقديس، عيناها مليئتان بالدموع. كانت إحدى ساعات الحياة النادرة التي تتلألأ بإشراق دائم في الذاكرة. «والدتي كانت أصغر مني الآن عندما ولدت»، همست.

عندما نزلت آن الدرج، قابلتها سيدة البيت في الرواق. أمسكت حزمة صغيرة مغبرة مربوطة بشريط أزرق باهت.

«إليك حزمة من الرسائل القديمة وجدتها في تلك الخزانة في الطابق العلوي عندما جئت هنا»، قالت. «لا أعرف ما هي – لم أهتم أبدًا بالنظر فيها، ولكن العنوان على الرسالة العليا هو «الآنسة بيرثا ويليس»، وهذا كان اسم والدتك. يمكنك أخذها إذا كنت ترغب في ذلك.»

«أوه، شكرًا لك – شكرًا لك»، صاحت آن، وهي تحتضن الحزمة بشغف.

«هذا كان كل شيء في المنزل»، قالت مضيفتها. «تم بيع كل الأثاث لدفع فواتير الطبيب، وحصلت السيدة توماس على

ملابس وأشياء والدتك الصغيرة. أعتقد أنها لم تدم طويلاً بين ذلك القطيع من أطفال توماس. كانوا حيوانات شابة مدمرة، حسبما أتذكر.»

«ليس لدي شيء يعود لوالدتي»، قالت آن بألم. «لا يمكنني أن أشكركم كفاية على هذه الرسائل.»

«أنت مرحب به تمامًا. كم تشبه عيناك عيني والدتك. كان بإمكانها التحدث بعيونها تقريبًا. والدك كا لطيفًا للغاية. أتذكر أن الناس قالوا عندما تزوجوا أنه لم يكن هناك شخصان يحبان بعضهما البعض أكثر منهما - المسكينان، لم يعيشا طويلاً ، لكنهما كانا سعيدين للغاية أثناء حياتهما، وأعتقد أن ذلك يعني الكثير.»

توجّهت آن إلى المنزل لقراءة رسائلها الثمينة؛ لكنها قامت «بحجّ» صغير أولاً. لقد ذهبت بمفردها إلى الزاوية الخضراء في المقبرة «القديمة» في بولينجبروك حيث دُفِن والدها ووالدتها، ووضعت على قبرهما الزهور البيضاء التي حملتها. ثم عادت بسرعة إلى ماونت هولي، أغلقت على نفسها في غرفتها، وقرأت الرسائل. كتب والدها بعضها، وبعضها كتبته والدتها. لم يكن هناك الكثير - إلا نحو اثنتي عشر في المجموع - لأن والتر وبرثا شيرلي لم يفترقا كثيرًا خلال فترة الخطوبة. كانت الرسائل صفراء وباهتة وشاحبة، ملطخة بلمسات السنين المارة. لم يتم تسجيل كلمات عميقة من الحكمة على الصفحات الملطخة والمجعدة، ولكن كان هناك فقط سطور من الحب والثقة. كانت عبقرية الأشياء المنسية تتشبث بها - التخيّلات البعيدة والرقيقة لأولئك العشاق الذين ماتوا منذ فترة طويلة. كانت رسائل بيرثا شيرلي تتمتع بقدرة كتابة رائعة تجسد شخصية الكاتب بكلمات

وأفكار تحتفظ بجمالها وعطرها بعد مرور الزمن. كانت رسائل رقيقة وحميمة ومقدسة. بالنسبة لآن، كانت أجملها هي تلك التي كتبت بعد ولادتها إلى والدها أثناء غياب قصير. كانت مليئة بتقارير أم شابة فخورة عنذكاء، وإشراق وجمال طفلتها.

«أنا أحبها أكثر عندما تكون نائمة، وأحسن عندما تكون مستيقظة»، كتبت بيرثا شيرلي في الحاشية. ربما كانت هذه هي آخر جملة قد كتبتها أبدًا. كان النهاية قريبة جدًا بالنسبة لها.

«هذا كان أجمل يوم في حياتي»، قالت آن لفيل تلك الليلة. «لقد وجدت والدي ووالدتي. هذه الرسائل جعلتهما حقيقيين بالنسبة لي. لست يتيمة بعد الآن. أشعر وكأنني فتحت كتابًا ووجدت ورود الأمس، عطرة ومحبوبة، بين صفحاته.»

الفصل الثاني والعشرون
الربيع وعودة آن إلى البراري الخضراء

كانت ظلال النار ترقص على جدران المطبخ في البراري الخضراء، لأن مساء الربيع كان باردًا؛ من خلال النافذة الشرقية المفتوحة، تتدفق أصوات الليل اللطيفة برائحتها الساحرة. كانت ماريلا جالسة بجوار النار على الأقل، كان جسدها هناك. أما الروح، فكانت تجوب الطرق القديمة، بأقدام تعود شابة. ففي الآونة الأخيرة، أمضت ماريلا الكثير من الوقت هكذا، حينما كانت تحوك أشياءللتوائم.

«أعتقد أنني أصبحت كبيرة في السن»، قالت.

ومع ذلك، لم تتغير ماريلا كثيرًا في السنوات التسع الماضية، إلا أنها أصبحت أنحف بقليل، وأكثرنتوءات؛ وكان هناك قليلاً من الشيب الإضافي في الشعر الذي كان لا يزال ملفوفًا بنفس العقدة الصلبة، وهل كانت هذه هي نفس الدبابيس؟ – لا تزال مثبتة فيه. لكن تعبيرها كان مختلفًا تمامًا؛ كان هناك شيء حول الفم = يشير إلى وجود حس فكاهي قد تطور بشكل رائع؛ وعيناها كانتا ألطف وألين، وابتسامتها كانت أكثر تكرارًا ورقة.

كانت ماريلا تفكر في حياتها بأكملها، طفولتها السعيدة رغم التحديات، والأحلام التي تم إخفاؤها والآمال التي لم تتحقق،

والسنوات الطويلة والرمادية والضيقة والمملة للغاية المهدرة في منتصف حياتها. ثميحين وصول آن – الطفلة الواقعية الحالمة والعاطفية، بقلبها المليء بالحب، وعالمها الخيالي، جلبت معها الألوان والدفء والتألق، حتى ازدهرت برية الوجود كزهرة الورد. شعرت ماريلا أنها قضت من ستين عامًا في حياتها فقط تلك السنوات التسع التي تلت قدوم آن. وآن ستعود إلى المنزل غدًا ليلاً.

فُتِحَ باب المطبخ. نظرت ماريلا للأعلى، تتوقع أن ترى السيدة ليند. وقفت آن أمامها، طويلة وعينيها متألقتان، مع يديها المليئة بزهور الربيع والبنفسج.

«آن شيرلي!» صاحت ماريلا. للمرة الأولى في حياتها، تفاجأت بخروجها عن ضبط نفسها؛ أمسكت فتاتها من ذراعيها وضمتها وزهورها إلى قلبها، وقبلت الشعر المشرق والوجه الحلو بحماسة. «لم أكن أتوقع أن أراك حتى ليلة الغد. كيف وصلتِ من كارمودي؟»

«مشيت، يا أغلى ماريلا. ألم أفعل ذلك عدة مرات في أيام الجامعة الملكية؟ يجب أن يحضر لي البريد حقيبتي غدًا. لقد شعرت فجأة بالحنين إلى الوطن، وجئت يومًا أبكر. وأوه! لقد حظيتبمشي جميل في غسق مايو؛ وتوقفت عند الأراضي العقيقة واخترت هذه الزهور الربيعية؛ ومررت عبر وادي البنفسج؛ إنها الآن كوعاء كبير من البنفسج. شمّي رائحتها، ماريلا .»

شمتهاماريلا ، لكنها كانت أكثر اهتمامًا بآن من رائحة البنفسج.

«اجلسي، يا طفلة. لا بدّ أنك متعبة حقًا. سأحضر لك بعض العشاء.»

«هنـاك بـزوع للقمر الجميل خلف التـلال الليلة، ماريلا، وأوه، كيـف غنَّـت لـي الضفـادع حتـى المنـزل مـن كارمودي! أنـا أحب موسـيقى الضفـادع. يبـدو أنهـا مرتبطة بـكل ذكرياتي السـعيدة للغايـة في الليالي الخالية فـي الربيع. وهي دائما تذكرني بالليلة التي جئت فيها هنا أول مرة. هل تتذكرينها، ماريلا؟»

«نعم»، قالت ماريلا بتأكيد. «من المستبعد أن أنساها أبدًا.»

«كانـوا يغنون بجنون في المسـتنقع والجـدول ذلك العام. كنت أسـتمع إليهـم مـن نافذتي في الظلام، وأتسـاءل كيـف يمكن لهم أن يبدوا سـعداء وحزينين في نفس الوقت. أوه، ولكن العودة إلى المنزل مرة أخرى شيء عظيم! كانت ريدموند رائعةوبولينجبروك رائعة، ولكن البراري الخضراء هو المنزل.»

«لا يبدو أن جيلبرت سيعود إلى المنزل هذا الصيف، حسبما سمعت»، قالت ماريلا.

«لا». شـيء فـي تعبير آن جعل ماريـلا تلقي نظرة حادة عليها، لكـن يبـدو أن آن مشـغولة بترتيب بنفسـجها في وعـاء. «انظري، أليسـت لذيـذة؟»، تابعت بعجل. «السـنة هي كتـاب، أليس كذلك، ماريلا؟ صفحات الربيع مكتوبة بزهور مايو والبنفسج، وصفحات الصيـف بالـورود، وصفحات الخريـف بأوراق القيقـب الحمراء، والشتاء بالصنوبر الأخضر.»

«هـل حقـق جيلبـرت نجاحًـا جيدًا فـي امتحاناته؟» اسـتمرت ماريلا.

«نجاحًـا ممتـازًا. كان قائـدًا لصفه. ولكن أين التوأم والسـيدة ليند؟»

«راشـيل ودورا في منزل السـيد هاريسـون. ديفي في بولترز. أعتقد أني أسمعه قادمًا الآن.»

دخل ديفي، رأى آن، توقف، ثم اندفع نحوها بصرخة فرح.

«أوه، آن، إنه من دواعي سروري رؤيتك! قال، لقد نموت اثنين من البوصات منذ الخريف الماضي. قاسَتني السيدة لينـد اليوم بشريطها المرن يا آن، وانظري إلى سنيالأمامي. لقد قمت باقتلاعه. ربطت السيدة لينـد أحد طرفي الحبل إلى السن، والطرف الآخر إلى الباب، ثم أغلقت الباب. بعته لميلتي بقرشين. ميلتي يجمع الأسنان.»

«ما الذي يريده من الأسنان؟» سألت ماريلا.

«لصنع قلادة للعب دور رئيس الهنود»، أوضح ديفي، متسلقًا على ركبتي آن. «لديه خمسة عشر سنا بالفعل، ووعد الجميع بالباقي. أقول لكم إن عائلة بولترز هم أناس أعمال عظماء.»

«هل كنت صبيًا جيدًا في منزل السيدة بولتر؟» سألت ماريلا بشدة.

«نعم؛ ولكن قولي لماريلا، أني متعب من أن أكون صبيًا جيدًا.»

«ستمل من أن تكون سيئًا بسرعة أكبر، يا ديفي»، قالت آن.

«حسنًا، سيكون من المرح أن يدوم، أليس كذلك؟» أصر ديفي. «يمكنني أن أندم بعدها، أليس كذلك؟»

«أن تكون نادمًا لا يمحو عواقب كونك سيئًا، ديفي. ألا تتذكر الصيف الماضي عندما هربت من مدرسة الأحد؟ قلت لي ذلك الوقت إن كونك سيئًا لا يستحق العناء. ماذا كنت وميلتي تفعلان اليوم؟»

«أوه، صدنا وطاردنا القطة، وبحثنا عن البيض، وصرخنا في وجه الصدى. هناك صدى عظيم في الأشجار خلف حظيرة بولتر. قولي لي، ما هو الصدى، آن؟ أريد أن أعرف.»

«الصدى هو حورية جميلة، ديفي، تعيش بعيدًا في الغابة،

وتضحك على العالم من بين التلال.»

«كيف تبدو؟»

«شعرها وعيناها داكنان، لكن رقبتها وذراعاها بيضاوان كالثلج. لا يمكن لأي أحد رؤية جمالها أبدًا. إنها أسرع من الغزلان، وهذا الصوت المستهزئ هو كل ما يمكننا أن نعرفه عنها. يمكنك سماعها تنادي في الليل، يمكنك سماعها تضحك تحت النجوم. ولكن لا يمكنك رؤيتها أبدًا. إنها تطير بعيدًا إذا ما تبعتها، وتضحك لك دائمًا فوق التلة العالية.»

«هل هذا صحيح، آن؟ أم هو كذبة كبيرة؟» سألديفي بتحديق.

«ديفي»، قالت آن بيأس، «أليس لديك ما يكفي من الحس للتمييز بين الحكاية الخرافية والكذب؟»

«إذًا، ما هو الشيء الذي يرد من غابة بولتر؟ أريد أن أعرف»، أصر ديفي.

«عندما تكون أكبر قليلاً، ديفي، سأشرح لك كل شيء.»

يبدو أن ذكر العمر أعطى اتجاهًا جديدًا لأفكار ديفي، لأنه بعد لحظات قليلة من التأمل، همس بجدية:

«آن، سأتزوج.»

«متى؟» سألت آن بجدية.

«أوه، ليس حتى أكبر، بالطبع.»

«حسنًا، هذا يريحني، ديفي. من هي السيدة؟»

«ستيلا فليتشر؛ هي في فصلي بالمدرسة ، إنها أجمل فتاة رأيتها على الإطلاق. إذا مت قبل أن أكبر، ستتأكدين من رعايتها، أليس كذلك؟»

«ديفي كيث، توقف عن الحديث بمثل هذه السفاسف»، قالت ماريلا بحزم.

«ليســت سفاســف»، احتج ديفي بلهجة مجروحة. «إنها زوجتي المتفق عليها، وإذا مت فإنها ستكون أرملتي المتفق عليها، أليس كذلك؟ وليس لديها روح لتعتني بها إلا جدتها العجوز.»

«تعال وتناولي عشــاءك، آن»، قالت ماريلا، «ولا تشــجعي هذا الطفل على حديثه السخيف.»

الفصل الثالث والعشرون
بول لا يستطيع العثور على شخصياته في شعب الصخور

كانت الحياة ممتعة جدًا في أفونلي ذلك الصيف، على الرغم من أن آن، في وسط فرحةالعطلة، كان يلاحَقُها إحساسٌ بأنها تفتقد إلى شيء ما .ولم تعترف، حتى في أعماق تأملاتها، بأن هذا كان ناتجًا عن غياب جيلبرت. ولكن عندما كان عليها أن تمشي وحدها إلى المنزل من اجتماعات الصلاة وجلسات التحضير لـ «الجمعية الأدبية والتحفيزية للنساء»، بينما كانت ديانا وفريد والعديد من الأزواج الآخرين يتسكعون على طول الطرق الريفية الخافتة، المضاءة بنجوم الليل، كان هناك ألم غريب ووحشة في قلبها لا يمكنها تفسيرها. لم يكتب لها جيلبرتكما اعتقدت أنه سيفعل. كانت تعلم أنه يكتب لديانا من حين لآخر، ولكنها لم تسأل عنه، واعتبرت ديانا أنّ آن تسمع أخباره منه، فلم تتطوع بتقديم أي معلومات. وكانت والدة جيلبرت، التي كانت بشوشة وصريحة وطيبة القلب، لديها عادة محرجة للغاية تتمثل في سؤال آن، دائمًا بصوت واضح وبشكل مؤلم ودائمًا بوجود حشد من الناس، عما إذا كانت قد سمعت من جيلبرت مؤخرًا شيئا جديدا. كانت آن المسكينة لا تستطيع سوى أن تحمر بشكل فظيع وتتمتم،

«ليس منذ فترة طويلة جدًا»، والتي اعتبرها الجميع، بما في ذلك السيدة بلايث، مجرد تهرب. بصرف النظر عن ذلك، استمتعت آن بصيفها. جاءت بريسيلا في زيارة ممتعة في يونيو، وعندما رحلت، جاء السيد والسيدة إيرفينغ وبول وتشارلوتا الرابعة «إلى المنزل» لشهري يوليو وأغسطس. عادت تجمعات قرن الصدى للتألق مرة أخرى، وكان الصدى فوق النهر مشغولا بتقليد الضحك الذي صدر عن الحديقة القديمة خلف أشجار السرو. «الآنسة لافندر» لم تتغير، إلا أنها كانت قد أصبحت أكثر حلاوة وجمالاً. كان بول يعشقها، وكان التآلف بينهما جميلًا للغاية.

«ولكنني لا أسميها «أمي»»، شرح بول لآن. «تعلمين، ذاك الاسم يخص فقط أمي، ولا أستطيع منحه لأي شخص آخر يا أستاذة. لكنني أسميها «الأم لافندر» وأنا أحب وجودها بجوار أبي. أنا... أنا أحبها حتى أكثر منكقليلاً ، أستاذة.»

«وهذا ما يجب أن يكون،» أجابت آن.

كان بول الآن في الثالثة عشرة وكان طويلًا جدًا أكثر من عمره. وكان وجهه وعيناه جميلين كما كانا دائمًا، وخياله كان ما يزال جامحا، يفصل كل شيء يسقط عليه إلى ألوان قوس قزح. كان لديهما جولات رائعة إلى الغابة والحقل والشاطئ. لم يكن هناك اثنان «أرواحهمامتشابهة» أكثر منهما.

وكانت شارلوتا الرابعة قد تفتحت كفتاةفي سنها. كانت تضع شعرها في بومبادور هائل وقد تخلت عن الشرائط الزرقاء منذ زمن، ولكن وجهها كان مليئا بالبثور، وأنفها كان مدببًا، وفمها وابتساماتها كانت واسعة كما كانت دائمًا.

«ألا تظنين أنني أتحدث بلهجة ينكية، يا آنسة آن شيرلي؟» سألت شارلوتابقلق.

«لم ألاحظ ذلك، شارلوتا.»

«أنا سعيدة حقًا بذلك. قالوا لي إنني أتحدث بلهجة ينكية في المنـزل، لكننـي اعتقـدت أنهم ربما يريـدون إزعاجي. لا أريد أي لهجة ينكية. ليس لدي أي كلمة ضد الينكي، يا آنسة آن شيرلي. إنهم متحضرون حقًا. ولكني أفضل جزيرة الملك إدوارد دائما.»

قضـى بـول الأسـابيع الأولى مـع جدتـه إيرفينج فـي أفونلي. وكانت آن هناك للقائهوعندما جاء، ووجدته متحمسًا بشكل هائل للذهـاب إلى الشـاطئ. سـتكون نورا والسـيدة الذهبيـة والبحارة التـوأم هنـاك. كاد ينتظر بفارغ الصبر لتناول عشـاءه. هل يمكنه ألا يـرى وجـه نـورا الجميـل يطل عليه مـن حول الـرأس، يراقبه بتلهـف؟ ولكـن كان بـول جديًـا جـدًا عندما عاد من الشـاطئ في الشفق.

«ألم تجد شخصياتك على الصخور؟» سألته آن.

هز بول خصل شعره الكستنائي بحزن.

«البحارة التوأم والسيدة الذهبية لم يأتوا على الإطلاق»، قال. «كانت نورا هناك، لكنها لم تعد كما كانت، أستاذة. لقد تغيرت.»

«أوه، بـول، أنـت من تغير»، قالت آن. «لقـد كبرت كثيرًا لتكون مناسبًا لشعب الصخور. إنهم يحبون فقط الأطفال كرفاق للعب. أخشـى أن البحـارة التـوأم لن يأتـوا مرة أخرى إليـك في القارب اللؤلؤي السـاحر بالشـراع من ضوء القمر. والسـيدة الذهبية لن تعـزف لـك المزيد على قيثارتها الذهبية. حتى نورا لن تلتقي بك لفترة أطول. عليك أن تدفع ثمن النمو، بول. عليك أن تترك عالم الجن وراءك.»

«أنتمـا تتحدثـان بالحماقات كما فعلتما دائمًا»، قالت السـيدة العجوز إيرفينج

«أوه، لا نفعل ذلك»، قالت آن، وقد هزت رأسها بجدية. «نحن نصبح ناضجين، وهو أمر لا يُحسد عليه. فماذا يبقى لنا من الإثارة عندما نتعلم أن اللغة قد أعطيت لنا لتمكيننا من إخفاء أفكارنا.»

«لكنها ليست كذلك – إنها أعطيت لنا لتبادل أفكارنا»، قالت السيدة إيرفينج بجدية. لم تكن قد سمعت عن تاليراند ولم تفهم الأمثال.

قضت آن أسبوعين من الأيام السعيدة في قرن الصدى في أغسطس. وخلال هذا الوقت، نجحت بشكل عرضي في تسريع لودوفيك سبيد في محاولته البطيئة لمحبة تيودورا ديكس، كما هو مذكور بشكل مناسب في سجل آخر لتاريخها. أرنولد شيرمان، صديق كبير في السن لعائلة إيرفينج، كان هناك في نفس الوقت، وأضاف الكثير إلى السعادة العامة في الحياة.

«ما ألذ أن تكون هذه اللحظات ممتعة»، قالت آن. «أشعر وكأنني عملاق تم تجديده. ولا يتبقى سوى أسبوعين حتى أعود إلى كينغسبورت، وبيت باتيالذي هو المكان الأغلى يا سيدة لافندر. أشعر وكأن لدي منزلين – واحد في البراري الخضراء وواحد في بيت باتي. ولكن أين ذهب الصيف؟ لا يبدو وكأنه مر يوم منذ أن عدت إلى المنزل في ذلك المساء الربيعي مع زهور الزنبق. عندما كنت صغيرة، لم أستطع أن أرى بداية ونهاية الصيف. امتد أمامي كموسم لا ينتهي. اولآن، «إنه يمر كومضة خاطفة.

«آن، هل أنت وجيلبرتبلايث لا تزالان أصدقاء جيدين كما كنتما سابقًا؟» سألت السيدة لافندر بهدوء.

«أنا صديقة جيلبرت بقدر ما كنت من قبل، سيدة لافندر.»

هزت السيدة لافندر رأسها.

«أرى أن هناك شيئًا قد سار على غير ما يرام، آن. سأكون فضولية وأسأل ما هو. هل قد تشاجرتما؟»

«لا؛ فقط جيلبرت يريد أكثر من الصداقة ولا أستطيع أن أعطيه أكثر.»

«هل أنتِ متأكدة من ذلك، آن؟»

«على يقين تام.»

«أنا آسف جدًا، جدًا.»

«أتساءل لماذا يعتقدالجميع أنه يجب عليّ أن أتزوج جيلبرت بليث»، قالت آن بحزن.

«لأنكِ خُلقتما لبعضكما البعض، آن – هذا هو السبب. لا تحتاجينَ إلى هز رأسك الشاب. إنها حقيقة.»

الفصل الرابع والعشرون
ظهور يوناس

بروسبكت بوينت
١٦ أغسطس.
كتبت فيل

«عزيزتي آن – مكتوبة بمدّ الألف – يجب أن أبقي جفوني مفتوحة لفترة كافية لكتابة هذه الرسالة لك. لقد أهملتك بشكل فظيع هذا الصيف، حبيبتي، ولكنني أهملت جميع الرسائل الواردة أيضًا. لدي كومة ضخمة عليّ الرد عليها، لذا يجب أن أستعد عقليا وأبدأ العمل. اعذريني على تشابك الاستعارات. أشعر بالنعاس بشكل فظيع. الليلة الماضية، كنا أنا وابنة عمي إميلي نزور جارة. كان هناك العديد من الزوار الآخرين هناك، وبمجرد مغادرة هؤلاء الفقراء، قامت مضيفتنا وبناتها الثلاث لها بتمزيق لحمهم جميعًا. كنت أعلم أنهن سيبدأن في الحديث عنيوعن ابنة عمي فور إغلاق الباب وراءنا. عندما عدنا إلى المنزل، أخبرتنا السيدة ليلي أن خادمهم كان مصابًا بحمى السل. يمكنك دائمًا الاعتماد على السيدة ليلي لإخبارك بأشياء مفرحة من هذا القبيل. لدي رهاب من حمى السل. لم أستطع النوم عندما ذهبت إلى السرير فكرت فيها كثيرا. لقد تقلبت

وتدحرجت، وحلمت بأحلام مخيفة عندما غفوت للحظة، وفي الثالثة صباحًا استيقظت بحمى عالية وحلق ملتهب وصداع عنيف. كنت أعلم أنني مصابة بحمى السل. قمت بالنهوض في حالة ذعر وبحثت في «كتاب الطب» لابنة عمي لقراءة الأعراض. آن، كنت أعاني من كل هذه الأعراض. لذا عدت إلى السرير، ومع معرفتي بأسوأ الأمور، نمت مثل الطفل لبقية الليل. على الرغم من أنني لا أستطيع فهم لماذا يجب على الطفل النوم بعمق أكثر من أي شخص آخر. ولكن هذا الصباح، كنت بصحة جيدة تمامًا، لذا لا يمكن أن يكون الأمر كان حمى. أفترض إذا كنت قد أصبت بها الليلة الماضية، فلا يمكن أن تختفي بسرعة. يمكنني تذكر ذلك في النهار، ولكن في الثالثة صباحًا، لا يمكنني أبدًا أن أكون منطقية.»

«أفترض أنك تتساءلين عنسبب ذهابي إلى بروسبكت بوينت. حسنًا، أنا دائمًا أحب قضاء شهر من الصيف على الشاطئ، ويصر والدي على أن آتي إلى منزل عمي الثاني إيميلي، المعروف بـ «بيت الضيافة المختار» فيبروسبكتبوينت . لذا، قبل أسبوعين، جئت كالمعتاد. وكما هو الأمر دائما، جلبني العجوز «عم مارك ميلر» من المحطة بعربته القديمة أوما يسميه «حصان الغرض الكريم». إنه رجل لطيف وأعطاني حفنة من الحلوى الوردية التي تبدو دائمًا لي كأنها نوع من الحلوى المقدسة – أفترض لأنه عندما كنت طفلة صغيرة، كانت جدتي جوردون دائمًا تعطيها لي في الكنيسة. مرة واحدة، سألت، في إشارة إلى رائحة الحلوى الوردية، «هل هذا رائحة القداسة؟» لم يعجبني أن آكل حلوى عم مارك لأنه يستخرجها عشوائيًا من جيبه، ويضطر إلى استخراج بعض الأظافر الصدئة وأشياء أخرى بينها قبل أن يعطيني إياها.

ولكنني لن أؤذي مشاعره مقابل أي شيء، لذا زرعتها بعناية على طول الطريق بفترات. وعندما انتهت آخر قطعة، قال العم مارك، «يجب ألا تأكلي كل تلك الحلوى دفعة واحدة، آنسة فيل. قد تعانين من آلام المعدة.»

«ابنة عمي إيميلي لديها خمسة نزلاء فضلا عني، أربعة من السيدات الكبار ورجل شاب. الجارة على يميني هي السيدة ليلي. إنها من أولئك الأشخاص الذين يجدون لذة مروعة في سرد التفاصيل عن جميع آلامهم وأمراضهم العديدة. لا يمكنك ذكر أي مرض دون أن تهز رأسها وتقول: «آه، أنا أعلم جيدًا ما هو ذلك»، ثم تطلعك على جميع التفاصيل. يقول جوناس إنه قد تحدث مرة عن تراكم الحركة أمامها وقالت إنها تعرف جيدًا ما هو ذلك. كانت تعاني منه لعشر سنوات وأخيرًا تم علاجها بواسطة طبيب متجول.

«من هو جوناس؟ انتظري، آن شيرلي، ستسمعين كل شيء عن جوناس في الوقت والمكان المناسبين. لا يجب أن يتم ذكره مع السيدات المسنات.

وأما الجارة على يساري عند الطاولة فهي السيدة فيني. تتحدث دائمًا بنبرة شكوى وألم ويُتوقع أن تنفجر في البكاء في أي لحظة بشكل عصبي. إنها تعطيك انطباعًا بأن الحياة بالنسبة إليها هي حقًا وادي من الدموع، وأن الابتسامة، ولا نتحدث عن الضحك، هي استهتار مستهجنحقًا. لديها رأي فيّ أسوأ من رأي العمة جيمسينا، وهي لا تحبني بقدر ما تحبني عمتي ج.»

«وتجلس الآنسة ماريا جريمسبي في الزاوية المقابلة لي. في اليوم الأول الذي حضرت فيه، لفتت نظري أنها ستمطر قليلاً، فضحكت الآنسة ماريا. قلت إن الطريق من المحطة جميل جداً،

فضحكت الآنسة ماريا. قلت إنه يبدو أن هناك بعض البعوض لا يزال هنا، فضحكت الآنسة ماريا. قلت إن نقطة الاستطلاع جميلة كما كانت دائماً، فضحكت الآنسة ماريا. لو قلت للآنسة ماريا: «أبي قام بشنق نفسه، ووالدتي شربت سمًا، وأخي في السجن، وأنا في مراحل الإدمان الأخيرة»، ستضحك الآنسة ماريا. لا تستطيع أن تمنع نفسها من ذلك، إنها وُلدت بهذه الطريقة، ولكنها حزينة ورهيبة جداً.

«وأمّا النزيلة الخامسة فهي السيدة غرانت. إنها شيء عجيب؛ ولكنها لا تقول إلا الخير عن أي شخص، ولذا فإنها محادثة غير مثيرة للاهتمام جداً.»

«والآن لنعد إلى جوناس، آن.»

«في اليوم الأول الذي حضرت فيه، رأيت شابًا جالسًا أمامي على الطاولة، يبتسم لي وكأنه يعرفني منذ أيام الرضاعة. كنت أعلم، لأن العم مارك قد قال لي، أن اسمه جوناس بليك، وأنه طالب لاهوت من جامعة سانت كولومبيا، وأنه قد تولى إدارة كنيسة بوينت بروسبكت للمهمات خلال فصل الصيف.

«إنه شاب قبيح جدًا، حقًا، هو أقبح شاب رأيته في حياتي. لديه قامة كبيرة وفتوة مع ساقين طويلتين بشكل سخيف. شعره بني ومجعد، وعيناه خضراوتان، وفمه كبير، وأذنيه.. ولكنني لا أفكر أبدًا في أذنيه إذا استطعت تجنب ذلك.

«لديه صوت رائع، إذا أغلقت عينيك فإنه رائع، وبالتأكيد لديه روح وطباع جميلة.

«أصبحنا أصدقاء جيدين فورًا. بالطبع هو خريج جامعة ريدموند، وهذا رابط بيننا. كنا نصطاد ونجلس في القارب معًا، ونتنزه على الشواطئ في ضوء القمر. لم يكن يظهر بشكل

قبيح في ضوء القمر، وكان لطيفًا جدًا. اللطافة تنبع منه بشكل لا يصدق. السيدات الكبيرات، باستثناء السيدة جرانت، لا يستلطفن على جوناس، لأنه يضحك ويمزح، ولأنه من الواضح أنه يحب جلسات الترفيه بصحبتي أكثر من جلساتهن.

«بطريقة ما، آن، لا أريد أن يظن بأني تافهة. هذا سخيف. لماذا يجب أن يهمني رأي شخص ذو شعر بني يدعى جوناس، الذي لم أره من قبل؟»

«في الأحد الماضي، خطب في كنيسة القرية. ذهبت، بالطبع، ولكني لم أستوعب أنه كان سيخطب. حقيقة أنه كان قسا أو سيكون كذلك استمرت في أظهار نفسها لي كنكتة ضخمة.

«حسنًا، خطب جوناس. وبحلول اللحظة العاشرة من خطبته، شعرت بأنني صغيرة وتافهة حتى أنني اعتقدت أنني يجب أن أكون غير مرئية للعين المجردة. لم قط عن النساء ولم ينظر إليّ. ولكنني أدركت في ذلك الوقت وهناك مدى تافهة وصغر روحي، وكم أنا مختلفة بشكل فظيع عن المرأة المثالية في نظر جوناس. لا بد أن ستكون امرأة عظيمة وقوية ونبيلة. إنه كان جادًا ورقيقًا وصادقًا. كان كل ما ينبغي على قس أن يكون عليه. تساءلت كيف يمكنني أن أكون قد فكرت يومًا بأنه قبيح، ولكنه حقًا كذلك! بتلك العيون الملهمة وذلك الجبين الفكري الذي يخفيه الشعر الذي يتساقط برفق خلال أيام الأسبوع.

«كانت خطبة رائعة وكان يمكنني أن أستمع إليها إلى الأبد، وجعلتني أشعر بالبؤس تمامًا. أوه، كم أتمنى أن أكون مثلك، آن.»

«لحق بي على الطريق المؤدي إلى المنزل، وابتسم بفرح كالعادة. لكن ابتسامته لن تتمكن أبدًا من خداعي مرة أخرى. لقد رأيت جوناس الحقيقي. تساءلت هل يمكن أن يرى جوناس الحقيقي فيل التي لم يرها أحد، حتى أنتِ، آن، حتى الآن.

«جوناس»، نسيت أن أقول إنني أناديه السيد بلايك. أليس

ذلـك فظيعـاً؟ ولكـن هنـاك أوقـات لا تهـم فيها مثل هـذه الأمور «جونـاس، لقـد وُلـدت لتكـون قسـا. لا يمكنك أن تكون أي شـيء آخر.»

«لا، لا يمكنني،» قال بجدية. «حاولت أن أكون شيئًا آخر لفترة طويلـة. لـم أكن أرغب في أن أكون قسـا. لكني فهمـت أخيرًا أنه العمل الذي تم اختياري له وبمساعدة الله، سأحاول القيام به.»

«كان صوتـه منخفضًـا ومبجـلًا. فكـرت أنـه سـيقوم بعملـه وسـيقوم بـه بشـكل جيد ونبيل، وسـتكون سـعيدة المـرأة التي تم تجهيزهـا بطبيعتها وتدريبها لمسـاعدته في ذلـك. لن تكون تلك المرأة كالريشة، تطفو عند تقلب الرياح الخفيفة. ستعرف دائمًا أي قبعة تضعها. ربما ستكون لديها قبعة واحدة فقط. القساوسة لا يملكـون الكثيـر من المال عادةً. لكنها لن تمانع في وجود قبعة واحـدة أو عـدم وجود أي قبعة على الإطلاق، لأنها سـتكون لديها جوناس.

«آن شـيرلي، لا تجرئـي علـى قـول أو التلميـح أو التفكيـر في أننـي وقعـت في حب السـيد بلايك. هـل يمكننـي الاهتمام بفتى هزيـل، فقيـر، قبيـح، يدعى جونـاس؟ كما يقول العـم مارك، «إنه أمر مستحيل، والأهم أنه غير محتمل.»

«تصبحين على خير، فيل.»

«ملاحظـة: إنـه مسـتحيل، ولكننـي أخـاف بشـدة أن يكـون صحيحـا. أنـا سـعيدة ومحطمة وخائفـة. لا يمكنه أبـدًا أن يهتم لأمـري، أعلـم ذلـك. هـل تعتقدين أننـي يمكن أن أتطـور يومًا ما لأكـون زوجـة قـسّ جيـدة، آن؟ وهـل سـيتوقعون منـي أن أؤم في الصلاة؟»

فيل جوردن

الفصل الخامس والعشرون
ادخل يا فارس الأحلام

«أنـا أقـوم متذبذبة بيـن مطالب الداخل والخـارج،» قالت آن، وهي تنظر من نافذة «بيت باتي» إلى أشجار الصنوبر البعيدة في الحديقة. «لدي بعض الوقت لأقضيه في فعل اللا شيء اللطيف، عمتـي جيمسـي. هل يمكن أن أقضيـه هنا حيث يوجد نار دافئة، وصحـن مـن التفـاح اللذيـذ، وثلاثة قطـط متناغمـة، وكلاب من الخـزف الصينـي لا تشـوبها شـائبة بأنوف خضـراء؟ أم يجب أن أذهـب إلـى الحديقة، حيث يكمن سـحر الغابات الرمادية والمياه التي تداعب صخور المرفأ؟»

«إذا كنـت مثلك في الشـباب، لقررت لصالـح الحديقة،» قالت العمة جيمسينا، وهي تقوم بحك أذن جوزيف بواسطة إبرة حياكة.

«كنـت أعتقـد أنـك تدّعيـن أنـك أصغر منـا جميعًـا، عمتي»، سخرت آن.

«نعـم، فـي روحـي. ولكـن سـأعترف بـأن سـاقي ليسـت بهذه الشـباب. اذهبـي واحصلـي على بعـض الهواء النقـي، آن. تبدين باهتة في الآونة الأخيرة.»

«أعتقد أنني سأذهب إلى الحديقة»، قالت آن بتوتر. «لا أشعر برغبة في الفرح المنزلي اليوم. أريد أن أشـعر بالوحدة والحرية

والبرية. ستكون الحديقة فارغة، لأن الجميع سيكونون في مباراة كرة القدم.»

«لماذا لم تذهبي إليها؟»

«لم يطلب مني أحد ذلك، سيدتي»، قالت، على الأقللا أحد سوى ذلك الصبي القذر دان رينجر. لن أذهب إلى أي مكان معه، ولكن بدلاً من أن أؤذي مشاعره الصغيرة اللطيفة، قلت إنني لن أشارك في اللعبة على الإطلاق. لا أريد ، لست في مزاج جيد لكرة القدم اليوم.»

«اذهبي واحصلي على بعض الهواء النقي»، كررت العمة جيمسينا، «ولكن خذي مظلتك، لأنني أعتقد أنها ستمطر. لقد استيقظ التهاب المفاصل في ساقي.»

«ينبغي أن يكون التهاب المفاصل لدى الأشخاص الكبار فقط، عمتي.»

«أي شخص قد يتعرض لالتهاب المفاصل في ساقيه، آن. إنما ينبغي ألا يكون الالتهاب في الروح لدى الأشخاص الكبار. الشكر لله، لا يحدث ذلك لي. عندما تصاب بالتهاب المفاصل في روحك، يمكنك تقريبًا أن تذهبي وتختاري نعشك.»

كان نوفمبر – شهر الغروب القرمزي، ووداع الطيور، وتراتيل البحر العميق والحزين، وأناشيد الرياح العاطفية في أشجار الصنوبر. تجولت آن في أزقة حديقة الصنوبر، وكما قالت، دعت تلك الرياح العاتية الكبيرة أن تطرد الضباب عن روحها. لم تكن آن معتادة أن يحل بها ضباب الروح. ولكن، بطريقة ما، منذ عودتها إلى ريدموند لهذه السنة الثالثة، لم الحياة تعكس إليها روحها بالوضوح والنقاوة واللمعان الذي كان سابقا.

مـن الناحيـة الخارجيـة، كانت الحياة في «بيت باتي» نفسـها، دائرة ممتعة من العمل والدراسـة والترفيه كما كانت دائمًا. وفي مسـاء الجمعـة، كانت غرفـة المعيشـة الكبيرة الدافئـة مزدحمة بالـزوار وتـرددت بين المزاح والضحك اللامتناهي، بينما تبتسـم العمة جيمسـينا بشـكل سـاطع علـى الجميـع. كان «جوناس» من طـرف فيـل يأتي غالبًـا، يركض من سـانت كولومبيا فـي القطار الباكـر ويغـادر فـي وقت متأخـر. كان محط إعجـاب الجميع في «بيت باتي»، على الرغم من أن العمة جيمسـيناكانت تهز رأسـها وتعتبر أن طلاب اللاهوت لم يعدوا كما كانوا.

«إنـه لطيـف جـداً، عزيزتـي»، قالت لفيـل، «ولكن القساوسـة يجب أن يكونوا أكثر جدية وكرامة.»

«ألا يستطيع الرجل أن يضحك ويكون مسيحيًا أيضًا؟» سـألت فيل.

«أوه، الرجـال – نعـم. ولكنـي كنـت أتحـدث عـن القساوسـة، عزيزتـي»، قالـت العمـة جيمسـينا بتأنيـب. «ولا ينبغـي عليك أن تتغازلـي مـع السـيد بليـك بهذا الشـكل – حقـاً، يجـب ألا تفعلي ذلك.»

«أنا لا أغازله،» احتجت فيل.

لـم يصدقهـا أحـد، إلا آن. اعتقـد الآخـرون أنها كانت تسـلي نفسها كالعادة، وقالوا لها بشكل صريح إنها تتصرف بشكل سيء جدًا.

«السـيد بليك ليس من نوع أليك وألونزو، فيل،» قالت سـتيلا بجدية. «إنه يأخذ الأمور بجدية. قد تكسرين قلبه.»

«هل تعتقدين حقًا أنني قادرة على ذلك؟» سـألت فيل. «أحب أن أفكر هكذا.»

«فيليبـا غـوردون! لـم أكـن أظـن أنـك كنـتِ لا تمتلكيـن أدنـى إحساس. فكرة أنك تقولين أنك تحبين تكسير قلب رجل!»

«لـم أقل ذلك، عزيزتي. اقتبسـيني بشـكل صحيـح. قلت أنني أحـب أن أفكـر أننـي يمكننـي كسـره. أود أن أعلم أن لـدي القوة لفعل ذلك.»

«لا أفهمـك، فيـل. أنـت تضعين هـذا الرجل فـي موقف حرج بشكل متعمد – وأنتِ تعلمين أنك لا تعنين أي شيء بهذا.»

«أعنـي أن أجعلـه يسـألني للـزواج إذا كنت قـادرة على ذلك»، قالت فيل بسكوت.

«أستسلم لكِ»، قالت ستيلا بيأس.

جيلبـرت كان يأتـي أحيانًـا فـي مسـاء الجمعة. بـدا دائمًا في معنويـات جيـدة وكان لديـه حصـة من المـزاح والمـرح الذي كان يحلـق فـي الهـواء. لـم يسـعَ إلـى آن ولـم يتجنبها. عندمـا جرت الظـروف لتجلبهمـا فـي اتصال، تحـدث إليها بلطـف وأدب، كما يحـدث مـع أي معرفـة حديثة. كانـت الروح القديمـة قد اندثرت تمامًـا. شـعرت آن بذلـك بشـكل حـاد؛ ولكنها قالت لنفسـها إنها كانـت مسـرورة جدًا وممتنـة لأن جيلبرت قد تجاوز بشـكل كامل إحباطـه فيمـا يتعلق بها. كانت قد خشـيت حقًا، في تلك اللحظة في البسـتان في أبريل، أنها قد جرحته بشـكل فظيع وأن الجرح سيسـتمر طويـلاً فـي الشـفاء. الآن رأت أنها لم تكـن بحاجة إلى القلـق. رجـال توفـوا وأكلتهـم الديـدان ولكن ليس بسـبب الحب. يبدو أن جيلبرت لم يكن في خطر فوري من التحلل. كان يستمتع بالحيـاة، وكان مليئًـا بالطمـوح والحمـاس. بالنسـبة لـه، لا يوجد تضييع في اليأس بسـبب امرأة جميلة وباردة. وآن، وهي تسـتمع إلى الدعابة اللا تنتهي التي دارت بينه وبين فيل، تسـأل نفسـها

هـل كانـت قد تخيلت فقط تلك النظرة في عينيه عندما قالت له أنها لن تستطيع أبدًا أن تهتم به.

لـم يكـن هنـاك نقـص فـي الراغبيـن فـي الدخـول فـي مكان جيلبـرت بسـرور. ولكـن آن قامـت بصفعهـم بدون خـوف وبدون لـوم. إذا كان الأميـر السـاحر الحقيقـي لـم يـأتِ قـط، فلن تقبل بـأي بديـل. لذلك قالت لنفسـها بحزم في تلك اليوم الرمادي في الحديقة العاصفة.

فجـأة، جـاءت أمطـار نبوءة عمت جيمسـينا بصـوت وهبوب. رفعـت آن مظلتها وهرعت إلى أسـفل المنحـدر. وعندما توجهت إلـى طريـق المرفأ، هبت عاصفة شـديدة على طوله. في لحظة، انقلبت مظلتها إلى الداخل. أمسـكت آن بها بيأس. وبعد ذلك – جاء صوت قريب منها.

«عفوًا، هل يمكنني أن أقدم لك مأوى تحت مظلتي؟»

نظرت آن لأعلى. طويل ووسيم وذو مظهر متميز – عيون داكنة وحزينة وعميقة – صوت مليء بالمشـاعر والموسيقى والتعاطف – نعـم، البطـل الحقيقـي لأحلامهـا واقـف أمامهـا بالحقيقة. لم يكن يمكن أن يكون قريبًا أكثر من تماثيل أحلامها إذا كان قد تم صنعه حسب الطلب.

«شكرًا لك»، قالت بارتباك.

«مـن الأفضـل أن نسـرع نحـو تلـك الكشـكة الصغيـرة علـى الـرأس»، اقتـرح الغير معروف. «يمكننـا الانتظار هناك حتى تمر هذه الزخة. لا يمكن أن تمطر بشكل ثقيل لفترة طويلة.»

كانت الكلمات عادية جدًا، ولكن، أيها اللّه! اللهجة! والابتسامة التي رافقتها! شعرت آن بقلبها ينبض بشكل غريب.

ساروا معًا نحو الكشك وجلسوا بتنفسهم الثقيل تحت سقفه الودود. ضحكت آن بسعادة ورفعت مظلتها المكسورة.

«عندما تنقلب مظلتي إلى الداخل، أصبح مقتنعة بفساد الأشياء الغير حية»، قالت بسعادة.

لمعت قطرات المطر على شعرها اللامع؛ حلقت أشرطته المفتوحة حول رقبتها وجبينها. كانت خديها محمرة، وكانت عيناها كبيرة ولامعة. نظر رفيقها إليها بإعجاب. شعرت بنفسها تحمر تحت نظرته. من يمكن أن يكون؟ ها هو قطعة صغيرة من اللونين الأبيض والأحمر لريدموند معلقة على رزمة معطفه. لكنها كانت قد اعتقدت أنها تعرف، على الأقل بالنظر، جميع طلاب ريدموند باستثناء الطلاب الجدد. وهذا الشاب المؤدب بالتأكيد ليس طالبًا جديدًا.

«نحن زملاء في الدراسة، أرى ذلك»، قال مبتسمًا إلى ألوان آن. «يجب أن يكون هذا تقديما كافيًا. اسمي رويال جاردنر. وأنتِ الآنسة شيرلي التي قرأت ورقة تينيسون في الجلسة الفيلوماثيكية في المساء الآخر، أليس كذلك؟»

«نعم، ولكنني لا أستطيع التعرف عليك تمامًا»، قالت آن بصراحة. «من فضلك، إلى أين أنت تنتمي؟»

«أشعر وكأنني لا أنتمي إلى أي مكان حتى الآن. أكملت سنتي الأولى والثانية في ريدموند قبل عامين. ولقد كنت في أوروبا منذ ذلك الحين. الآن عدت لأكمل دراستي في الفنون.»

«هذه هي سنتي الثالثة أيضًا»، قالت آن.

«لذلك نحن زملاء في الدراسة بالإضافة إلى أننا زملاء جامعيين. أنا مسترجع لفقدان السنوات التي أكلها الجراد»، قال رفيقها، بمعنى عميق في تلك العيون الرائعة له.

استمرت الأمطار بالهطول بشكل مستمر لأفضل جزء من ساعة. ولكن الوقت بدا قصيرًا حقًا. عندما تفتحت السحب وسقطت شمس نوفمبر الفاتحة عبر المرفأ وأشجار الصنوبر، سارت آن ورفيقها معًا إلى المنزل. بحلول وصولهم إلى بوابة «باتيز بليس»، قد طلب إذن للاتصال وحصل على الموافقة. دخلت آن بوجنتين ملتهبتين وقلبها يدق حتى أطراف أصابعها. اقتحم «روستي»، الذي اعتلت حضنها وحاولت تقبيلها، ترحيبًا غائبًا تمامًا. كانت آن، مع روحها مليئة باللحظات الرومانسية، لا تستطيع توجيه انتباهها إلى قطة البسكويت في تلك اللحظة.

ترك في تلك الليلة طردًا في «باتيز بليس» للآنسة شيرلي. كانت عبارة عن صندوق يحتوي على اثني عشر وردة رائعة. انقضت فيل بشكل متطفل على البطاقة التي سقطت منه، قرأت الاسم والاقتباس الشعري المكتوب على الجهة الخلفية.

«رويال جاردنر!» صاحت. «يا لها من صدفة، آن، لم أكن أعلم أنكِ تعرفين روي جاردنر!»

«التقيت به في الحديقة هذا المساء في المطر،» أوضحت آن بسرعة. «مظلتي انقلبت إلى الداخل وجاء لإنقاذي بها.»

«أوه!» نظرت فيل بفضول إلى آن. «وهل هذا الحادث الشائع جدًا هو سبب كافٍ لأن يرسل لنا ورودًا بسيقان طويلة بالعشرات، مع قصيدة عاطفية جدًا؟ أو لماذا يجب أن نحمر بلون وردي روزي رائع عندما ننظر إلى بطاقته؟ آن، وجهك يخونك.»

«لا تتحدثي أحمق، فيل. هل تعرفين السيد جاردنر؟»

«لقد التقيت بشقيقتيه الاثنتين، وأعرفه. وكذلك الجميع الذين يستحقون شيئًا في كينجسبورت. عائلة جاردنر من بين أغنى وأرفع الأغنياء. روي جذاب وذكي بشكل لا يقاوم. قبل

عامين، تدهورت صحة والدته واضطر لترك الكلية والسفر إلى الخارج معها – والده متوفى. يجب أن يكون قد خيب آماله بشكل كبير لترك فصله، ولكن يقولون إنه كان جدًا لطيفًا بشأن ذلك. في... أفتش عن الرومانسية. تقريبًا أتغنى بك، ولكن ليس تمامًا. في النهاية، روي جاردنر ليس جوناس.»

«أنتِ غبية!» قالت آن بارتفاع. ولكنها بقيت مستيقظة لفترة طويلة تلك الليلة، ولم تتمنّى النوم. خيالاتها أثناء اليقظة كانت أكثر جاذبية من أي رؤية في عالم الأحلام. هل جاء الأمير الحقيقي أخيرًا؟ عندما تتذكر تلك العيون الساحرة والداكنة التي نظرت بعمق إلى عينيها، كانت آن مميلة إلى التفكير بشدة في ذلك.

الفصل السادس والعشرون
دخول كريستين

كانـت الفتيـات في منـزل باتي يتأهبـن للاسـتقبال الذي كان طلاب الصفوف الأدنى تقيمه للصفوف العليا في فبراير. نظرت آن إلـى نفسـها فـي مـرآة الغرفـة الزرقـاء بارتياح. كانـت ترتدي فستانًا جميلاً للغاية. في الأصل كان مجرد قطعة صغيرة بسيطة مـن الحريـر الكريمـي مـع غطاء من الشـيفون. لكـن فيل أصرت علـى أن تأخـذه معها في عطلة الكريسـماس وتطـرز زهور الورد الصغيـرة فـي جميع أنحـاء الشـيفون. كانت أصابع فيـل ماهرة، والنتيجة كانت فستانًا تحسدها عليه كل فتاة في ريدموند. حتى الي بون، التي كانت فساتينها تأتي من باريس، كانت تنظر بعيون الشـوق إلـى هـذا الخليـط الـوردي عندمـا كانـت آن تصعد على الدرج الرئيسي في ريدموند.

كانـت آن تجـرب تأثير الأوركيدالأبيض في شـعرها. فقد كان روي جاردنرأرسل إليها هذه، وكانت تعلم أنه لا توجد فتاة أخرى في ريدموند ستكون لديها منها تلك الليلة.

عندمـا دخلـت فيـل نظـرت إليهابإعجـاب وقالـت: «آن، هذه بالتأكيد ليلتك لتظهري بهذا جمال. تسـع ليالٍ من كل عشـر ليالٍ يمكننـي بسـهولة أن أتفـوق عليـك. وهـا أنت في الليلة العاشـرة،

تتفتحين فجأة إلى شيء يحجبني تمامًا. كيف فعلت ذلك؟»

«إنه الفستان، عزيزتي. تطريزه جميل.»

«ليس كذلك. في المساء الأخير الذي أشع فيه جمالك، ارتديتي قميص الفلانيل الأزرق القديم الذي صنعته لك السيدة ليند. إذا لم يكن روي قد فقد رأسه وقلبه بالفعل بسببك، لكان بالتأكيد سيفعل ذلك الليلة. ولكنني لا أحب زهور الأوركيد عليكِ، آن. لا؛ ليس غيرة منك. ولكن زهور الأوركيد لا تبدو متناسبة معك. إنها استوائية وجريئة. لا تضعيها في شعرك، على أي حال.»

«حسنًا، لن أفعل ذلك. أعترف أنني لست معجبة بالأوركيد أضا. لا أعتقد أنها ذات صلة بي. روي نادرًا ما يرسلها – إنه يعلم أنني أحب الزهور التي يمكنني العيش معها. الأوركيد هي ورود يمكنك زيارتها فقط.»

«أرسل لي جوناس بعض زهور وردية تلك الليلة – ولكنه لم يأت بنفسه. قال إنه يجب أن يقود اجتماعًا للصلاة في الأحياء الفقيرة! لا أعتقد أنه كان يرغب في الحضور. آن، أنا خائفة بشكل فظيع من أن جوناس لا يهتم حقًا بي. وأحاول أن أقرر ما إذا كنت سأستمر في شوقي حتى الموت، أم أنني سأستمر وأحصل على درجة البكالوريوس وأكون عاقلة ومفيدة.»

«لا يمكنكِ أن تكوني عاقلة ومفيدة على الإطلاق، فيل، لذا فمن الأفضل أن تشتاقي وتموتي»، قالت آن بوحشية.

«آن، ذات القلب القاسي!»

«فيل الساذجة! أنتِ تعلمين تمامًا أن جوناس يحبك.»

«ولكنه لا يخبرني بذلك. ولا يمكنني أن أجبره. إنه يظهر ذلك، أعترف. ولكن التحدث إلي بأعينك فقط ليس سببًا حقيقيًا

لتطريز المناديل وتداخل المفارش. لا أريد أن أبدأ في مثل هذا العمل حتى أكون مخطوبة حقًا. سيكون تحديًا للقدر.»

«السيد بلايك يخاف من أن يسألكِ أن تتزوجيه، فيل. إنه فقير ولا يمكنه أن يقدم لكِ منزلًا مثلما كان لديكِ دائمًا. تعلمين أن هذا هو السبب الوحيد الذي يمنعه من التحدث منذ زمن بعيد.»

«أعتقد ذلك»، أكدت فيل بحزن. «حسنًا»، وهي تشرق بالبهجة، «إذا لم يطلبني للزواج فسأفعل أنا، هذا كل شيء. لذا من المؤكد أن يأتي الأمر بالصواب. لن أقلق. بالمناسبة، جيلبرتبلايث يتجول باستمرار مع كريستين ستيوارت. هل تعلمين؟»

كانت آن تحاول ربط سلسلة ذهبية صغيرة حول عنقها. فجأة وجدت أن القفل يصعب التحكم فيه. ما الذي جمد أصابعها؟

«لا»، قالت بلا اكتراه. «من هي كريستين ستيوارت؟»

«أخت رونالد ستيوارت. هي في كينغسبورت هذا الشتاء لدراسة الموسيقى. لم أرها، ولكنهم يقولون إنها جميلة للغاية وأن جيلبرت معجب تمامًا بها. كم كنتِ غاضبة عندما رفضتِ جيلبرت، آن. لكن روي جاردنر كان مقدرًا لكِ. يمكنني رؤية ذلكَ الآن. كنتِ على حق، في النهاية.»

لم تحمر آن، كما كانت تفعل عادةً عندما يفترض الفتيات أن زواجها المحتمل من روي جاردنر أمر جيد. فجأة شعرت بأنها أكثر بساطة. كان حديث فيل تافهًا والاستقبال مملًا. صفعت أذني راستي المسكينة.

«ارحلي عن تلك الوسادة فورًا، يا قطة! لماذا لا تبقين في المكان الذي تنتمين إليه؟»

أخذت آن أوركيداتها ونزلت إلى الطابق السفلي، حيث كانت

عمتها جيمسينا ترأس صفًا من المعاطف المعلقة أمام النار لتدفئتها. كان روي جاردنر في انتظار آن ويُعبِّر عن استهزاء تجاه القطة سارة بينما ينتظر. لم ترغب فيه القطة. دائمًا ما تدير ظهرها له. لكن الجميع في منزل باتي يحبونه كثيرًا. كانت العمة جيمسينا، مذهولة بلطفه الدائم واحترامه المستمر، وبنبرة صوته اللطيفة، تعلن أنه كان أجمل شاب تعرفت عليه على الإطلاق، وأن آن كانت فتاة محظوظة جدًا. كلما قيل مثل هذه التعليقات، كانت آن تشعر بعدم الراحة. كانت خطبة روي بالتأكيد رومانسية بما يكفي لقلب فتاة، لكن – كانت تتمنى من العمة جيمسينا والفتيات عدم افتراض الأمور بهذه الطريقة. عندما همس روي بإطراء شاعري أثناء مساعدتها في ارتداء معطفها، لم تحمر كما هو المعتاد. بل بقيت صامتة إلى حد ما خلال السير إلى ريدموند. اعتقد أنها بدت شاحبة قليلاً عندما خرجت من غرفة تغيير الفتيات، ولكن عندما دخلا غرفة الاستقبال، عاد إليها اللون واللمعان فجأة. التفتت إلى روي بأسعد تعبير لديها. ابتسم لها بما تسميه فيل «ابتسامته العميقة والمخملية». ومع ذلك، لم تكن ترى روي على الإطلاق. كانت تدرك تمامًا أن جيلبرت كان يقف تحت النخيل في الزاوية البعيدة من الغرفة يتحدث إلى فتاة يجب أن تكون كريستين ستيوارت. كانت جميلة للغاية، بأسلوب رفيع متجه نحو أن يصبح فخما إلى حد ما في منتصف العمر. إنها فتاة طويلة، بعيون كبيرة زرقاء داكنة، وبشرة عاجية، وقد لمع شعرها الناعمفي الظلام.

«فكرت آن بحسرة: «تبدو تمامًا كما أردت دائمًا أن أكون.» بشرة وردية كالزهور، وعيون بلون البنفسج اللامع، وشعر غني باللون الأسود... نعم، لديها كل هذا. لا يمكن أن يكون اسمها

كورديليافيتزجيرالد إضافةً إلى ذلك! ولكنني لا أعتقد أن قوامها يتفوق على قوامي، وأنفها بالتأكيد ليس كذلك.»

شعرت آن ببعض الارتياح بهذا الاستنتاج.

الفصل السابع والعشرون
الثقة المتبادلة

جـاء شـهر مـارس في ذلـك الشـتاء كألطف الحمـلان، يحمل أيامًا كانت لطيفة ومنعشـة، تخللتها سـويعات شفق وردي جليدي يتدرج حتى يختفي في الضوء القمر الساحر.

كانت ظلال امتحانات إبريل تتسـاقط على الفتيات في منزل باتي. كن يدرسـن بجد، حتى فيل اسـتقرت على الدراسة بعزم لا يمكن توقعه منها.

«سـأقدم فـي منحـة جونسـون فـي الرياضيـات»، أعلنت فيل بسـكون. «يمكننـي أن أحصـل على منحـة في اليونانية بسـهولة، ولكننـي أفضـل أن أختـار الرياضيـات لأثبت لجونـاس أنني ذكية حقًا بشكل هائل.»

«يحبـك جونـاس من أجـل عيونك البنيـة الكبيرة وابتسـامتك أكثـر مـن كل عقلك التي تحملينه تحت خصلات شـعرك»، قالت آن.

«عندمـا كنـت فتـاة، لـم يكـن مـن المعتـاد أن يُعتبـر العلـم بالرياضيات شـيئًا لائقًا للسـيدات»، قالت العمة جيمسينا. «لكن الأوقات تغيرت. لا أعرف ما إذا كانت كلها للأفضل. هل تعرفين الطهي، فيل؟»

«لا، لم أطه أبدًا شيئًا في حياتي سوى خبز الزنجبيل وكانت تجربة فاشلة –فقد جاء مسطحا في الوسط ومقبب حول الحواف. أتعرفين كيف. ولكن، عمتي، عندما أبدأ بجدية في تعلم الرياضيات، ألا تعتقدين أن العقل الذي سيمكنني من الفوز بمنحة رياضية سيمكنني أيضًا من تعلم الطهي بشكل جيد؟»

«ربما»، قالت العمة جيمسينا بحذر. «أنا لا أنكر التعليم العالي للنساء. ابنتي حاصلة على درجة الماجستير، وهي تعرف أيضًا كيف تطهو. ولكنني علمتها الطهي قبل أن يعلمها أحد أساتذة الجامعة الرياضيات.»

في منتصف شهر مارس، وصلت رسالة من السيدة باتي سبوفورد، تقول إنها والسيدة ماريا قررتا البقاء في الخارج لعام إضافي. «لذا قد تحصلن على منزل باتي للشتاء المقبل أيضًا»، كتبت. «ماريا وأنا سنذهب لجولة في مصر. أرغب في رؤية الأهرامات قبل أن أموت.»

«تخيلن هاتين السيدتين «تجوبان مصر»! أتساءل إذا كانتا ستنظران إلى الهرم وهما تحوكان،» ضحكت بريسيلا.

«أنا سعيدة جدًا لأنه يمكننا الاحتفاظ بمكان باتي لمدة عام آخر»، قالت ستيلا. «كنت خائفة من عودتهما. وبعد ذلك سيتم تفكيك عشنا الجميل هنا – وسيتم طرحنا، المسكينات الصغيرات، في عالم قاس من المباني مرة أخرى.»

«أنا ذاهبة لنزهة في الحديقة»، أعلنت فيل، ملقية كتابها جانبًا. «أعتقد أنني سأكون سعيدة عندما أكون في الثمانين لأنني ذهبت للتنزه في الحديقة الليلة.»

«ماذا تعني؟» سألت آن.

«تعالي معي وسأخبرك، يا حبيبتي.»

استولتا في جولتهما على جميع أسرار وسحر مساء مارس. كانت الأجواء هادئة ولطيفة للغاية، ملفوفة في صمت أبيض هائل ومستمر -تتخللهالعديد من الأصوات الفضية الصغيرة التي يمكنك سماعها إذا كنت تصغي بروحك بقدر ما تصغي بأذنيك. جابت الفتاتان ممرًا طويلًا من أشجار الصنوبر يبدو وكأنه يقود مباشرة إلى قلب غروب شتوي عميق ومتدفق باللون الأحمر.

«سأعود إلى المنزل وأكتب قصيدة عن هذه اللحظة المباركة إذا كنت أعرف فقط كيف»، أعلنت فيل، وقفت في فتحة حيث كان الضوء الوردي يلون أطراف الصنوبر الخضراء. «إنها كلها رائعة هنا – هذا الهدوء الأبيض الكبير، وتلك الأشجار الداكنة التي تبدو دائمًا وكأنها تفكر.»

«كانت الغابة أول معابد الله»، قالت آن بهدوء. «لا يمكن أن يمنع الإنسان نفسه من الشعور بالتقديس والتعظيم في مثل هذا المكان. أشعر دائمًا بالقرب منه عندما أتجول بين أشجار الصنوبر.»

«آن، أنا أسعد فتاة في العالم،» اعترفت فيل فجأة.

«إذاً، سألك السيد بليك أخيرًا أن تتزوجي به؟» قالت آن بهدوء.

«نعم، وسعلت ثلاث مرات بينما كان يسألني. أليس ذلك مروعًا؟ ولكنني قلت «نعم» تقريبًا قبل أن ينتهي – كنت خائفة جدًا من أن يتراجع ويتوقف. أنا سعيدة بجنون، لم أستطع أن أصدق من قبل أن جوناس سيهتم بي، أنا الفتاة الساذجة.»

«فيل، أنتِ لستِ ساذجة حقًا»، قالت آن بجدية. «في أعماقك، وراء هذا السطح الساذج لديكِ روح غالية ووفية وأنثوية. لماذا

تخفينها؟»

«لا أستطيع، ملكة آن. أنتِ على حق - لستُ ساذجة في الأعماق. ولكن هناك نوع من السطح الساذج يغطي روحي ولا أستطيع أن أتخلص منه. كما تقول السيدة بويسر، يجب أن أُفرَخ من جديد وبشكل مختلف قبل أن أتمكن من تغييره. ولكن جوناس يعرفني حقيقة ويحبني، بكل سذاجتي. وأنا أحبه. لم أكن أتوقع في حياتي أن أكون متفاجئة بهذا القدر عندما اكتشفت أنني أحبه. لم أكن أعتقد أبدًا أنه من الممكن أن أقع في حب رجل قبيح. تخيلي أنني أنخرط في علاقة مع حبيب واحد فقط. ويدعى جوناس! ولكنني أعتزم أن أسميه جو. إنه اسم لطيف وصغير وواضح. لا يمكنني إلقاء اسم ألونزو.»

«ماذا عن أليك وألونزو؟»

«أوه، قلت لهم في عيد الميلاد أنني لن أستطيع أبدًا أن أتزوج أي منهما. يبدو الأمر مضحكًا الآن عندما أتذكر أنني أعتقدت أن ذلك كان ممكنًا. شعرا بسوء إلى درجة أنني بكيت عليهما - صرخت. ولكني كنت أعلم أن هناك رجلًا واحدًا فقط في العالم يمكنني أن أتزوجه. لقد قررت بنفسي لمرة واحدة وكان الأمر سهلًا أيضًا. إنه من دواعي السرور الشعور بالثقة هكذا، وأن تعرف أنه اختيارك الخاص وليست لشخص آخر.»

«هل تعتقدين أنكِ ستكونين قادرة على الاستمرار في ذلك؟»

«في اتخاذ قراري، تعنين؟ لا أعلم، ولكن جو أعطاني قاعدة رائعة. يقول، عندما أكون في حيرة، فقط افعل ما أود أن أكون قد فعلته عندما أكون في الثمانين. على أي حال، جو يمكنه اتخاذ قراره بسرعة كافية، وسيكون من غير المريح أن يكون هناك الكثير من العقل في نفس المنزل.»

«ماذا سيقول والداك؟»

«لـن يقـول والـدي الكثير. إنـه يعتقد أن كل مـا أفعله صحيح. ولكن أمي سـتتحدث بالتأكيد. أوه، لسـانها سـيكون بنفس القدر كما يكون أنفها. ولكن في النهاية، سيكون كل شيء على ما يرام.»

«سـيتعين عليـكِ التخلـي عـن الكثيـر مـن الأشـياء التـي كنتِ تمتلكينها دائمًا عندما تتزوجين السيد بليك، فيل.»

«ولكن سـأكون معه. لن أفوت الأشـياء الأخرى. سـنتزوج بعد عـام مـن يونيـو القادم. جو سـيتخرج من جامعة سـانت كولومبيا هذا الربيع، أتعلمين؟ ثم سيذهب لتولي كنيسة صغيرة في شارع باترسـون في أحيـاء الفقر. تخيليني في الأحيـاء الفقيرة! لكنني سأذهب إلى هناك أو إلى جبال البراري الخضراء الجليدية معه.»

«وهـذه الفتـاة التـي كانت تقول أبـدًا لن تتزوج مـن رجل ليس ثريًا»، قالت آن لشجرة صغيرة من أشجار الصنوبر.

«أوه، لا تذكرينيبأخطـاء شـبابي. سـأكون فقيـرة بسـعادة كما كنت غنية. سـترين. سـأتعلم كيفية الطهي وترقيع الفساتين. لقد تعلمت كيفية التسـوق منذ أن عشـت في منزل باتي، وفي يوم من الأيام عملت في مدرسة الأحد لفصل دراسي صيفي كامل. تقول العمة جيمسـينا إنني سـأدمر مسـتقبل جو إذا تزوجته. لكنني لن أفعل ذلك. أعلم أن لدي قليل من الحكمة أو الجدية، لكن لدي ما هـو أفضـل بكثير – قدرة جيدة على جعل الناس يحبونني. هناك رجل في بولينجبروك يستمر في النصح ويقول دائمًا في اجتماع الصلاة. يقول: «إذا لم تسـتطع التألق كالنجمة الكهربائية، فتألق كشمعة.» سأكون شمعة جو الصغيرة.»

«فيـل، أنـتِ لا تصلحين. حسـنًا، أنا أحبـكِ كثيرًا حتى أنني لا أسـتطيع أن أقدم خطبًا لطيفـا وخفيفا للتهنئة. ولكن قلبي يفرح

بسعادتك.»

«أعلم. هذان العينان الرماديتان الكبيرتان لديكِ مليئتان بالصداقة الحقيقية، آن. يوم ما سأنظر بنفس الطريقة إليكِ. ستتزوجين روي، أليس كذلك، آن؟»

«عزيزتي فيليبا، هل سمعتِ يومًا عن الشهيرة بيتي باكستر، التي «رفضت رجلاً قبل أن يسألها؟» لن أقلدها تلك السيدة الشهيرة برفض أو قبول أي شخص قبل أن يطلب مني.»

«يعرف الجميع في ريدموند أن روي مولينكس مهووس بك»، قال فيل بصراحة. «وأنتِ تحبينه، أليس كذلك، آن؟»

«أظن ذلك»، قالت آن بتردد. شعرت بأنها يجب أن يحمر وجهها أثناء إدلاء مثل هذا الاعتراف، ولكنها لم تفعل ذلك. من ناحية أخرى، كانت تحمر دائمًا بشدة عندما يقول أي شخص شيئًا عن جيلبرت بليث أو كريستين ستيوارت أمامها. إنهما ليسا شيئًا بالنسبة لها – لا شيء على الإطلاق. ولكن آن قد تخلت عن محاولة تحليل سبب حمرة وجنتيها. أما بالنسبة لروي، بالطبع كانت في حالة حب مجنونة به. كيف يمكنها أن تمنع نفسها من ذلك؟ أليس هو رجلها المثالي؟ من يمكن أن يقاوم تلك العيون الداكنة الرائعة وذلك الصوت المتوسل؟ ألم تكن نصف فتيات ريدموند غاية في الغيرة؟ وما أروع الشعر الذي أرسله إليها، مع باقة من البنفسج في عيد ميلادها! كانت آن تحفظ كل كلمة منه عن ظهر قلب. لم يكن شعرا جيدًا من نفس مستوى كيتس أو شكسبير – حتى آن لم تكن عاشقة بما فيه الكفاية لتعتقد ذلك. ولكنه كان شعرًا مقبولاً جدًا في المجلات. وكان موجهًا إليها – ليس إلى لورا أو بياتريس أو عذراء أثينا، ولكن لها، لآن شيرلي. أن يقال لها بإيقاع موسيقي أن عينيها هي نجوم الصباح، وأن

خدها لديه الحمرة التي سرقها من شروق الشمس، وأن شفتيها أحمر من ورود الجنة، كان أمرًا رومانسيًا يثير الحماس. لن يكون جيلبرت قد حلم بكتابة شعر عن حاجبيها. ولكن جيلبرت كان يمكنه فهم المزاح. كانت قد سردت لروي قصة مضحكة مرة – ولم يفهمها. فتذكرت ضحكتها المرحة مع جيلبرت حول ذلك، وتساءلت بقلق عما إذا كانت الحياة مع رجل ليس لديه حاسة فكاهة قد تكون غير مثيرة إلى حد ما على المدى الطويل. ولكن من يمكن أن يتوقع من بطل مأساوي غامض أن يرى الجانب الفكاهي في الأمور؟ سيكون ذلك غير معقول تمامًا.

الفصل الثامن والعشرون
أحد مساءات يونيو

«أتساءل كيف سيكون شعور العيش في عالم كل شهوره يونيو؟»، قالت آن وهي تمر عبر رائحة التوابل وجمال البساتين المتوهجة تجاه الدرج الأمامي، حيث كانت ماريلا والسيدة راشيل تجلسان للتحدث حول جنازة السيدة سامسون كوتس، التي حضراها ذلك اليوم. كانت دورا تجلس بينهما، تدرس دروسها بجدية، ولكن ديفي كان جالسا على العشب وقد بدا معكر المزاج ومكتئبا.

«ستملّين من ذلك»، قالت ماريلامتنهدة.

«ربما، ولكن في هذه اللحظة أشعر أنه سيستغرق وقتًا طويلاً لكي أتعب منه، إذا كان كل شيء سيكون جميلاً كما هو الحال اليوم. كل شيء جميل في يونيو. يا ديفي، لماذا هذا الوجه البائس في وقت ازدهار الزهور؟»

«أشعر بالملل والضجر من الحياة»، قال الشاب المتشائم.

«عند عمر عشر سنوات؟ يا لهمن أمر محزن!»

«أنا لا أسخر»، قال ديفي بكرامة. «أنا محبط» وقد نطق بهذه الكلمة الكبيرة بجهد جبار.

«لماذا وكيف؟»، سألت آن، جالسة بجواره.

«لأن المعلمة الجديدة التي جاءت عندما مرض السيد هولمز أعطتني عشر مسائل لأقوم بها حتى يوم الاثنين. سيأخذ مني ذلك كل يوم غد لأقوم بها. ليس من العدل أن يكون عليّ العمل في أيام السبت. قال ميلتيبولتر إنه لن يقوم بها، لكن ماريلا قالت إن عليّ أن أفعل. أنا لا أحب الآنسة كارسون على الإطلاق.»

«لا تتحدث بهذا الشكل عن معلمتك، ديفي كيث»، قالت السيدة راشيل بشدة. «الآنسة كارسون فتاة رائعة جدًا. ليس هناك مجال للسخرية فيما يتعلق بها.»

«هذا لا يبدو جذابًا على الإطلاق،» ضحكت آن. «أحب أن يكون للناس قليلاً من التمرد. ولكنني مائلة إلى أن أكون لدي رأي أفضل عن الآنسة كارسون مما عندك. رأيتها في اجتماع الصلاة الليلة الماضية، ولديها زوج من العيون التي لا يمكن أن تبدو دائمًا عاقلة. الآن، ديفي، اطمئن. «غدًا سيأتي يوم آخر» وسأساعدك في العمليات الحسابية إلى أقصى حد في استطاعتي. لا تضيع هذه الساعة الجميلة بين النور والظلام في القلق بشأن الحسابات.»

«حسنًا، لن أفعل ذلك»، قال ديفي، متفائلًا. «إذا ساعدتني في العمليات الحسابية، سأقوم بها في الوقت المناسب للذهاب للصيد مع ميلتي. كنت أتمنى أن تكون جنازة العمة أتوسا غدًا بدلاً من اليوم. أردت الذهاب إليها لأن ميلتي قال إن والدته قالت إن العمة أتوسا ستكون بالتأكيد على وشك النهوض من تابوتها وقول أشياء ساخرة للناس الذين يأتون لرؤيتها مدفونة. ولكن ماريلا قالت إنها لم تكن كذلك.»

«رقدت الفقيدة أتوسا في تابوتها بسلام بما يكفي»، قالت السيدة ليند بجديّة. «لم أرَها تبدو بهذا السرور من قبل، هذا ما

أقوله. حسـنًا، لم يكن هناك الكثير من الدموع المسـكوبة عليها، المسـكينة لقد كانوا راضينلأنهم تخلصوا منها، ولا أسـتطيع أن أقول إني ألومهم قليلاً.»

«يبـدو لـي أنه أمر فظيع أن تخـرج من العالم ولا تترك وراءك إنسانًا واحدًا يشعر بأسف لفقدانك»، قالت آن بقشعريرة.

«لا أحد، إلا والديها، أحب المسكينة أتوسا، هذا مؤكد، حتى زوجها لم يحبها»، أكدت السيدة ليند. «كانت زوجته الرابعة. كان قد تعود إلى الزواج. لم يعش سوى بضع سنوات بعد أن تزوجها. قال الطبيب إنه توفي بسـبب سـوء الهضم، ولكنني سأظل أعتقد أنه توفي بسـبب لسـان أتوسـا، هذا مـا أقوله. المسـكينة، كانت تعـرف دائمًـا كل شـيء عن جيرانهـا، ولكنها لم تكـن على معرفة جيـدة جـدًا بنفسـها. حسـنًا، ذهبت علـى أي حـال. وأفترض أن الحدث التالي سيكون حفل زفاف ديانا.»

«يبـدو غريبًـا ورهيبًا أن نفكر في أن ديانا سـتتزوج»، أنَّت آن، وهي تحتضن ركبتيها وتنظر من خلال الفجوة في الغابة المخيفة نحو الضوء الذي يضيء في غرفة ديانا.

«لا أرى ما هو المريع في الأمر، إنها تبدو بخير هكذا،» قالت السـيدة ليند بحماس. «فريد رايت لديه مزرعة رائعة وهو شـاب نموذجي.»

«بالطبـع ليـس الشـاب الجامـح والشـرير الـذي أرادت ديانـا الزواج منه في السابق»، ابتسمت آن. «فريد جيد للغاية.»

«بالطبـع، هـذا مـا يجـب أن يكون. هـل ترغبين فـي أن تتزوج ديانا رجلاً شريرًا؟ أو أن تتزوجي واحدًا؟»

«أوه، لا. لا أرغـب فـي الـزواج مـن أي شـخص شـرير، ولكـن أعتقد أنني أحبذه إذا كان يمكنه أن يكون شـريرًا ولكنه لا يريد.

الآن، فريد جيد للغاية.»

«سوف تكون لديكِ حكمة أكثر في يوم من الأيام، أتمنى ذلك»، قالت ماريلابشيء من المرارة. كانت محبطة بشدة. فقدكانت تعلم أن آن قد رفضت جيلبرت بليث. كانت النميمة أفونلي تدور حول هذه الحقيقة، التي تسربت، ولم يعرف أحد كيف. ربما قد خمن تشارلي سلون وأخبر بتخميناته على أنها حقيقة. ربما قد كشفت ديانا لفريد، وقد كان فريد غير حذر. على أي حال، كانت معروفة. لم تعد السيدة بليث تسأل آن، في العلن أو الخفاء، إذا كانت قد سمعت مؤخرًا عن جيلبرت، ولكنها باتت تتجاوزها ببرود. وكانت آن، التي أحبت دائمًا والدة جيلبرت البهيجة وشابة القلب، حزينة بسرية على هذا. وماريلا لم تقل شيئًا، ولكن السيدة لينـد ألقت العديد من الطعنات المزعجة على آن حول هذا، حتى وصلت إليها شائعات جديدة من خلال وسيط والد مودي سبورجنماكفيرسون، أن آن لديها «خطيبًا» آخر في الكلية، وهو ثري ووسيم وجيد في كل شيء. بعد ذلك، أغلقت السيدة راشيل فمها، على الرغم من أنها لا تزال تتمنى في أعماق قلبها أن تكون آن قد قبلت جيلبرت. الثروة كانت جيدة ، ولكن حتى السيدة راشيل، الروح العملية كما كانت، لم تعتبرها الأمر الأساسي. إذا كانت آن «تحب» غير المعروف الوسيم أكثر من جيلبرت، لم يعد هناك شيء يمكن قوله؛ لكن السيدة راشيل كانت خائفة بشدة من أن ترتكب آن خطأ الزواج من أجل المال. أما ماريلاالتي عرفت آن جيدًا جدًا فلم تخش ذلك؛ لكنها شعرت أن شيئًا في المخطط العام للأمور ذهب في اتجاه غير سار. «ما هو كائن، سيكون»، قالت السيدة راشيل بكآبة، «وما لا يكون يحدث في بعض الأحيان. لا يمكنني إلا أن أعتقد أنه سيحدث

في حالة آن، إذا لم يتدخل القدر، هذا ما أقوله.» أومأت السيدة راشيل. وكانت خائفة من أن يتدخل القدر، ولم تجرؤ على قول ذلك.

مضت آن إلى نبع الجنيات واستقرت بين الشيح وجذور البتول البيضاء الكبيرة حيث جلست مع جيلبرت في الصيف الذي مضى. كان قد دخل مقر الصحيفة مرة أخرى عند إغلاق الكلية، وكانت أفونلي تبدو مملة جدًا بدونه. لم يكتب لها أبدًا، وآن فاتتها الرسائل التي لم تصل. بالطبع، كتب روي مرتين في الأسبوع. كانت رسائله رائعة يمكن قراءتها بسهولة في سيرة ذاتية . شعرت آن بأنها أكثر عمقًا في حبه من أي وقت مضى عندما قرأتها، ولكن قلبها لم يعط القفزة الغريبة والسريعة والمؤلمة عند رؤية رسائله كما كان يحدث في يوم ما عندما قدمت لها السيدة هايرام سلون مظروفًا يحمل خط جيلبرت بخط يده الأسود والمستقيم. أسرعت آن إلى المنزل إلى الباب الشرقي وفتحتها بشغف، لتجد نسخة طبق الأصل لتقرير من إحدى الجمعيات الطلابية: «فقط ذلك ولا شيء آخر.» رمت آن النص البريء عبر غرفتها وجلست لتكتب رسالة جميلة خاصة لروي.

كانت ديانا ستتزوج خلال خمسة أيام أخرى. وكان المنزل الرمادي في أورشارد سلوب في حالة من الفوضى بالخبز والتخمير والغلي والطهي، حيث كان هناك حفل زفاف كبير على الطراز القديم. طبعًا، آن ستكون إشبينة العروس، كما قد تم الترتيب لذلك عندما كانا في سن الإثني عشرة عامًا، وكان جيلبرت قادمًا من كينجسبورت ليكون الإشبين. كانت آن تستمتع بإثارة التحضيرات المختلفة، ولكن تحت كل هذا حملت قليلاً

من الألم. كانت، بنوع من الأحوال، تفقد صديقتها العزيزة؛ منزل ديانا الجديد سيكون على بعد ميلين من البراري الخضراء، ولن تحظيا بالرفقة المستمرة القديمة مرة أخرى. نظرت آن إلى ضوء ديانا وفكرت كيف كان باديا لها لسنوات عديدة، ولكن قريبًا لن يشع في تلك الأمسيات الصيفية بعد الآن. سقطت دمعتان كبيرتان ومؤلمتان من عينيها الرماديتين.

«آه»، فكرت، «كم هو فظيع أن يكبر الناس ويتزوجون ويتغيرون!»

الفصل التاسع والعشرون
زفاف ديانا

«فـي النهاية، الـورود الحقيقية هي الورود وردية اللون فقط»، قالت آن وهي تربط الشريط الأبيض حول باقة ديانا في القاعة التي تطل نحو غرب أورشارد سلوب. «إنها زهور الحب والإيمان.»

كانـت ديانـا تقف متوترة في منتصف الغرفة، متزينة بفسـتان زفافها الأبيض، وشـعرها الأسـود تكسـوه الطرحة التي كانت آن قد زينتها وفق الاتفاق الشاعري المتفق عليه بينهما منذ سنوات.

«إنهـا تقريبًـا كمـا كنت أتخيلهـا منذ زمن بعيـد، عندما بكيت علـى زواجـك الحتمـي وانفصالنـا الناتج عنـه»، ضحكـت. «أنتِ عروس أحلامي، ديانا، بطرحتك الرقيقة والجميلة؛ وأنا إشـبينةَ العروس. ولكن، للأسف! ليس لدي الأكمام المنتفخة، ورغم ذلك، هذه الأكمام القصيرة من الدانتيل تعتبر أجمل.»

«لـن ننفصـل، آن»، احتجـت ديانـا. «لن أذهب بعيدًا. سـنحب بعضنـا البعـض بنفـس القـدر كمـا كنا دائمًـا. لقـد حافظنا على «القسـم» الـذي أقسـمناه لبعضنا البعض منذ زمـن طويل، أليس كذلك؟»

«نعـم، لقـد حافظنا عليه بإخـلاص. لقد كانـت لدينا صداقة جميلة، ديانا. لم نخربها بنزاع أو برود أو كلمة غير لطيفة، وآمل

أن تظل دائمًا كذلك. ولكن الأمور لا يمكن أن تكون كما هي بالضبط بعد الآن. ستكون لديك اهتمامات أخرى. وسأكون خارجها. ولكن «هكذا هي الحياة» كما تقول السيدة راشيل. وبالمناسبة لقد أهدتكإحدى البطانيات المحببة إليها بنمط «خط التبغ»، وتقول إنه عندما أتزوج ستهديني واحدة أيضًا.»

«الشيء الذي يجعلني أحزن هو أنني لن أتمكن من أن أكون اشبينة العروس في زواجك»، ندبت ديانا حظها.

«أنا سأكون إشبينة فيل الشهر القادم، عندما تتزوج من السيد بلايك، وبعد ذلك يجب أن أتوقف، لأنك تعلمين المثل «كوني إشبينة لثلاث مرات ولن تصبحي عروسًا أبدًا»،» قالت آن، وهي تطل من خلال النافذة على الورود البيضاء والزهورالزاهيةفي الأسفل عند البستان. «ها هو القس ياديانا.»

«آه، آن»، انقطع نفس ديانا وتحولت فجأة إلى الشحوب وبدأت في الرجفة. «آه، آن، أنا متوترة جدا، لا يمكنني أن أتحملآن، أعلم أنني سيغمى علي.»

«إذا قمتِ بذلك، سأسحبكِ إلى بركة مياه الأمطار وألقيكِ فيها»، قالت آن بعدم تعاطف. «ارفعي معنوياتك. الزواج لا يمكن أن يكون أمرًا رهيبًا هكذا. انظري كم أنا هادئة تشجّعي.»

«انتظري حتى يأتي دورك، آنسة آن. آه، آن، أسمع أبي قادمًا إلى الطابق العلوي. أعطني باقتي. هل طرحتي صحيحة؟ هل أنا شاحبة جدًا؟»

«تبدين رائعة. دي، عزيزتي، قبليني لآخر مرة. ديانا باري لن تقبلني مرة أخرى.»

«ديانا رايت ستفعل، إلا أنها. هنا، الأم تنادي. هيا.»

وفقًا للطريقة البسيطة والقديمة المعتمدة في ذلك الوقت،

ذهبت آن إلى الصالون متأبطة ذراع جيلبرت. التقته في أعلى السلالم لأول مرة منذ مغادرتهم كينغسبورت، حيث وصل جيلبرت في نفس اليوم. صافحها بشكل مؤدب. كان يبدو بحالة جيدة للغاية، على الرغم من أنآن لاحظت فورًا أنه نحيف إلى حد ما. لم يكن شاحبًا؛ كان هناكحمرة على خده احترقت عندما دخلت آن عبر القاعة نحوه، في فستانها الأبيض الناعم مع زنابق الوادي في تلك الكتل المشعة من شعرها. عندما دخلا الصالون المزدحم معًا، جرى همس صغير من الإعجاب في الغرفة. «ما أجمل هذا الثنائي»، همست السيدة راشيل، العاطفية، لماريلا.

دخل فريد بمفرده، بوجه أحمر، ثم دخلت ديانا ممسكة ذراع والدها. لم يغم عليها، ولم يحدث أي شيء غير ملائم ليقاطع الحفل. تبع ذلك الاحتفال والمرح؛ ثم، عندما حل المساء، غادر فريد وديانا عبر ضوء القمر إلى منزلهما الجديد، وسار جيلبرت مع آن إلى البراري الخضراء.

عادت بعض من رفقتهم القديمة خلال البهجة غير الرسمية لتلك الليلة. آه، كان من الجميل المشي على تلك الطريق مع جيلبرت مرة أخرى!

كانت الليلة هادئة جداً حتى ينبغي أن يكون بإمكان الإنسان سماع همس الورود المزهرة، وضحك البابونج، وصوت النباتات، كل هذه الأصوات الحلوة، متشابكة معًا. وجمال ضوء القمر على الحقول المألوفة أشرق على العالم.

«هل يمكننا أن نتجول في ممر العشاق قبل أن ندخل؟» سألها جيلبرت بينما كانا يعبران الجسر فوق بحيرة المياه المتلألئة، حيث كان القمر يمتد كزهرة ذهبية كبيرة.

وافقت آن بسرور. ممر العشاق كان ممرًا حقيقيًا في عالم الخيال تلك الليلة – مكان لامع وغامض، مليء بالسحر في سحر الضوء الفضي. كان هناك وقت كان فيه مثل هذا المشي مع جيلبرت عبر طريق العشاق خطيرًا للغاية. لكن روي وكريستين قد جعلاه آمنا الآن. وجدت آن نفسها تفكر كثيرًا في كريستين بينما كانت تتحدث بخفة مع جيلبرت. لقد التقت بها عدة مرات قبل مغادرتها كينغسبورت، وكانت لطيفة بشكل رائع معها. كريستين كانت أيضًا لطيفة أيضا. في الواقع، كانا زوجًا ودودًا للغاية. ومع ذلك، لم تنضج معرفتها بها إلى صداقة. يبدو أن كريستين ليست روحًا شبيهة.

«هل ستكونين في أفونلي طوال الصيف؟» سأل جيلبرت.

«لا. سأنزل شرقًا إلى طريق الوادي الأسبوع المقبل. إستر هايثورن ترغب في أن أدرس مكانها خلال يوليو وأغسطس. لديهم فصل صيفي في تلك المدرسة، وإستر لا تشعر بالتحسن. لذا سأكون بديلة عنها. ومن جهتي لم أمانع. هل تعلم؟ بدأت أشعر قليلاً بأنني أصبحت غريبة في أفونلي الآن؟ يجعلني ذلك حزينة، لكنها حقيقة. من المرعب تمامًا رؤية عدد الأطفال الذين نشؤوا وأصبحوا شبانًا وفتياتًا حقيقيينخلال السنتين الماضيتين. نصف تلاميذي كبروا. تجعلني رؤيتهم في المواقع التي اعتدنا عليها، أنا وأنتِ وزملاؤناأشعر بالشيخوخة بشكل مريب.»

ضحكت آن وتنهدت. شعرت بأنها كبيرة وناضجة وحكيمة جدًا – وهو ما يظهر مدى شبابها. قالت لنفسها إنها تشتاق كثيرًا للعودة إلى تلك الأيام الجميلة المرحة عندما كانت ترى الحياة من خلال ضباب وردي من الأمل والوهم، وتمتلك شيئًا لا يمكن تحديده تمر به إلى الأبد. أين هو الآن – المجد والحلم؟

«هكذا تتجول العالم بعيداً»، قالجيلبرتوقد شرد قليلاً. تساءلت آن إذا كان يفكر في كريستين. آه، أفونلي ستكون موحشة الآن، برحيل ديانا!

الفصل الثلاثون

رومانسية السيدة سكينر

نزلت آن من القطار في محطة فالي رود ونظرت حولها لترى إذا كان أحد قد جاء لاستقبالها. كان من المفترض أن تعيش مع الآنسة جانيت سويت، ولكنها لم تر أي شخص يتناسب حتى بشكل بسيط مع تصوّرها المسبق عن هذه السيدة، كما هو وارد في رسالة إيستر. الشخص الوحيد الذي كان في الأفق هو امرأة كبيرة في السن، جالسة في عربة محملة بحقائب البريد من حولها. يقدر وزنها بحوالى مئتي رطل ؛ وكان وجهها دائريًا وأحمر كالقمر الحاصد وقد غابت تقريبًا ملامحه. كانت ترتدي فستانًا أسودًا ضيقًا من الكشمير، مصنوعًا على طراز قبل عشر سنوات، وقبعة سوداء صغيرة من القش المغبرة مزينة بأربطة من الشريط الأصفراء، وأكمام دانتيل سوداء باهتة.

«هنا،» صاحت، وهي تلوح بسوطها لآن. «أنتِ معلمة مدرسة فالي رود الجديدة؟»

«نعم.»

«حسنًا، كنت أظن ذلك. تشتهر فالي رود بمدرساتها الجميلات، تمامًا كما يشتهر ميلرزفيل بمدرساته القبيحات. سألتني جانيت سويت هذا الصباح إذا كان يمكنني أن أحضرك. قلت: «بالتأكيد يمكنني، إذا لم تمانعي أن تضغطي قليلاً. فالعربة

الخاصة بي صغيرة نوعًا ما على حقائب البريد، وأنا أثقل قليلاً من توماس!» انتظري، صغيرتي، حتى أرتب هذه الحقائب قليلاً وسأقوم بحشرك بطريقة ما. إنها مسافة لا تزيد عن ميلين إلى بيت جانيت. وصبي الجيران الذي يعمل لديها سيأتي لجلب حقائبك الليلة. اسمي سكينر، إيميليا سكينر.»

اندمجت آن في النهاية داخل العربة، وتبادلت ابتسامات مسلية مع نفسها خلال العملية.

«تقدمي، يا فرسي السوداء»، أمرت السيدة سكينر، مجمعة الزمام في يديها السمينتين. «هذه رحلتي الأولى على طول طريق البريد. كان توماس يريد حرث فجله اليوم، لذا طلب مني أن آتي. لذلك تناولت وجبة خفيفة فقط وبدأت. يعجبني ذلك نوعًا ما. بالطبع، إنه مرهقة إلى حد ما أحينا. ولكن في بعض الأحيان أجلس وأفكر ولا أفعل شيئا لبقية الوقت. تقدمي، يا فرسي السوداء. أريد أن أصل إلى البيت باكرًا. فتوماس يشعر بالوحدة بشدة عندما أكون بعيدة. فلم يمض على زواجنا فترة طويلة.»

«آه!» قالت آن بلباقة.

«فقط شهر واحد. ولكت ظل توماس يغازلني لفترة طويلة. كان ذلك رومانسيًا حقًا.» حاولت آن أن تتصوّر السيدة سكينر وهي تتحدث عن الرومانسية وفشلت.

«آه؟» قالت مرة أخرى.

«نعم. كان هناك رجل آخر كان يرغب في الزواج مني. تقدمي يا فرسي السوداء. كنت أرملة لوقت طويل جدًا حتى أعتاد الناس على توقع عدم زواجي مرة أخرى. ولكن عندما ذهبت ابنتي – وهي معلمة مثلك – إلى الغرب للعمل، شعرت بالوحدة الحقيقية ولم أكن ضد هذه الفكرة. وبعد ذلك، بدأ توماس في الظهور

وكذلك الرجل الآخر – ويليام أوباديا سيمان، كان اسمه. لفترة طويلة لم أتمكن من اتخاذ قرار حول من سأختار، وكانا يستمرون في الظهور، وكنت حائرة. كان ويليام ثريًا ولديه بيت رائع وكان نوعًا ما أنيقا. كان بالتأكيد أفضل اختيار. تقدمي، يا فرسي السوداء.»

«لماذا لم تتزوجي منه؟» سألت آن.

«حسنًا، لم يكن يحبني»، أجابت السيدة سكينر بجدية. فتحت آن عينيها على مصراعيها ونظرت إلى السيدة سكينر. ولكن لم تكن هناك أي مسحة صغيرة من المزاح على وجه تلك السيدة.

«بقي رجلا أرملا لمدة ثلاث سنوات، وكانت أخته تتولى تدبير المنزل له. ثم تزوجت وأراد فقط شخصًا يعتني بمنزله. كان يستحق العناية بشؤون منزلهالجميل. أما بالنسبة لتوماس، فقد كان فقيراً، ولم يكن منزله يتسرب منه الماء في الجو الجاف، إن ذلك هو كل ما يمكن قوله عن بيته. ولكن، كنت أحب توماس، ولم يكن لدي أي اهتمام بشيءآخر. لذلك تجادلت مع نفسي. «سارة كرو»، قلت – فلقبي الأول كان كرو – «يمكنك أن تتزوجي الرجل الغني إذا كنتِ ترغبين في ذلك، ولكنكِ لن تكوني سعيدة. الناس لا يمكن أن يعيشوا معًا في هذا العالم دون القليل من الحب. إنك تفضلين ربط نفسك بتوماس، لأنه يحبكِ وأنتِ تحبينه ولا شيء آخر لن يكون جيدًا لكِ.. لذلك أخبرت توماس أنني سأتزوجه. في كل الوقت الذي كنت فيه أتجهز، لم أتجرأ أبدًا على قيادة عربتي بجوار منزل دبليو خوفًا من أن تجعلني رؤية ذلك المنزل الرائع أعود للتفكير في الأمر مرة أخرى. ولكن الآن لا أفكر فيه على الإطلاق، وأنا مرتاحة وسعيدة مع توماس. تقدمي يا فرسي السوداء.»

«كيف استقبل ويليام أوباديا‌ه هذا؟» استفسرت آن.

«أوه، اضطـرب قليـلاً. لكنه ذهب الآن لرؤية عانس نحيفة في ميلرزفيل، وأعتقد أنها سـتقبله بسـرعة. وسـتجعله زوجًا أفضل ممـا فعلتـه زوجتـه الأولـى. لم يكـن دبليـو.أو. يرغب فـي الزواج منهـا. فقـد طلب منها أن تتزوجه لأن والده أراد ذلك، ولم يتخيل أبـدًا أنها سـتقبل. ولكنها قالت «نعم». كانـت حياته معها صعبة. اركضي يا فرسي السوداء. كانت مدبرة منزل رائعة، ولكنها كانت جشعةبشـدة. ارتـدت نفـس القبعة لمـدة ثمانية عشـرة عامًا. ثم حصلـت على واحـدة جديدة فلمـا التقاها دبليـو.أو. في الطريق لـم يعرفها. أسـرعي يا فرسـي السوداء.شـعرت أننـي برغبة في الهروب. ربما لو كنتُ قد تزوجته لصرت بائسـة للغاية، مثل ابنة عمتـي المسـكينة، جيـن آن التي تزوجت رجـلاً غنيًا لم يكن يهتم بها على الإطلاق، ولم تكن حياتها رائعة. جاءت لرؤيتي الأسـبوع الماضـي وقالـت لي: «سـارة سـكينر، أنـا أغارمنك. كنـتُ أفضل العيش في كوخ صغير على جانب الطريق مع رجل أحببته من أن أعيش في منزلي الكبير مع الرجل الذي لا أحبه.» ليس زوج جين آن سـيئًا، علـى الرغم من أنه عنيد إلـى درجة أنه يرتدي معطف الفرو عندما تكون درجة الحرارة عند تسـعين. الطريقة الوحيدة لإقناعـه بفعل شـيء هـي إغراؤه بفعل العكس. ولكن ليس هناك أي حـب لتسـوية الأمور وهي طريقة فاشـلة للعيش. هناك منزل جانيت في الوادي، «وايسـايد»، هكذا تسـميه. لاحظي موقعهكم هو جميل، أليس كذلك؟ أعتقد أنك ستسـعدين بالخروج من بين كل تلك الحقائب التي تحيط بك.»

«نعـم، ولكننـي اسـتمتعت كثيـرًا بالرحلـة معـك،» قالـت آن بإخلاص.

قالـت السـيدة سـكينر، وهـي سـعيدة: «انتظـري حتـى أخبـر توماس بذلك. يشـعر دائمًا بالارتياح عندما أتلقى إطراءً. حسنًا، لقد وصلت. آمل أن تتأقلمي جيدًا في المدرسة، يا آنسة. هناك طريـق مختصـر إليهـا عبـر المسـتنقع خلـف منـزل جانيـت. إذا اتجهـتِ بتلـك الطريقـة، كونـي حـذرة للغاية. إذا علقـتِ في ذلك الطينةَ الأسـود، ستبتلعكالأرض مباشـرةً إلى الأسفل ولَن يُرى أو يُسـمع عنـكِ مـرة أخرى حتى يـوم القيامة، مثل بقـرة آدم بالمر. تواصلي، هيا أيتها الفرس السوداء.»

الفصل الواحد والثلاثون

من آن إلى فيليبا

«من آن شيرلي إلى فيليبا غوردون، تحية طيبة وبعد.

«أيتها الحبيبة، حان الوقت لكتابة رسالة إليك. ها أنا أعمل مرة أخرى كـ «مدرِّسة» في طريق الوادي، وأبيت في «وايساييد»، في منزل الآنسة جانيت سويت. وهي روح عزيزة وجميلة جدًا؛ طويلة القامةوممتلئة بعض الشيء ولكنها تتقيد بنظام معين يشير إلى روح الاقتصاد، فهي ليست سخية جدًا حتى في مسألة الوزن. لديها شعر بني ناعم ومجعد مع بعض الخصلاتالرمادي فيه، ووجه مشمس بخدين متوردين، وعيون كبيرة ولطيفة زرقاء كأزهار نسيان. وعلاوة على ذلك، هي واحدة من أولئك الطهاة الرائعين الذين لا يهمهم على الإطلاق إذا كانوا سيفسدون هضمك طالما يمكنهم تقديم ولائم دسمة ولذيذة.

«أنا أحبها؛ وهي تحبني أيضًاعلى ما يبدو،فقد كان لديها أخت اسمها آن توفيت وهي صغيرة.

«أنا فعلاً سعيدة برؤيتك»، قالت بحماسة، عندما وصلت إلى الفناء. «إنك تبدين كما لم أتوقع على الإطلاق. كنت متأكدة أنك ستكونين ذات شعر داكن – أختي آن كانشعرها داكنا. وها أنتِ هنا يا ذات الشعر الأحمر!»

للحظـات قليلـة، ظننت أنني لن أحب جانيت بقدر ما كنت قد توقعتمـن النظـرة الأولـى. ثـم ذكرت نفسـي بأنني حقًـا يجب أن أكون أكثر حكمة من أن أكون متحيزة ضد أي شـخص فقط لأنه وصف شـعري بالأحمر. ربما كانت كلمة «بنّي» غير موجودة على الإطلاق في مفردات جانيت.

«وايساید» هو نوع من الأماكن الجميلة الصغيرة. البيت صغير وأبيـض، يقـع في حفرة صغيرة لطيفـة تنخفض من الطريق. بين بسـتان وحديقة الأشـجار والزهور المختلطة. وكان ممشى الباب الأمامـي محـاط ابصدفالهاهـوغ–أو «كاو–هوكس»، كما تسـميها جانيـت؛ وهنـاك نباتـات علـى الشـرفة وطحالـب على السـقف. غرفتـي هـي مـكان صغير ومرتـب «خـارج الصالون» –يتسـع بما فيه الكفاية لي وللسرير. وفوق السرير هناك صورة لروبي بيرنز واقفًا عند قبر هايلاند ماري، مظللًا بواسـطة شـجرة صفصاف هائلة. وجه روبي حزينا للغاية إلى درجة أنه ليس من المستغرب أن أعانـي مـن كوابيس سـيئة. لماذا، في الليلـة الأولى التي كنت فيها هنا، حلمت أنني لا أستطيع الضحك.»

«الصالون صغير ومرتب. نافذته الوحيدة مظللة جدًا بواسطة شـجرة صفصافة ضخم تعطي الغرفة تأثيرًا شـبيهًا بكهف مظلم من الزمرد. هناك دعايات رائعة على الكراسي، والسجاد الملون علـى الأرض، وكتـب وبطاقـات مرتبـة بعناية على طاولـة دائرية، وزهـور جافة على الـرف. بين الزهور توجد زينة مرحة من صور الراحليـن — خمـس صـور فـي المجمـل، تتعلـق بوالـدي جانيت ووالدتها وأخ لها وأختها آن، وعامل تم توظيفه هنا توفي هنا ذات مـرة! إذا مـا أصابتني الجنون فجأة في هذه الأيام، «ليعلم الجميع الحاضرات» أن تلك الصور كانت السبب.

«لكن الأمور كلها رائعة وقلت ذلك. أحبتني جانيت لذلك، تمامًا كما أنها كرهت المسكينةإيستر لأنها قالت إن الظل الكثير غير صحي واعترضت على النوم على فراش ريش. الآن، أنا أفتخر بفراش الريش، وكلما كانت غير صحية وريشية كلما كنتُ أفتخر أكثر. تقول جانيت إنه من الراحة رؤيتي أثناء تناولي الطعام؛ كانت = تخشى أن أصبح مثل الآنسة هايثورن، التي لا تأكل أي شيء سوى الفاكهة والماء الساخن للفطور، وكانت تحاول إقناع جانيت بترك قلي الأطعمة. إيستر هي حقًا فتاة عزيزة، ولكنها تميل إلى التيارات الغريبة. المشكلة هي أنها لديها ما يكفي من الخيال ولديها لدسها ميلٌ نحو الاضطراب في الهضم.

«قالت لي جانيت إنه يمكنني استخدام الصالون عندما يزورني أي شاب! لا أعتقد أن هناك الكثيرين الذين سيفعلون. لم أرَ شابًا في طريق الوادي حتى الآن، باستثناء المستأجر المجاور – سام توليفر، وهو شاب طويل جدًا ونحيف وذو شعر أشقر. جاء في إحدى الليالي مؤخرًا وجلس لساعة على سياج الحديقة، بالقرب من الشُرفة الأمامية حيث كنتُ وجانيت نقوم بأعمال فنية. كانت التعليقات الوحيدة التي قدمها خلال كل تلك الفترة هي، «هل ترغبين في حلوى النعناع، يا آنسة؟! إنها شيء جيد لنزلات البرد»

«ولكن هناك قصة حب تجري هنا. يبدو أنها مصيري أن أكون متورطة، إلى حد ما بشكل نشط أو غير نشط، في قصص حب لكبار السن. السيد والسيدة إيرفينغ دائمًا يقولون إنني كنت السبب في زواجهما. السيدة ستيفن كلارك من كارمودي تصر على أن تكون ممتنة جدًا لي على اقتراح قد قدمه شخص آخر على الأرجح إذا لم أكن قد قدمته. أعتقد حقًا، على الرغم من ذلك، أن لودوفيك سبيد لن يكون قد تقدم أبعد من الخطوبة

الهادئة لو لم أساعد له ولثيودوراديكس.

«في القضية الحالية، أنا فقط مراقبة ساكنة. حاولت مرة واحدة أن أساعد في تقديم الأمور وقد أحدثت فوضى فظيعة. لذا، لن أتدخل مرة أخرى. سأخبركم كل شيء عندما نلتقي.»

الفصل الثاني والثلاثون
شاي مع السيدة دوغلاس

فـي الخميـس الأول لإقامة آن فـي طريق الوادي ، طلبت منها جانيت وقد تألقت كالوردة الذهاب برفقتها إلى لحضور الصلاة. كانت ترتدي فسـتانًا من الموسـلين بلون أزرق سـماوي مع رسـوم البنفسـج والكثيـر مـن الزخـارف، أكثـر مما كان يفتـرض. وقبعة مـن نـوع ليغهورنمزينـة بالورود ويثلاث ريشـات نعام. شـعرت آن بالدهشـة تمامًا. لتكتشـف في وقت لاحق أنّ دافع جانيت لتزيين نفسها بهذه الطريقة.

يبـدو أن اجتماعـات الصـلاة فـي طريقالـوادي كانت أساسـاً للنسـاء. كان هنـاك اثنتـان وثلاثـون امـرأة حاضرة، وولـدان في منتصف العمر، ورجل وحيد، إلى جانب القس. وجدت آن نفسها تـدرس هـذا الرجـل. لـم يكن جميلًا أو شـابًا أو أنيقًـا؛ كان لديه سـاقان طويلتـان للغايـة إلىالحـد الـذي يتعين عليـه أن يبقيهما ملفوفتيـن تحـت كرسـيه للتخلـص منهمـا – وكان لديـه كفـان ضخمانوشـعرا بحاجة إلى الحلاقة، وشـاربا غير مشـذب. ولكن آن اعتقـدت أنهـا أحبت وجهـه؛ كان لطيفًا وصادقًـا ورقيقًا؛ كان هناك شـيء آخر في وجهه، شـيء صعب على آن تحديده. ولكنها انتهـت إلـى أن هـذا الرجل قـد عانى وكان قويًـا، وقد تجلى ذلك

في وجهه. وعندما انتهى اجتماع الصلاة، اقترب هذا الرجل من جانيت وقال: «هل يمكنني أن أرافقك إلى بيتك، جانيت؟»

«تأبطت جانيت ذراعه بأسلوب رصين وخجول كما لو كانت لا تزيد عن سن السادسة عشرة»، قالت آن للفتيات في منزل باتي لاحقًا. «الآنسة شيرلي، اسمحي لي أن أقدم لك السيد دوغلاس»، قالت. أومأ السيد دوغلاس برأسه وقال: «كنت أنظر إليك في اجتماع الصلاة، يا آنسة، وأفكر في كم أنت فتاة لطيفة». لو كان مثل هذا الخطاب قد أتى من تسعة وتسعين شخصًا من كل مائة، لكان قد أزعج آن بشدة، ولكن الطريقة التي قال بها السيد دوغلاس جعلتها تشعر أنها تلقت إطراءً حقيقيًا وممتعًا للغاية. ابتسمت بامتنان له وتراجعت تسير وراءهما على الطريق المضاءة بضوء القمر.

إذاً، جانيت لديها حبيب! كانت آن مسرورة. ستصبح جانيت زوجة مثالية –إنها مرحة واقتصادية، ومتسامحة، وملكة الطهاة. سيكون من الإسراف الواضح من جانب الطبيعة إبقاؤها عذراء إلى الأبد.

«طلب جون دوغلاس أن آخذكِ لرؤية والدته،» قالت جانيت في اليوم التالي. «إنها تبقى في السرير معظم الوقت ولا تخرج من المنزل. ولكنها تحب جدًا الرفقة وترغب دائمًا في رؤية نزلائي. هل يمكنكِ الذهاب هذا المساء؟» وافقت آن، ولكن في وقت لاحق من اليوم جاء السيد دوغلاس نيابةً عن والدته لدعوتهم للشاي مساء يوم السبت. «أوه، لماذا لم ترتدي فستان البنفسج الجميل؟» سألت آن عندما غادرتا المنزل. كان يومًا حارًا، وقد بدت جانيت المسكينة، بفستانها القطني الأسود الثقيل،وكأنها تطهى في الفرن.

«خشـيت أن تعتبره السـيدة دوغلاس جريئا كما أن جون يحب هذا الفستان»

«السيدة دوغلاس قديمة الطراز من قرية «وايساید» على بعد نصـف ميـل من هضبة مهيبة. كان المنزل نفسـه كبيـرًا ومريحًا، وقديمًا بما فيه الكفاية ليكون مهيبًا، وقد أحاطته بساتين القيقب. وكانت هناك مزارع كبيرة ومرتبة خلفه، فكان كل شيء يشير إلى الرخـاء. كانـت آن تفكـر، بغـض النظرعمـا كان التحمـل والصبر البادیان على وجه السـيد دوغلاس يعني، فإنه لم يكن يعني، في رأي آن، الديون والفقر. اسـتقبلهم جون عند الباب وأخذهم إلى غرفة المعيشة، حيث كانت والدته جالسة على كرسي.

توقعـت آن أن تكون السـيدة دوغلاس العجـوز طويلة ونحيفة، لأن السيد دوغلاس كان كذلك. وبدلاً من ذلك، كانت امرأة صغيرة جداً، بخدين متوردين لطيفين، وعيون زرقاء معتدلة، وفم مثل فم الطفل. كانت ترتدي فسـتانًا أنيقًا من الحرير الأسـود، مصنوعًا على طراز الموضة، مع شال أبيض على كتفيها، وشعرها الثلجي الذي تتوسطه قبعة دانتيل فاتنة.

«كيـف حالـك يا جانيت العزيـزة؟» قالت بحلاوة. «أنا سـعيدة جدًا برؤيتك مرة أخرى، عزيزتي.» رفعت وجهها الجميل المجعد لتُقبَّلهـا. «وهـذه هـي معلمتنا الجديدة. أنا مسـرورة للقائك. لقد كان ابنـي يمدحـك كثيرا حتى أننـي انزعجت، وأنا متأكدة من أن جانيت كذلك مثلي.»

أحمـر وجـه جانيت بينما قالت آن شـيئًا مهذبًا وتقليديًا، ومن ثـم جلس الجميـع وأداروا الحديث. كانت هذه مهمة صعبة، حتى بالنسـبة لآن، لأنه لم يكن هناك أحد يبدو مسـتريحًا إلا السـيدة دوغلاس العجوز، التي بالطبع لم تواجه أي صعوبة في الحديث.

جعلت جانيت تجلس بجانبها وتمسح يدها أحيانًا. وقد جلست تلك الأخيرة مبتسمة، وهب تبدو غير مرتاحة بشكل فظيع في فستانها القبيح، وجلس جون دوغلاس بدون ابتسامة.

عند طاولة الشاي، طلبت السيدة دوغلاس من جانيت برشاقة أن تصب الشاي. أصبحت جانيت حمراء أكثر من أي وقت مضى ولكنها فعلت ذلك. كتبت آن وصفًا لتلك الوجبة إلى ستيلا.

«كان هناك لسان بارد ودجاج ومربى الفراولة، وفطيرة الليمون وبسكويت وكعكة الشوكولاتة وكعكة الزبيب وكعكة الفاكهة، وبعض الأشياء الأخرى، بما في ذلك المزيد من الفطائر كفطيرة الكراميل، أعتقد. بعد أن أكلت مرتين أكثر من مقدار ما كان يمككني أكله، قالت السيدة دوغلاس بأنها تخشى أنها ليس لديها شيء يغري شهيتي.

«أخشى أن طهي جانيت العزيزة قد أفسد شهيتك»، قالت بحلاوة. «بالطبع لا يتطلع أحد في طريق الوادي لأن يتسابق معها. هل لديكِ رغبة في قطعة أخرى من الفطيرة، آنسة شيرلي؟ لم تأكلي أي شيء.»

«ستيلا، لقد أكلت قطعة من اللسان وقطعة من الدجاج، وثلاث قطع بسكويت، وكمية سخية من المربى، وقطعة من الفطيرة، وفطيرة صغيرة، ومربعًا من كعكة الشوكولاتة!»

بعد الشاي، ابتسمت السيدة دوغلاس بلطف وقالت لجون أن يأخذ «العزيزة جانيت» إلى الحديقة ويحضر لها بعض الورود. «ستبقى الآنسة شيرلي برفقتي بينما تخرج، أليس كذلك؟» قالت بنغمة مؤلمة. وقد استقرت في كرسيها بتنهيدة.

«أنا امرأة كبيرة جدًا، آنسة شيرلي. لقد كابدت معاناة كبيرة لأكثر من عشرين عامًا. لعشرين عام طويلة ومتعبة،

كنـت أمـوت ببـطء.»

«مؤلم حقًا!» قالت آن، حاولة أن تكون متعاطفة.

«لقـد كانـت هنـاك عشـرات الليالي التـي اعتقـدوا فيها أنني لـن أعيش لأرى الفجر»، اسـتمرت السـيدة دوغـلاس بجديّة. «لا أحد يعرف ما مررت به – لا يمكن لأحد أن يعرف سـوى نفسـي. حسـنًا، لا يمكن أن يسـتمر ذلك لفترة طويلة الآن. سينتهي خلال القليل من الوقت. سـتنتهي رحلتي المتعبة قريبًا، آنسـة شـيرلي. إنـه ليعزينـي أن يكـون لجـون زوجة جيـدة لرعايتـه عندما ترحل أمه – عزاء عظيما.»

«جانيت امرأة جميلة،» قالت آن بحرارة.

«جميلة! شخصية جميلة،» أكدت السيدة دوغلاس. «ومضيفة مثاليـة – شـيء لم أكن عليـه أبدًا. لم تكن صحتي تسـمح بذلك، آنسـة شـيرلي. أنا ممتنة حقًا لأن جون اتخذ خيارًا حكيمًا كهذا. أتمنـى وأعتقـد أنه سـيكون سـعيدًا. إنـه ابني الوحيد، وسـعادته تكمن بالقرب جدًا من قلبي.»

«بالطبـع،» قالـت آن بغبـاء. للمـرة الأولـى فـي حياتهـا، كانت آن غبيـة. ومـع ذلك، لم تسـتطع تصوّر السـبب. يبدو أنه ليسـت لديها أي شيء على الإطلاق لتقوله لهذه السيدة العجوز اللطيفة والمبتسمة التي تربت على يدها بلطف.

«ارجعـي لرؤيتـي قريبًـا مـرة أخـرى، عزيزتي جانيـت،» قالت السـيدة دوغـلاس بحـب عندما غـادرا. «أنت لا تأتيـن كثيرًا بما فيـه الكفايـة. ولكننـي أفتـرض أن جـون سـيحضرك هنـا للبقاء طـوال الوقـت فـي يـوم مـن الأيـام.» عندما نظـرت آن إلـى جون دوغلاس، بينما والدته تتحدث، أخذت تهز رأسـها بدهشـة. بدا كمـن يتعـرض لأقصـى مراحل التعذيـب من قبل جلاده. شـعرت

بالتأكيـد بأنـه يجب أن يكون مريضًا وسـارعت بأن تخرج جانيت حمراء الوجنتين بعيدًا.

«أليسـت السيدة دوغلاس امرأة لطيفة؟» سـألت جانيت وهما يسيران في الطريق.

«م-م»، أجابت آن بتشـتت. كانت تتسـاءل لماذا كان يبدو جون دوغلاس هكذا.

«لقـد كانـت معاناة فظيعـة،» قالت جانيت بتأثـر. «إنها تدخل فـي حـالات فظيعـة. يجعل ذلك جـون قلقًا دائمًـا. إنه خائف من مغادرة المنزل خوفًا من أن تتعرض والدته لأزمة ولا يوجد هناك سوى الخادمة»

الفصل الثالث والثلاثون
كان يستمر في العودة دائما

«ثلاثة أيام لاحقًا، عادت آن إلى المنزل من المدرسة فوجدت جانيت تبكي. بدت الدموع وجانيت أمرًا غير متناسق مع بعضه، حتى أن آن قلقت بصدق.

«أوه، ما الذي حدث؟» صاحت بقلق.

«أنا... أنا أبلغ اليوم أربعين عامًا»، بكت جانيت بنحيب.

«حسنًا، كنتِ تقريبًا كذلك أمس ولم يكن هناك مشكلة»، عزّتها آن، محاولة عدم التبسم.

«ولكن... ولكن»، تابعت جانيت بشهقة كبيرة، «جون دوغلاس لن يطلبني للزواج.»

«أوه، لكنه سيفعل ذلك»، قالت آن بشكل غير ملتزم. «يجب أن تعطيه الوقت، جانيت.»

«الوقت!»، قالت جانيت بسخرية لا يمكن وصفها. «لقد كان لديه عشرون عامًا. كم من الوقت سيحتاج؟»

«هل تعنين أن جون دوغلاس كان يلاطفك لمدة عشرين عامًا؟»

«لقد كان. ولم يشير إلى الزواج حتى بلغتُ الأربعين. ولا أعتقد أنه سيفعل ذلك الآن. لم أقل كلمة لأي إنسان عن ذلك، ولكن يبدو

لـي أنـه يجـب عليّ أن أتحدث مع شـخص ما أخيرًا أو سـأصاب بالجنون. بدأ جون دوغلاس في الخروج معي قبل عشرين عامًا، قبل وفاة أمي. حسـنًا، ظل يأتي باسـتمرار، وبعد فترة بدأت في صنع البطانيات والأشـياء؛ ولكنه لم يقل شـيئًا عن الزواج، فقط اسـتمر في القدوم باسـتمرار. لم يكن هناك شـيء يمكنني فعله. توفيت أمي عندما كنا نخرج معًا لمدة ثماني سـنوات. ظننت أنه ربما سيتحدث بعد ذلك، حيث تركت وحيدة في هذا العالم. كان لطيفًا وعاطفيًا حقًا، وفعل كل شـيء في وسـعه من أجلي، ولكنه لم يقل «زواج». وهذه هي الطريقة التي اسـتمرت بها الأمور منذ ذلـك الحين. الناس يلومونـني على ذلك. يقولون إنني لن أتزوجه لأن والدته مريضة جدًا وأنا لا أريد عناء الاعتناء بها. لقد وددت أن أعتنـي بـأم جـون! لكننـي أتركهـم يعتقدون ذلـك. كنت أفضل أن يلومونـي مـن أن يشـفقوا علـيّ! إنـه محزن للغايـة أن جون لن يطلبني. ولماذا لا يفعل؟ يبدو لي أنه إذا كنتُ أعرف فقط السبب لما مانعت ذلك كثيرًا.»

«ربما والدته لا تريد أن يتزوج أحدًا،» اقترحت آن.

«أوه، هي تريد ذلك. لقد قالت لي مرارًا وتكرارًا أنها تحب أن ترى جون مستقرًا قبل حلول وقتها. دائمًا ما تلقي له تلميحات – سمعتها بنفسي اليوم الآخر. ظننت أنني سأدخل تحت الأرض.»

«إنـه أمـر خـارج عـن إدراكـي،» قالـت آن بعجـز. فكـرت فـي لودوفيـك سـبيد. لكن الحالات ليسـت متشـابهة. جون دوغلاس ليس من نوع لودوفيك.

«يجـب أن تظهـري المزيـد مـن القـوة، جانيت،» اسـتمرت آن بحزم. «لماذا لم تطردِيه منذ فترة طويلة؟»

«لـم أسـتطع،» قالت جانيت المسـكينة بحـزن. «منا ترين، آن، لقد كنت دائمًا متعلقة جدًا بجون. كان من الممكن أن يظل يعود باسـتمرار، لأنـه لـم يكن هنـاك أحد آخر أرغب فيـه، لذا لم يكن الأمر يهم.»

«لكـن ربمـا كان يمكنك أن تجعله يحسـم أمـره كرجل،» حثتها آن.

«لا، لا أعتقـد ذلـك. كنت خائفة مـن المحاولة، على كل حال، خفـت أن يظـن أننـي أعنـي ذلك ويذهـب دون رجعـة. أظن أنني إنسـانة ذات روح ضعيفـة ولكـن هكذا أشـعر. ولا أسـتطيع تغيير ذلك.»

«أوه، يمكنـكِ تغييـره، جانيـت. لميفـت الأوان بعـد. اتخـذي موقفًـا قويًـا. دعـي هذا الرجل يعلم أنكِ لـن تتحملي تردده الآن. سأدعمك.»

«لا أعرف»، قالت جانيت بيأس. «لا أعرف إذا كنتُ سـأتمكن أبـدًا مـن جمـع ما يكفي من القوة. الأمور قـد طالت كثيرا. ولكن سأفكر في الأمر.»

شعرت آن بأن آمالها قد خابت في جون دوغلاس. كانت تحبه كثيرًا، ولم تكن تعتقد أنه نوع الرجل الذي سيلعب بمشاعر امرأة لمدة عشـرين عامًا. بالتأكيد، يجب أن يتعلم درسًـا، وشـعرت آن بالرغبة الشـريرة في أن تشـاهد هذه العملية. لذا كانت مسرورة عندمـا قالـت لها جانيت، وهما في طريقهما إلى اجتماع الصلاة في الليلة التالية، إنها تعتزم أن تظهر بعض القوة.

«سـأجعل جـون دوغـلاس يرى أنني لن أكون سـاذجة أكثر من ذلك.»

«أنتِ على حق تمامًا»، قالت آن بحماس.

عندما انتهى اجتماع الصلاة، جاء جون دوغلاس مع طلبه المعتاد. بدت جانيت خائفة ولكنها عازمة.

«لا، شكرًا»، قالت ببرود. «أعرف الطريق إلى المنزل جيدًا بمفردي. يجب أن أعرفه، حيث أنني سرت عليه لمدة أربعين عامًا. لذا ليس عليك إزعاج نفسك، سيد دوغلاس.»

كانت آن تنظر إلى جون دوغلاس؛ وفي ضوء القمر الساطع، ورأت آخر لفتة حانت منه بألم واضح. ومن دون أي كلمة، التفت وسار في اتجاه الطريق.

«توقف! توقف!» صاحت آن بجنون بعد ذلك، دون أن تكترث على الإطلاق بالمراقبين الآخرين المدهوشين. «سيد دوغلاس، توقف! عد.»

جون دوغلاس توقف ولكنه لم يعد. طارت آن أسفل الطريق، أمسكت ذراعه وجرته إلى جانب جانيت.

«يجب أن تعود»، قالت بتوسل. «إنه كله خطئي، سيد دوغلاس – كله بسببي. جعلتُ جانيت تفعل ذلك. لم تكن تريد – ولكن الآن كل شيء على ما يرام، أليس كذلك، جانيت؟»

بدون كلمة، أخذت جانيت ذراعه ومشت بعيدًا. تبعتهم آن بتواضع إلى المنزل وانزلقت من الباب الخلفي.

«حسنًا، أنتِ شخص لطيف لتؤيديني»، قالت جانيت بسخرية.

«لم أستطعْ فعل ذلك، جانيت»، قالت آن بتاثر. «شعرت فقط كما لو أنني وقفت وشهدت ارتكاب جريمة قتل. كان علي أن أركض وراءه.»

«أوه، أنا سعيدة تمامًا بفعلتك. عندما رأيت جون دوغلاس ينسحب في ذلك الطريق، شعرت كما لو أن كل الفرح والسعادة الذي تبقى في حياتي كان يرحل معه. كان إحساسًا رهيبًا.»

«هل سألك لماذا فعلتِ ذلك؟» سألت آن.
«لا، لم يقل كلمة حول ذلك»، ردت جانيت بتناقض.

الفصل الرابع والثلاثون
جون دوغلاس يتحدث أخيرًا

«لـم تكـن آن فاقـدة للأمـل فـي أن يحـدث شـيء فـي نهايـة المطاف. ولكن لم يحدث شيء. جاء جون دوغلاس وأخذ جانيت فـي نزهـة وعـاد معها إلى المنـزل من اجتماع الصـلاة ، كما كان يفعل لعشرين عامًا، وكما يبدو أنه سيفعل لعشرين عامًا آخرين. مر فصل الصيف. عملت آن في مدرستها وكتبت رسائل ودرست قليلاً. كان ذهابها إلى المدرسة وعودتها ممتعا. ذهبت دائمًا عبر المستنقع؛ كان مكانًا جميلًا بتربة طينية، خضراء؛ يجري خلالها جـدول مـاء فضي وتقف الأشـجار بشـموخ، وقد كانـت أغصانها ترتفع بحزم وجذورها مغطاة بكل أنواع النباتات في الغابة.

ومـع ذلـك، وجـدت آن الحيـاة في طريـق الوادي مملـة قليلاً. بالطبع، كان هناك حدث مسلٍ واحد.

لم تر الطويل، الأشـقراء، صموئيـل الذي يحمل حلوى النعناع منذ مساء الدعوة، إلا في لقاءات عرضية على الطريق. ولكن في ليلـة الدافئة من أغسـطس ظهر فجأة وجلـس بجدية على مقعد عتيـق بجـوار الشُـرفة. كان يرتـدي ملابس عملـه المعتادة، وهي تتألـف مـن سـروال بألـوان متنوعـة، وقميص من الجينـزالأزرق، وقبعـة مهترئةمـن القـش. كان يمضـغ قشـة وظل يمضغهـا بينما

ينظـر بجديـة إلـى آن. وضعـت كتابهـا جانبًـا بتنهيـدة وأخـذت مفـرش الطاولـة. فقد كانـت المحادثة مع صموئيـل حقًا خارجة عـن الاعتبـار. وبعد فترة صمت طويلـة، تحدث فجأة. «أنا ذاهب هنـاك»، قـال بشـكل مفاجئ، وهـو يرفـع قبعته في اتجـاه البيت المجاور.»

«أوه، أنت؟» قالت آن بلطف.

«أجل.»

«وإلى أين تتجه الآن؟»

«حسـنًا، كنـت أفكر في الحصـول على مكان خاص بي. هناك واحد يناسـبني فـي ميلرزفيل. ولكن إذا قمت بتأجيره، سـأحتاج إلى زوجة.»

«أظن ذلك،» قالت آن بشكل غامض.

«أجل.»

كان هنـاك صمـت طويـل آخـر. وفـي النهايـة، أزال صموئيـل قبعته مرة أخرى وقال،

«هل ستقبلينني؟»

«ماذا؟ هل تقصد أن تتزوجني؟» سألت آن بضعف.

«أجل.»

«لست على دراية كافية بك،» صاحت آن بسخرية.

«لكنك ستتعرفين علي بعد أن نتزوج،» قال صموئيل.

ضمت آن منكبها الهزيل.

«بالطبع لن أتزوجك،» قالت بكبرياء.

اسـتنكر صموئيـل. «أنـا عامـل جيـد ولـدي بعـض المـال في البنك.»

«لا تتحدث معي مجددًا عن هذا، أيا كان الذي جعلك تفكر في مثل هذه فكرة؟» قالت آن، حيث أن غضبها أخذ يهزم حسها الفكاهي. كان هذا موقفًا سخيفًا.

«أنت فتاة مميزة ونشيطة،» قال صموئيل. «لا أريد امرأة كسولة. فكري في الأمر. لم أغير رأيي حتى الآن. حسنًا، يجب أن أغادر فيجب علي أن أحلب الأبقار.»

كانت آمال آن بخصوص عروض الزواج قد تأثرت كثيرًا في السنوات الأخيرة حتى بقي قليل منها. لذا كانت قادرة على الضحك بصدق حول هذا الأمر، دون أي شعور بوخزة سرية. قلّدت آن صموئيل المسكين تلك الليلة أمام جانيت، وضحكا معًا من القلب.

في إحدى الأيام، عندما كانت إقامة آن في طريق الوادي تقترب من النهاية، جاء أليك وارد يقود سيارته بسرعة نحو «وايسايد» ليطلب جانيت.

«يتوجب عليك الذهاب إلى منزل دوغلاس بسرعة،» قال. «أعتقد حقًا أن السيدة دوغلاس العجوز ستموت أخيرًا، بعد التظاهر بالموت لعشرين عامًا.»

ركضت جانيت لتحضير قبعتها. سألت آن عما إذا كانت السيدة دوغلاس أسوأ من المعتاد.

قال أليك بجدية، «وهذا ما يجعلني أعتقد أن الأمر جاد. في الأوقات الأخرى، كانت ستصرخ وتلقي نفسها في كل مكان. هذه المرة هي مستلقية بسكون وصامتة. عندما تكون السيدة دوغلاس صامتة، فإنها مريضة جدًا، أراهن على ذلك.»

«أليس لديك إعجاب بالسيدة دوغلاس العجوز؟» سألت آن بفضول.

«أحب القطط عندما تكون قططا. لا أحب القطط في صورة نساء»، كانت هذه إجابة أليك الغامضة.

جاءت جانيت إلى المنزل في الشفق.

«توفيت السيدة دوغلاس»، قالت بتعب. «لقد توفيت تقريبًا بعد وصولي. تحدثت إليّ مرة واحدة فقط – «أفترض أنك ستتزوجين جون الآن؟» قالت. لقد ألمتني في القلب، آن. أن تظن أم جون نفسها أنني لن أتزوجه بسببها! لم أستطع قول كلمة أخرى– كان هناك نساء أخريات. كنت ممتنة لأن جون قد خرج.»

بدأت جانيت في البكاء بحزن. لكن آن قامت بتحضير مشروب ساخن من الزنجبيل لتسكينها. بالطبع، اكتشفت في وقت لاحق أنها استخدمت فلفلا أبيض بدلاً من الزنجبيل، ولكن جانيت لم تعلم الفرق.

في المساء بعد الجنازة، كانت جانيت وآن تجلسان على درج الشُرفة عند غروب الشمس. كانت جانيت ترتدي فستانها الأسود القبيح وتظهر بأسوأ حالاتها، وقد احمرّت عيناها وأنفها من البكاء. كانا يتحدثان قليلاً، لأن جانيت تبدو وكأنها تشعر بالاستياء الخفي تجاه محاولات آن لرفع معنوياتها. كانت تفضل بوضوح أن تكون تعيسة.

فجأة، تناهى إليهما صوت نقر على البوابة ودخل جون دوغلاس إلى الحديقة. سار نحوهمامباشرةً . قامت جانيت. كما فعلت آن. كانت آن فتاة طويلة وارتدت فستانًا أبيض؛ ولكن جون دوغلاس لم يرَها.

«جانيت»، قال، «هل ستتزوجينني؟»

اندلعت الكلمات كما لو كانت تريد أن تقال منذ عشرين عامًا ويجب أن تُلفظ الآن، قبل أي شيء آخر.

كان وجـه جانيـت أحمرًا جـدًا من البكاء إلى درجة أنه لم يكن بإمكانـه أن يصبـح أحمـر أكثر، لذا تحول إلى لون بنفسـجي غير لائق تمامًا.

«لماذا لم تسألني من قبل؟» قالت ببطء.

«لم أستطع. طلبت مني أن أعدك ألا أفعل ذلك – طلبت مني أمي أن أعدها ألا أفعل ذلك. قبل تسعة عشر عامًا، أصيبت بنوبة فظيعة. اعتقدنا أنها لن تستطيع العيش من بعدها. ناشدتني أن أعدهـا ألا أسـألك أن تتزوجينـي بينما هي على قيـد الحياة. لم أكن أرغب في الوعد بشيء من هذا القبيل، حتى على الرغم من أننا جميعًا اعتقدنا أنها لن تعيش طويلاً جدًا – أعطاها الطبيب فقط سـتة أشـهر. لكنها توسـلت ذلك على ركبتيها، وهي مريضة وتعاني. كان علي أن أعدها بذلك.»

«لماذا كانت أمك ضدي؟» صاحت جانيت.

«لا شيء، لا شيء. لم تكن ترغب في امرأة أخرى – أي امرأة – هنـاك بينمـا كانـت على قيـد الحياة. قالت إننـي إذا لم أعدها سـتموت هناك وسـأكون قد قتلتها. لذلك وعدت. وظلت تلزمني بهـذا الوعـد منذ ذلك الحين، على الرغم مـن أنني ركعت أمامها بدوري لأتوسل إليها أن تتراجع.»

«لمـاذا لـم تخبرنـي بهذا؟» سـألت جانيت بصـوت مكتوم. «لو كنت فقط علمت! لماذا لم تخبرني؟»

«جعلتني أمي أعدها ألا أخبر أحدًا»، قال جون بصوت خشن. «حلفتني بذلك على الكتاب المقدس؛ جانيت، لم أكن لأفعل هذا إذا كنـت قـد عرفـت أنهسـيكون لفتـرة طويلـة هكذا. لـن تعرفي أبدًا ما أعانيه خلال هذه التسـعة عشـر عامًا. أعلم أنني جعلتك تعانيـن أيضًـا، ولكنك سـتتزوجينني على أي حـال، أليس كذلك،

جانيـت؟ أوه، جانيت، أليس كذلك؟ جئت بأقصى سـرعة يمكنني بها لطلب يدك.»

فـي هـذا اللحظة، عادت آن المذهولة إلى وعيها وأدركت أنها ليسـت مؤهلـة للتواجـد هنا. انسـلت بعيـدًا ولم تـر جانيت حتى الصباح التالي، عندما أخبرتها الأخيرة بقية القصة.

«تلـك المـرأة القاسـية، عديمة الرحمـة، المخادعـة العجوز!» صرخت آن.

«اهدئـب لقـد ماتـت»، قالـت جانيت بجديـة. «لو لـم تكن قد ماتـت لقلـت ذلك. لذا يجب ألا نتكلم عنها بشـكل سـيء. ولكنني سـعيدة أخيرًا، آن. وعندما لم أكن أعلم لماذا، لم يكن لدي مانع أن أنتظر طويلاً بقدر ما أعرف الآن.»

«متى ستتزوجين؟»

«الشـهر المقبـل. بالطبـع سـيكون زواجـا هادئًا جـداً. أعتقد أن الناس سـيتحدثون بشـكل رهيب. سـيقولون إنني أسرعت بما يكفي للإمساك بجون بمجرد أن رحلت أمه المسكينة. أراد جون أن يعلمهـم الحقيقـة ولكننـي قلـت، «لا، جون؛ بعد كل شـيء تظل أمـك، وسـنحتفظ بالسـر بيننا، ولا نلقي أي ظـل على ذكراها. لا يهمنـي مـا يقولـه النـاس، الآن أنـا أعـرف الحقيقـة. لا يهم ذلك علـى الإطـلاق. دعهـا تُدفن مع الأمـوات» قلت له. لذلـك أقنعته بموافقتي.»

«أنتِ أكثر تسـامحًا مما يمكنني أن أكون عليه أبدًا،» قالت آن بانزعاج.

«ستشـعرين بشـكل مختلف بشـأن العديد من الأشـياء عندما تصبحين في سـنّي،» قالت جانيت بتسـامح. «إنها إحدى الأشياء التـي نتعلمهـا مـع تقدمنا في العمـر – كيف نغفر. يأتـي الغفران بشكل أسهل عندما نبلغ الأربعين منه كما كان في العشرين.»

الفصل الخامس والثلاثون
بداية العام الأخير في ريدموند

«هـا نحـن ذا، جميعنـا نعـود مرة أخـرى، وقد احترقنـا تمامًا بالشـمس وابتهجنا كرجل قوي يسـتعد للسـباق»، قالت فيل وهي جالسـة علـى حقيبتهـا تتنهـد مـن السـرور. «أليـس مـن الجميل أن نـرى هـذا المـكان العزيز، بيـت باتي، مرة أخـرى – وعمتي – والقطط؟ لقد فقد راستي قطعة أخرى من أذنه، أليس كذلك؟»

«راسـتي سـيكون أجمـل قـط في العالـم حتى بـلا أذنين على الإطلاق،» أعلنت آن بإخلاص من فوق حقيبتها، بينما كان راستي يتمرغ في حضنها في مرحبا.

«ألست سعيدة لرؤيتنا مرة أخرى، عمتي؟» سألت فيل.

«نعـم، ولكنـي أتمنـى أن ترتبـوا الأمـور قليـلاً»، قالـت العمـة جيمسـينا بحنيـن، وهـي تنظـر إلى جحيـم الصناديـق والحقائب التـي كانـت تحيط بها الفتيـات الأربعة وهن يضحكـن ويتحدثن. «يمكنكن التحدث بشكل جيد في وقت لاحق. العمل أولاً ثم اللعب كان شعاري عندما كنت فتاة.»

«أوه، لقـد عكسـنا ذلـك فـي هذا الجيـل، عمتي. شـعارنا هو اللعب أولاً ثم العمل. يمكنك القيام بعملك بشـكل أفضل إذا كنت قد قضيت وقتًا جيدًا في اللعب أولاً.»

قالـت عمة جيمسـينا وهـي تلتقط جوزيف وتنشـغل بحياكتها وتقبـل الواقـع بالسـمو الرائـع الـذي جعلهـا ملكة ربـات البيوت، «إذا كنت سـتتزوجين قسـا، ستضطرين إلى التخلي عن مثل هذه التعابير.»

«لمـاذا؟» تأوهـت فيل. «أوه، لماذا يجـب أن يفترض ألا تنطق زوجـة قـس إلا بـكلام حلـو؟ لـن أفعـل ذلـك. الجميـع في شـارع باترسون يستخدمون العامية، أي لغة مجازية، وإذا لم أفعل ذلك، سيعتبروننني متكبرة بشكل لا يطاق.»

«هـل أخبـرت عائلتـك بالخبـر؟» سـألت بريسـيلا وهي تطعم القطة سارة قطعًا من سلة الغداء الخاصة بها.

أومأت فيل.

«كيف استقبلوا الأمر؟»

«أوه، كانت أمي غاضبة جدا. لكنني وقفتُ كالصخرة، أنافيليبا جوردن، التي لم تتمكن أبدًا من التمسك بأي شيء. كان أبي أكثر هـدوءًا. فجدُّه نفسـه كان قسـا، لـذا لديه نقطة ضعـف في قلبه تجاه المنصب. قمتُ بدعوة جو إلى ماونت هولي بعد تهدئة أمي، وقد أحباه كلاهما. لكن أمي لم تتوان عنإعطائه بعض التلميحات المروعـة فـي كل محادثـة عمـا كانت قـد تمنته لـي. أوه، لم يكن مسـارعطلتي مزدحمًـا بالـورود، يـا فتياتيالعزيـزات. لكن – لقد فزت وحصلت على جو. ولا يهم شيء آخر.»

«بالنسبة لك»، قالت العمة جيمسينا بغموض.

«وبالنسبة لجو أيضًـا»، ردت فيل. «تظلين تشفقين عليه. لماذا لا تحسـدينه عوضـا عـن ذلك؟ أعتقد أنه يسـتحق الحسـد. لقد اجتمع في العقل والجمال والقلب الذهبي.»

«حسنًا نحن نعرف مقصدك»، قالت عمة جيمسينا بصبر. «ولكن آمل أنكِ لا تتحدثين هكذا أمام الغرباء. ماذا سيظنون؟»

«أوه، لا أريد معرفة ما يظنون. لا أريد أن أرى نفسي كما يراني الآخرون. أنا متأكدة أنه سيكون غير مريح في معظم الأوقات. لا أعتقد أن بيرنز كان صادقًا حقًا في تلك الصلاة أيضًا.»

اعترفت عمة جيمسينا بصراحة:»أوه، أعتقد أننا جميعًا نصلي من أجل بعض الأمور التي لا نرغب فعليًا فيها، لو كنا صادقين بما يكفي للنظر إلى قلوبنا، كنت أصلي أن أستطيع مسامحة شخص معين، ولكنني أعلم الآن أنني حقًا لم أكن أرغب في أن أسامحه. عندما أدركت أخيرًا أنني أريد ذلك، سامحتها دون الحاجة إلى الصلاة من أجل ذلك.»

«لا أستطيع أن أتخيل أنكِ لا تستطيعين المسامحة لفترة طويلة»، قالت ستيلا.

«أوه، كنت غيرماسامحة. ولكن الحفاظ على الكراهية لا يبدو مستحقًا عندما تكبرين.»

قالت آن «هذا يذكرنيبحكاية جون وجانيت.» ثم روت القصة

«والآن، أخبرينا عن تلك اللحظة الرومانسية التي ألمحتِ إليها في إحدى رسائلكِ.» طالبت فيل.

قامت آن بتقليد عرض الزواج الذي قدمه صموئيل. فانفجرت الفتيات من الضحك وابتسمت العمة جيمسينا.

«ليس مناسبًا أن تسخرن من عشاقكن « ، قالت بجدية، لكنها أضافت بهدوء، «لقد فعلت ذلك دائمًا أيضا.»

«حدثينا عن عشاقك، عمتي»، توسلت فيل. «يجب أن يكون لديكِ عدد لا يحصى منهم.»

«هـم ليسـوا مـن الماضـي»، ردت العمـة جيمسـينا. «لا زلـت أحظى بعشاق. هناك ثلاثة أرامل كبار في السن في المنزل يلقون نظـرات حمقـاء نحوي منذ فترة طويلة. لا يجب على الشـباب أن يظنوا أنهم يمتلكون كل الرومانسية في العالم.»

«الأرامـل والنظـرات الحمقـاء لا يبـدو الأمـر رومانسـياحقا، عمتي.»

«حسـنًا، ليس كذلك، ولكن الشـباب ليسـوا دائمًا رومانسـيين أيضًـا. بعـض عشـاقي بالتأكيـد لم يكونـوا كذلك. كنـتُ أضحك عليهـم بطريقـة فاضحة، مسـاكين هم الصبيـان. كان هناك جيم إلوودالـذي كان دائمـا في من حالة من التأمل – لم يبدأبدًا وكأنه يـدرك مـا يحـدث. لـم يعحقيقـة أنني قلـت «لا» حتى بعـد مرور عـام علـى قولـي ذلـك. عندما تزوج سـقطت زوجته مـن الزلاجة فـي إحـدى الليالـي عندما كانا يعودان من الكنيسـة ولم يفتقدها أبـدًا. ثـم كان دان وينسـتون الـذي كان يعـرف كثيـرًا. كان يعرف كل شـيء فـي هـذا العالـم ومعظم ما هو فـي العالـم الآخر. كان يمكنه أن يعطيك إجابة لأي سـؤال، حتى لو سـألته متى سـيكون يـوم القيامـة. كان ميلتـون إدواردز لطيفًا حقًـا وكنت أحبه ولكني لـم أتزوجـه. فقد اسـتغرق أسـبوعًا لفهم نكتـة، والآخر لم يطلب منـي الـزواج أبـدًا وهوراتيـو ريف الـذي كان أكبرعشـاقي. ولكن عندمـا كان يحكـي قصةً، كان يزينهـا بحيث لا يمكنك أن ترى إلا الزخـارف. لـم أسـتطع أن أقرر ما إذا كان يكـذب أم يترك خياله يجري بحرية.»

«وماذا عن الآخرين، عمتي؟»

«اذهبـي وفكـي حقيبتـك»، قالت العمـة جيمسـينا. «الآخرون كانوا لطفاء جدًا لا أريد أن أستهزأ بهم. سأحترم ذكراهم. هناك

باقة من الزهور في غرفتك يا آن، جاءوا بها قبل حوالي ساعة.»

بعد الأسبوع الأول، استقرت فتيات منزل باتي في دراستهن بشكل ثابت. فقد كانت هذه سنتهن الأخيرة في ريدموند، وعلى شرف التخرج أن يتم النضال من أجله باستمرار. كرست آن نفسها للغة الإنجليزية، بينما غمرت بريسيلا الكلاسيكيات، ودققت فيليبا في علم الرياضيات. أحيانًا كانوا يشعرون بالتعب، وأحيانًا كانوا يشعرون بالإحباط، وأحيانًا لا شيء يبدو يستحق المجاهدة من أجله. في إحدى هذه التقلبات المزاجية، صعدت ستيلا إلى الغرفة الزرقاء في مساء نوفمبر الممطر. جلست آن على الأرض في دائرة صغيرة من الضوء المنبعث من المصباح بجانبها، وسط كومة من الورق الممزق.

«ماذا تفعلين في العالم؟»

«أنظر فقط إلى بعض قصص نادي القصة القديمة. أردت شيئًا يحس ويمتع في الوقت نفسه. لقد درست حتى بدت الدنيا لي بلون أزرق. لذا جئت هنا وأخرجت هذه من صندوقي. إنها مشبعة بالدموع والمأساة بحيث تكون مضحكة بشكل مؤلم.»

«أنا حزينة ومحبطة أيضًا»، قالت ستيلا، ملقية نفسها على الأريكة. «لا شيء يبدو لي يستحق. حتى أفكاري نفسها قديمة. لقد فكرت فيها كلها من قبل. ما هي الفائدة من العيش في النهاية، آن؟»

«عزيزتي، إنه مجرد إرهاق عقلي يجعلنا نشعر بهذا الشكل، وكذلك الطقس. ليلة ممطرة كهذه، تأتي بعد يوم شاق من العمل، ستكون قاسية على أي شخص. أنتِ تعلمين أن الحياةجديرأن تعاش.»

«أوه، أفترض ذلك. ولكن لا أستطيع أن أثبته لنفسي في الوقت الحالي.»

«فقط فكري في كل النفوس العظيمة والنبيلة التي عاشت وعملت في العالم»، قالت آن بتأمل. «أليس من المستحق أن نأتي بعدهم ونرث ما فازوا به وعلموه؟ أليس من المستحق أن نعتقد أننا يمكننا مشاركة إلهامهم؟ وبعد ذلك، جميع النفوس العظيمة التي ستأتي في المستقبل؟ أليس من المستحق أن نعمل قليلاً ونعد الطريق لهم ونجعل خطوة واحدة في مسارهم أسهل؟»

«أوه، عقلي يتفق معك، آن. ولكن روحي تظل كئيبة وغير ملهمة. أنا دائمًا حزينة ومهترئة في ليالي المطر.»

«في بعض الليالي، أحب المطر وأحب أن أستلقي في السرير وأسمعه يقرع على السقف ويتساقط خلال أشجار الصنوبر.»

«أنا أحبه عندما يظل على السقف،» قالت ستيلا. «ليس دائمًا. قضيت ليلة فظيعة في منزل ريفي قديم الصيف الماضي. كان السقف يتسرب والمطر يتساقط بسرعة على سريري. لم يكن الأمر شاعريا. كان علي الوقوف في ظلام الليل والبحث عن حل لسحب السرير من تحت القطرات، وكان أحد تلك الأسرة القوية القديمة الثقيلة التي تزن طنًا أو أكثر. ومن ثم ، استمرت تلك قطرة قطرطوال الليل حتى انهارت أعصابي تمامًا. ليس لديك فكرة عن الضوضاء الغريبة التي تصدرها قطرة كبيرة من المطر عندما تسقط على الأرض العارية في الليل. تبدو وكأنها خطى أشباح. ما الذي تضحكين عليه، آن؟»

«هذه القصص. كما ستقول فيل، قاتلة فالجميع ماتوا فيها. كم كانت بطلاتنا جميلات ورائعات وكيف كنا نلبسهن الحرير والصوف والمخمل والجواهر. فلم يرتدين أبدًا شيئًا آخر. إليك

إحدى قصص جين أندروز تصوّر بطلتها نائمة في ملابس ليلية بيضاء جميلة مطرزة باللؤلؤ.»

«تابعي»، قالت ستيلا، «أبدأ في الشعور بأن الحياة تستحق العيش طالما هناك ضحكفيها.»

«إليك واحدة كتبتها أنا. بطلتي تستمتع في حفل راقص «متلألئة من الرأس إلى القدمين بالماس الصافي الكبير.» ولكن ما قيمةالجمال أو الثوب الغالي؟ «مسارات العظمة تؤدي إلى القبر.» يجب أن يتم قتلهن أو أنيمتن من جراء قلب مكسور. لم يكن هناك هروب لهم.»

«دعيني أقرأ بعض قصصك.»

«حسنًا، إليك تحفتي الأدبية. لاحظي عنوانها المبهج – «قبوري.» ألقيت كميات من الدموع أثناء كتابتها، وصديقاتي الأخريات فعلن ذلك أثناء قراءتها. عاتبت والدة جين أندروز ابنتها بشدة لأنها كان لديها الكثير من المناديل في الغسيل ذلك الأسبوع. إنها قصة مروعة عن تجوال زوجة قسيس ميثودي. جعلتها ميثودية لأنه كان من الضروري أن تتجوّل. دفنت طفلًا في كل مكان عاشت فيه. كانوا تسعة وكانت قبورهم منفصلة بعيدة جدًا، تمتد من نيوفاوندلاند إلى فانكوفر. وصفت الأطفال، رسمت أسرّة الوفاة الخاصة بهم، وحكت عن قبورهم ونقوشها. كنت قد نويت أن أدفن الجميع، ولكن عندما تخلصت من ثمانية منهم، نفدت مني مخيلتي بسبب الرعب، وسمحت للتاسع أن يعيش كعاجز لا أمل في شفائه.»

بينما كانت ستيلا تقرأ «قبوري»، وتضيف ترقيقًا للفقرات المأساوية بابتسامات صاخبة، وكان راستي نائمًا نوما عميقا فوق قصة جين أندروز عن عذراء جميلة تبلغ من العمر خمسة

عشـر عامًـا ذهبـت لتمـرض فـي إحـدى المسـتعمراتبالجذام – وبالطبع تموت في النهاية بسبب هذا المرض البغيض –ألقت آن نظـرة آن علـى المخطوطات الأخـرى وتذكرت الأيام الخوالي في مدرسـة أفونلـي عندما كتب أعضاء نـادي القصة هذه القصص. كـم كانـت تلـك اللحظـات ممتعـة! كيـف عـادت شـمس الصيـف وفـرح تلـك الأيـام القديمة عندمـا قرأتها. لم يكـن يمكن لجمال اليونان أو عظمة روما أن يخيما بسحر مثل سحر تلك الحكايات المضحكـة والمبكية لنادي القصة. بين المخطوطات، وجدت آن واحدة كتبت على أوراقالتغليف. موجة من الضحك ملأت عينيها الرماديتيـن حينمـا تذكرت وقت ومكان نشـوء هـذا النص. كانت القصـة التـي كتبتهـا في اليـوم الذي وقعت فيه من خلال سـقف قـن البـط في طريق تـوري. نظرت آن إليها، ثم بدأت في قراءتها بانتبـاه. كان حـوارا صغير بين زهور الأسـتير والعـدس الجميلة، والكناري البري فوق شـجيرة الليلك، وروح حارس الحديقة. بعد قراءتها، جلسـت تحدق في الفراغ، وعندما ذهبت سـتيلا، قامت بترتيب المخطوطة المجعدة.

«أعتقد أنني سأفعل ذلك»، قالت بعزم.

الفصل السادس والثلاثون
نـداء الحدائق

«إليـك رسـالة بطابـع هندي لـك، عمة جيمسـي»، قالت فيل. «وهناك ثلاث رسـائل لسـتيلا، واثنتان لبريس، وواحدة رائعة لي من جو. وليس هناك شيء لكِ، آن، إلا دعوة إدارية.»

لـم يلاحـظ أحد احمـرار آن عندمـا أخذت الرسـالة الرقيقة التـي ألقتهـا فيـل بلا اهتمام. ولكـن بعد دقائق قليلـة رفعت فيل نظرها إلى الأعلى لترى آن متغيرة.

«حبيبتي، ما الخير الذي حدث؟»

«قد قبلت صحيفة الشـباب قصة قصيرة أرسـلتها إليهم قبل أسـبوعين»، قالت آن، وهي تحاول جاهدة التحدث وكأنها معتادة على قبول قصصها في كل مرة، لكنها لم تنجح تمامًا.

«آن شـيرلي! كم هو رائع! ماذا كانت؟ متى سـيتم نشـرها؟ هل دفعوا لك مقابلها؟»

«نعم؛ لقد أرسلوا شيكًا بقيمة عشرة دولارات، والمحرر يكتب أنه يود رؤية المزيد من أعمالي. ليطلع عليها. كانت قصة قديمة وجدتها في صندوقي. أعدت كتابتها وأرسـلتها، ولكني لم أعتقد حقًـا أنهـا قـد تكون مقبولة لأنهـا لم تكن ذات حبكـة»، قالت آن، مستحضرة تجربة مريرة من تكفير آفيريل.

«ما الذي ستفعلين بالعشرة دولارات، آن؟ دعونا نذهب جميعًا إلى المدينة ونستمتع»، اقترحت فيل.

«سـأبذرها في متعة غير محسـوبة»، أعلنت آن بسعادة. «على كل حال، ليسـت أموالًا ملوثة مثل الشـيك الذي حصلت عليه من تلـك القصـة المروعة عن الخميرة وأنفقتها بشـكل مدروس على الملابس ثمّ كرهتها في كل مرة ارتديتها.»

«تخيلـوا وجود كاتب حقيقي في منزل باتي»، قالت بريسـيلا. «إنها مسؤولية كبيرة»، قالت العمة جيمسينا بجديّة.

«بالفعـل،» أكـدت بريس بجدية مسـاوية، «الكتّاب مثل الثيران الحساسـة. لا تعلـم أبـدًا متـى أو كيف سـينفجرون. قد تكتب آن عنا.»

«كنـت أقصد أن القـدرة على الكتابة للصحافة هي مسـؤولية كبيـرة»، قالت العمة جيمسـينا بجدية، «وآمـل أن تدرك آن ذلك. كانـت ابنتـي تكتـب قصصًـا قبـل أن تهاجـر، ولكنهـا الآن وجهت اهتمامهـا إلـى أمـور أعلى. كانـت تقول دائمًا أن شـعارها هو «لا تكتبي سطرًا لن تفخري بقراءته في جنازتك». يفضل أن تطبقي هذا على نفسك، آن، إذا كنتِ ستدخلين عالم الأدب. على الرغم مـن ذلـك»، أضافـت العمة جيمسـينا بحيـرة، «إن إليزابيث كانت دائمًـا تضحـك عندما تقول ذلك. كانت دائمًا تضحك كثيرًا حتى لا أدري كيف قررت أن تكون مبشِّرة. أنا ممتنة لها – كنتُ أصلي أن تقرر ذلك – ولكن – أتمنى لو لمتفعل.»

ثم تسـاءلت العمة جيمسـينا عن سـبب ضحك أولئك الفتيات المتهورات جميعهن.

لمعـت عينـا آن طـوال ذلـك اليـوم؛ والطموحـات الأدبية نمت وازدهـرت فـي عقلها؛ رافقتها حماسـتها إلى الحفل الذي نظمته

جينـي كوبـر، وحتى لم يسـتطع منظر جيلبرت وكريستينيمشـيان قبلهـا وقبـل روي، أن يطفـئ تلك الشـرارة اللامعـة لآمالها. ومع ذلك،لم تكن منغمسـة تمامًا في آمالها حتى لا تلاحظ أن مشـي كريستين كان غير أنيق.

«ولكن أفترض أن جيلبرت ينظر فقط إلى وجهها نظرة رجل»، فكرت آن بسخرية.

«هل ستكونين في المنزل يوم السبت بعد الظهر؟» سأل روي.

«نعم.»

«أمي وشقيقاتي سيأتين لزيارتك»، قال روي بهدوء.

شـيء مـرّ على آن، يمكـن وصفه بأنه شـعور، ولكنهبالكاد كان لطيفًـا. لـم تلتقِ بأحد مـن عائلة روي من قبل؛ وقد أدركت مغزى تصريحـه؛ وكانَ لـه، بطريـق ما، نوع من اللاقابلية يجعلها تشـعر بالبرودة.

«سـأكون سـعيدة برؤيتهم»، قالت بتلقائية؛ ثم تسـاءلت ما إذا كانت سـتكون حقًا سـعيدة. يجب أن تكون، بالطبع. ولكن هل لن سـيكون هـذا تحديًا؟ وصلت إلـى آن أخبار متناقلـة تتعلق بنظرة الهيـام التـي يـرى بهـا آل ابنهـم وأخيهـم. يجب أن يكـون روي قد فرض ضغطًا فيما يتعلق بهذه الزيارة. كانت آن تعلم أنها ستكون محل تقييم. ولكن حقيقة أنهم قد وافقوا على الزيارة، يعني أنهم، بغـض النظر عـن رغبتهم أو عدم رغبتهـم، يرونها كعضو محتمل في عشيرتهم.

«سـأكون علـى طبيعتـي. لن أحـاول أن أترك انطباعًـا جيدًا»، فكرت آن بغطرسـة. ولكنها كانت تتسـاءل عن الثوب الذي يجب عليهـا ارتـداؤه يـوم السـبت، وإذا كان النمـط الجديـد لتصفيف الشـعر العالـي سيناسـبها أكثر من النمـط القديـم. وكانت رحلة

المشـي قد فسـدت بعض الشيء بالنسـبة لها. وفي الليل، قررت أن ترتدي فستانها البني يوم السبت وتترك شعرها منخفضًا.

بعـد الظهـر من يـوم الجمعة، لم يكن لـدى الفتيات أي فصول دراسـية فـي ريدموند. استغلت سـتيلا الفرصـة لكتابـة ورقـة لجمعيـة فيلوماثيـك، وكانت تجلس عنـد الطاولة في زاوية غرفة المعيشية مع فوضى غير منظمة من الملاحظات والمخطوطات على الأرض حولها. وكانت سـتيلا دائمًا تقسـم أنها لن تسـتطيع كتابـة أي شـيء مـا لم ترمـي كل ورقة عندما تنتهـي منها. وكانت آن، فـي بلـوزة الفلانيل وتنورة السـيرج، وشـعرها يعبث به الرياح بعد عودتها إلى المنزل، تجلس بشكل مريح وسط الأرض، تستفز القطة سـارة. كان جوزيف وروستي ملتفين على حضنها. ورائحة البرقوق الدافئة ملأت المنزل بأكمله، حيث كانت بريسيلا تطهو فـي المطبـخ. فـي النهايـة، دخلـت، متلفّـة بمئزرووجههـا مغطى بلطخـة من الطحين، لتُريللعمة جيمسـينا كعكة الشـوكولاته التي قد قامت بتجميلها للتو.

في هذه اللحظة ، سُمع صوت الطرق على الباب. لم يُلق أحد انتباهًـا لـه، إلا فيـل، التـي قفزت وفتحـت البـاب، متوقعة وجود صبـي يحمـل القبعـة التي اشـترتها ذلك الصباح. وقفت السـيدة جاردنر وبناتها على عتبة الباب.

سـارعت آن للنهـوض بطريقـة مـا، مفرغـة اثنين مـن القطط المسـتاءة مـن حضنهـا ونقـل عظم الأمنيـة بشـكل ميكانيكي من يدها اليمنى إلى يدها اليسـرى. بينما فقدت بريسـيلا، التي كان يجـب عليهـا عبـور الغرفـة للوصول إلى بـاب المطبـخ، صوابها، وأخفت كعكة الشـوكولاته بشـكل وحشـي تحت وسادة على أريكة الزاوية، واندفعت للطابق العلوي. بدأت سـتيلا بجمع مخطوطها

بحماس. فقط العمة جيمسينا وفيل بقيتا طبيعيتين. بفضلهما، جلس الجميع براحة، حتى آن. عادت بريسيلا بلا مريلة وبدون أي أثر من الفوضى، وقلصت ستيلا زاوية مكانها، وأنقذت فيل الوضع بتدفقهافي المحادثات الصغيرة الجاهزة.

كانت السيدة جاردنر طويلة ونحيفة وجميلة، متأنقة بفستان رائع، ودافئة بحرارة ويبدو أنها غير مجاملةقليلاً .وكانتأليس جاردنر نسخة أصغر من والدتها، ناقصة في الدفء. حاولت أن تكون لطيفة، لكنها نجحت فقط في أن تكون متكبرة ومتبجحة. ودوروثيجاردنر كانت نحيفة وفاتحة ومرحة ومظهرها كان منحرفًا قليلاً عن التقاليد الأنثوية. كانت آن تعلم أنها هي الأخت المفضلة لدى روي وكانت تشعر بالتواصل معها. كانت ستبدو كثيرًا مثل روي لو كانت لديها عيون غامضة داكنة بدلاً من العيون الفاتحة. بفضلها هي وفيل، كانت الزيارة جيدة جدا، باستثناء شعور طفيف بالتوتر في الجو وحدوث حادثين غير ملائمين. فقد بدأ رستي وجوزيفلعبة الملاحقة، وقفزا بجنون إلى حضن السيدة جاردنر الحريري وخرجا منه في مسيرتهما البرية. رفعت السيدة جاردنر نظارتها ونظرت خلف أشكالهما الطائرة كما لو أنها لم تر قططًا من قبل، وكانت آن، وهي تكبح ضحكًا عصبيًا بشكل طفيف، تعتذر بأفضل ما يمكنها.

«أنتِ محبة للقطط؟» قالت السيدة جاردنر، بلهجة مستنكرة.

على الرغم من حبها لـ «راستي»، لم تكن آن معجبة بالقطط بشكل خاص، ولكن توجيه السيدة جاردنر للكلام أزعجها. وفي غمرة الأفكار، تذكرت آن بشكل غير مترتب أن السيدة جون بلايث كانت تحب القطط إلى درجة أنها أبقتها على قدر ما يسمح لها زوجها.

«إنهـا حيوانـات لطيفـة، أليس كذلك؟» قالـت بمكر. «لم أحب القطط أبدًا»، قالت السيدة جاردنر.

«أنـا أحبهـم»، قالـت دوروثـي. «إنهـم لطفـاء وأنانيـون للغاية. الكلاب جيدة ولا غير أنانية. إنها تجعلني أشعر بالانزعاج. ولكن القطط تشبه الإنسان بشكل رائع.»

«لديـكِ كلبـان رائعـان مـن الخـزف الصيني هنا. هـل يمكنني النظـر إليهمـا عن كثـب؟» قالت أليـن، متجهة نحـو المدفأة وهو ما أصبح السـبب غير المدرك للحادث الآخر. بينما كانت تحمل «ماجوج»، جلست على الوسادة التي كانت تحتها كعكة الشوكولاتة الخفية لبريسيلا. تبادلت بريسيلا وآن نظرات مؤلمة ولكنهما لم تستطيعا فعل شيء. استمرت السيدة ألين الرصينة في الجلوس على الوسادة ومناقشة كلاب الخزف الصيني حتى وقت المغادرة.

ظلـت دوروثيلآخـر لحظـة تضغـط على يد آن وتهمس بشـكل دافئ.

«أنـا أعرف أننا سـنكون صديقتيـن. أوه، روي قد حكى لي كل شـيء عنـكِ. أنا الوحيـدة في العائلـة التي يخبرني عنـك، الفتى المسكين، لَا يمكن لأحد أن يثق في الكلام مع الأم وألين، تعلمين. لا بد أنكنتمضين أوقاتا رائعة هنا يا فتيات! ألن تدعينني أن آتي وأشارك فيها؟»

«تعالـي كما تشـائين»، أجابـت آن بحرارة، ممتنـة لكون إحدى أخوات روي كانت قابلة للإعجاب. لن تحب ألين أبدًا، هذا مؤكد. ولـن تحبهـا ألين أبـدًا، علـى الرغم من أنها قد تكسـب السـيدة جاردنـر. فـي المجمـل، أطلقـت آن تنهيـدة صفاء عندمـا انتهت المحنة.

انتقلت بريسيلا بشكلٍ مأساوي، ورفعت الوسادة. «هذه الكعكة الآن يمكن أن تسمى فشلًا تامًا. والوسادة أيضًا أفسدت. لا تقلن لي أن يوم الجمعة ليس يومًا منحوسا.»

«الناس الذين يرسلون رسالة يأتون فيها يوم السبت، لا يجب أن يأتوا يوم الجمعة»، قالت العمة جيمسينا.

«أعتقد أنه كان خطأ روي»، قالت فيل. «هذا الفتى ليس مسؤولًا حقًا عما يقوله عندما يتحدث إلى آن. أين هي آن؟»

كانت آن قد صعدت إلى الطابق العلوي. شعرت بشيء غريب يشبه البكاء. ولكنها وجدت نفسها تضحك بدلاً من ذلك. كان راستي وجوزيف فظيعين للغاية! ودوروثي كانت حقًا عزيزة.

الفصل السابع والثلاثون
درجات البكالوريوس الكاملة

«أتمنى لو كنت ميتًا، أو أن يحلمساء الغد»، تأوهت فيل.

«إذا عشت طويلاً، ستتحقق الأمنيتان»، قالت آن بروية.

«من السهل عليك أن تكوني هادئة. أنت جيدة في الفلسفة. أما أنا، عندما أفكر في ذلك الاختبار الرهيب غدًا، أرتجف. إذا فشلت فيه، ماذا سيقول جو؟»

«لن تفشلي. كيف كنتِ في امتحان اليونانية اليوم؟»

«لا أعلم. ربما كان جيدا، وربما كان سيئا بما فيه الكفاية لجعل هوميروس يتقلب في قبره. لقد درستُ وتفحصت في الملاحظات حتى أصبحت غير قادرة على تكوين رأي حول أي شيء. كم ستكون فيل صغيرة شاكرةً عندما تنتهي كل هذا الاستجواب.»

«استجواب؟ لم أسمع مثل هذه الكلمة قط.»

«حسنًا، أليس لي نفس الحق في ابتكار كلمة كأي شخص آخر؟» طالبت فيل.

«الكلمات لا تُبتَكر، بل تتطور»، قالت آن.

«لا يهم، أريد أن أرى أمامي ماء نقيا حيث لا يعتريه موج الامتحانات. أيتها الفتيات، هل تدركن أن حياتنا في ريدموند

تقترب من النهاية؟»

«لا أستطيع»، قالت آن بحزن. «يبدو وكأنه البارحة عندما كنا أنا وبريس وحدنا في تلك الحشود من الطلاب الجدد في ريدموند. والآن نحن في الامتحانات النهائية.»

«ناضجات حكيمات، ومحترمات»، قالت فيل. «هل تعتقدن أننا حقاً أكثر حكمةً مما كنا عليه عندما جئنا إلى ريدموند؟»

«لا تتصرفي كما لو أنك كنتِ كذلك في بعض الأحيان»، قالت العمة جيمسينا بجدية.

«أوه، عمة جيمسي، ألم نكن فتيات جيدات إلى حد كبير خلال هذه الثلاث سنوات التي كنتِ فيها أمًا لنا؟» توسلت فيل.

«لقد كنتِ أربعا من أجمل وألطف وأفضل الفتيات اللاتي مررنَ بالكليةَ على الإطلاق»، أكدت العمة جيمسينا، التي لم تفسد أي إطراء بالتقشف في كلامها في الموضع الخاطئ.

«لكنني أشك في أنكن لا تمتلكن الكثير من الحكمة حتى الآن. لا يمكن توقع ذلك، بالطبع. الخبرة تعلم الحكمة. لا يمكنك أن تتعلمها في الجامعة. لقد ذهبتنَ إلى الكلية لمدة أربع سنوات ولم أفعل أنا، ولكني أعلم أكثر بكثير منكن، يا سيداتيالصغيرات.»

«هناك الكثير من الأشياء التي لا تسير بحسب القاعدة،
هناك كومة هائلة من المعرفة
لن تحصلي عليها أبدًا في الكلية،
هناك الكثير من الأشياء التي لن تتعلميها في المدرسة،»
قالت ستيلا.

«هل تعلمتنَ شيئًا في ريدموند باستثناء اللغات القديمة والهندسة ومثل هذا الهراء؟» سألت العمة جيمسينا.

«أوه، نعم. أعتقد أننا فعلنا، عمتي»، احتجت آن.

«لقد تعلمنَ حقيقة ما قاله البروفيسور وودلي في آخر جلسة فلسفية لنا»، قالت فيل. «قال: «الفكاهة هي التوابل الأكثر حموضة في وجبة الوجود. اضحكي على أخطائك ولكن تعلمي منها، اضحكي على مشاكلك ولكن اجمعي القوة منها، اصنعي مزحة من صعوباتك ولكن تغلبي عليها.» أليس ذلك جديرًا بالتعلم، عمة جيمسي؟»

«نعم، عزيزتي. عندما تتعلمينَ أن تضحكي على الأشياء التي يجب أن تضحكي عليها، ولا تضحكي على تلك التي لا ينبغي، فقد حصلتِ على الحكمة والفهم.»

«ماذا استفدتِ من دراستك في ريدموند، آن؟» همست بريسيلا.

قالت آن ببطء «أعتقدأنني تعلمتُ حقًا أن أنظر إلى كل عائق صغير كمزحة وكل عائق كبير كمقدمة للنصر. إجمالًا، أعتقد أن هذا ما منحتني إياه ريدموند.»

«سأضطر إلى اللجوء إلى اقتباس آخر من البروفيسور ودلي للتعبير عما فعلته هذه الفترة بالنسبة لي»، قالت بريسيلا. «تتذكرين ما قاله في خطابه، «جميع ما في العالم لنا فقط إذا كان لدينا العيون لرؤيته، والقلب ليحبه، واليد لنجمعه ، هناك الكثير من الرجال والنساء، الكثير من الفن والأدب، الكثير من كل مكان للاستمتاع به، وللشكر عليه.» أعتقد أن ريدموند علمتني ذلك إلى حدٍ ما، آن.»

«إذا كنتً سأحكم من خلال ما تقلنَه جميعًا فأعتقد أنه يمكنك تعلم – إذا كان لديك الحس الطبيعي الكافي – في أربع سنوات في الكلية ما يستغرق حوالي عشرين سنة من الحياة لتتعلمه. حسنًا، هذا يبرر التعليم العالي في رأيي. إنها مسألة كنتُ دائمًا

مترددة فيها في الماضي.»أقرت العمة جيمسينا
«ولكن ماذا عن الناس الذين ليس لديهم الحس الطبيعي، عمة جيمسي؟»
«النـاس الذيـن ليس لديهم الحس الطبيعـي لا يتعلمون أبدًا»، ردت عمة جيمسـينا، «سـواء في الكلية أو في الحياة. إذا عاشـوا حتـى يبلغـوا القرن الأخيـر، فإنهم حقًا لن يعرفوا أي شـيء أكثر مما كانوا عليه عندما وُلدوا. إنها مصيبتهم وليس خطأهم، إنهم فقـراء النفـوس. ولكن الذين لديهم بعض الحـس يجب عليهم أن يشكروا اللّٰه على ذلك بشكل لائق.»
«هـل تسـتطيعين تحديد ما هـو هذا الحس، عمة جيمسـي؟» سألت فيل.
«لا، لـن أفعل، أيتها الشـابة. أي شـخص لديـه حس يعرف ما هو، وأي شخص ليس لديه لن يعرف أبدًا ما هو. لذلك لا حاجة لتعريفه.»
الأيـام المزدحمة تطير، وانتهـت الامتحانات. حصلت آن على تكريم عالٍ في اللغة الإنجليزية. حصلت بريسيلا على تكريم في الدراسات الكلاسيكية، وحصلت فيل على تكريم في الرياضيات. وحصلت ستيلا على أداء جيد في كل المجالات. ثم جاء الاحتفال.
«هـذا مـا كنتُ سأسـميه مرحلـة هامة في حياتـي»، قالت آن، بينمـا تأخـذ أزهار روي من صندوقها وتحـدق فيها بتأمل. كانت تنوي حملها، بالطبع، ولكن عيناها تحولت إلى صندوق آخر على طاولتهـا. كان مليئًـا بزهور زنبق الوادي، طازجة وعطرة مثل تلك التـي ازدهـرت في فنـاء البراري الخضراء عندما جـاء يونيو إلى أفونلي. وكانت بطاقة جيلبرتبلايث بجواره.
تسـاءلت آن عن السـبب الذي دفع جيلبرت إلى إرسال الزهور

إليها بمناسبة الحفل. لم تكن قد رأته كثيرا خلال الشتاء الماضي. جاء إلى «منزل باتي» مساء واحد فقط منذ عطلة عيد الميلاد، ونادرًا ما التقيا في أماكن أخرى. كانت تعلم أنه كان يدرس بجد، يهدف إلى تحقيق تكريم عالٍ وجائزة كوبر، ولم يشارك كثيرًا في الأنشطة الاجتماعية في ريدموند. بينما كان شتاء آن حيويًا واجتماعيًا. رأت الكثير من آل غاردنر. هي ودوروثي كانتا صديقتين جدًا، وكان يتوقع من الدوائر الجامعية أن تعلن عن خطوبتها لروي في أي يوم. كانت آن نفسها تتوقع ذلك. ومع ذلك، قبل أن تغادر «منزل باتي» إلى الاحتفال بالتخرج، رمت زهور روي جانبًا ووضعت زنبق الوادي التي أرسلها جيلبرت مكانها. لم تكن قادرة على أن تشرح لماذا فعلت ذلك. بطريقة ما، بدت أيام أفونلي القديمة والأحلام والصداقات قريبة جدًا منطموحاتها الطويلة المتمناة. كانت هي وجيلبرت قد تصورا بسرور اليوم الذي سيكونان فيه خريجين من الكلية. وقد حان ذلك اليوم الرائع ولم تكن زهور روي لها مكانًا فيه. إنما بدت زهور صديقها القديمة وكأنها تنتمي إلى هذه الثمرة اللطيفة من الآمال القديمة التي شاركها فيها ذات مرة.

لسنوات طويلة، كان هذا اليوم يُغريها. ولكن عندما حان الوقت، كانت الذاكرة الوحيدة الحادة والدائمة التي تركها لها ليست لحظة الانفعال عندما قدم لها رئيس جامعة ريدموند قبعتها وشهادتها ومنحها درجة البكالوريوس. لم تكن لحظة الوهج في عيون جيلبرت عندما رأى زنبقها، ولم تكن نظرة الحيرة والألم التي أعطاها روي وهو يمر بجوارها على المنصة. لم تكن التهاني المتجبرة من آلينجاردنر، أو التمنيات الحماسية والعفوية من دوروثي. بل كانت تلك الطعنة الغريبة وغير المفهومة التي

خربت هذا اليوم المتوقع منذ فترة طويلة بالنسبة لها وأعطته نكهة خفيفة ولكن دائمة المرارة.

أقام خريجو الفنون حفل تخرج تلك الليلة. عندما ارتدت آن للحفل، رمت جانبًا الخرز اللؤلؤي الذي كانت عادةً ما ترتديه وأخذت من صندوقها الصغير الذي وصل من البراري الخضراء في يوم عيد الميلاد. كانت فيه قلادة ذهبية رفيعة مع قلب وردي. وكتب على البطاقة المرافقة: «مع كل التمنيات الطيبة من صديقك القديم، جيلبرت». ضحكت آن عندما تذكرت ذلك اليوم الكارثيحين أطلق جيلبرت عليها لقب «الجزر» وحاول بشكل عبثي أن يقدم لها صلحًا مع قلب حلوى وردية، ثم كتبت له مذكرة شكر لطيفة. ولكنها لم ترتدي هذه القلادة أبدًا. الليلة، ربطتها حول حنجرتها البيضاء بابتسامة حالمة.

مشت آن وفيل إلى ريدموند معًا. مشت آن في صمت، في حين أن فيل كانت تتحدث بشكل متفاوت حول العديد من الأمور. وفجأة، قالت:

«سمعت اليوم أن خطوبة جيلبرتبلايث مع كريستين ستيوارت سيتم الإعلان عنها بمجرد انتهاء الاحتفال. هل سمعت شيئًا عن ذلك؟»

«لا»، قالت آن.

«أعتقد أن ذلك صحيح»، قالت فيل بخفة.

لم تتحدث آن. في الظلام، شعرت بوجهها يحترق. جذبت يدها إلى داخل ياقتها وأمسكت بالسلسلة الذهبية. لفة واحدة قوية وانقطعت. دست آن القلادة المكسورة في جيبها. كانت يديها ترتعش وعيناها تحترق. لكنها كانت أكثر الحاضرين سعادة في تلك الليلة، وقالت لجيلبرت بلا أسف أن بطاقتها ممتلئة

عندمـا جـاء ليطلب منهـا الرقص. بعد ذلك، وعندما جلسـت مع الفتيات أمام الجمرات الخافتة في «بيت باتي»، وهن يزلن برودة الربيـع مـن جلودهن الحريريـة، لم يكن هناك مـن تحدث بأمانة أكثر منها عن أحداث اليوم.

«جاء مودي سبورغونمكفيرسون هنا الليلة بعد رحيلك»، قالت عمـة جيمسـينا. «لم يكـن يعلم عن رقصة التخـرج. يجب أن ينام هـذا الصبـي وحول رأسـه بشـريط مطاطـي لتدريـب أذنيه على عدم الانغلاق. كان لديه خطيبة مرة قامت بذلك وقد ذلك حسنه كثيـرًا. كنت من اقترح ذلك واتبعت نصيحتي، لكنه لم يسـامحني أبدًا على ذلك.»

«مودي سـبورغون شـاب جدي جـدًا»، قالت بريسـيلا بتثاقل. «إنه مهتم بأمور أخطر من أذنيه. سيكون قسيسًا، أتعلمين.»

تراجع كل نقد إضافي لمودي سبورغون. فقد كان لدى العمة جيمسـينا احترامًـا لائقًا بشـخص القس حتى فـي حالة كان هذا الولد الذي لم يكبر بعد.

الفصل الثامن والثلاثون

ظنّ خاطئ

«تخيلي أنني في مثل هذه الليلة من الأسبوع القادم سأكون في أفونلي – فكرة رائع!»

قالت آن، مائلةً على الصندوق الذي كانت تحزم فيه بطانيات السيدة راشيل لينـد. «لكن تخيلـي أنني في مثل هـذه الليلة من الأسـبوع القادم سـأكون بعيدًا إلى الأبد عن «منزل باتي» – فكرة رهيبة!»

«أتسـاءل عما إذا كان شـبح كل ضحكاتنا سـيتردد في أحلام باتي وماريا العذراوين»، تأملت فيل. كانت الآنستان قادمتين إلى البيت بعدما جولةحول معظم أجزاء الكرة الأرض الآهلة.

«سـنعود فـي الأسـبوع الثانـي مـن مايو» كتبـت الآنسـة باتي. «أتوقع أن «منزل باتي» سـيبدو صغيرًا نوعًا ما بعد قاعة الملوك فـي كرنـاك، ولكننـي لم أحـب أبدًا العيـش في الأماكـن الكبيرة. وسأكون سعيدة بما فيه الكفاية بأن أكون مرة أخرى في المنزل. عندمـا تبـدأ السـفر في وقـت متأخر مـن الحياة، فإنـك عرضة لتكرار ذلك كثيرا لأنك تعلم أن لديك القليل من الوقت المتبقي، وهـو شـيء يطغـى عليك. أخشـى أن ماريـا لن تكـون راضية مرة أخرى.»

«سأترك هنا أحلامي وأوهامي لتبارك القادم الجديد»، قالت آن، وهي تتفرس الغرفة الزرقاء بعينينمودعتين، حيث قضت ثلاث سنوات سعيدة. كانت قد ركعت عند نافذتها للصلاة، وكانت قد انحنت منها لمشاهدة غروب الشمس خلف الصنوبر. كانت قد سمعت قطرات المطر الخريفية تضرب نافذتها ورحبت بطيور الربيع عند حافتها. وتساءلت عما إذا كانت الأحلام القديمة يمكن أن تراود الغرف وعما إذا كان ترك الإنسان ،إلى الأبد، الغرفة التي فرح وعانى وضحك وبكى فيها، يترك فيها شيئا غير ملموس وغير مرئي ولكنه حقيقي، يخلفه وراءه مثل ذاكرة صوتية.»

«أعتقدأن الغرفة التي يحلم فيها الإنسان ويحزن ويفرح ويعيش تصبح متصلة بشكل لا يمكن فصله عن تلك العمليات وتكتسب شخصية خاصة بها. أنا متأكدة إذا دخلت إلى هذه الغرفة بعد خمسين عامًا من الآن، ستقول لي «آن، آن».قالت فيل. كم هيالأوقات الرائعة التي قضيناها هنا، حبيبتي! كم المحادثات والنكات واحتفالات الصداقة الطيبة التي كنا نتشاركها! أوه، كم هذا عزيز علي! أنا على وشك الزواج من جو في يونيو وأعلم أنني سأكون سعيدة بشكل مثير للدهشة. ولكن الآن فقط، أشعر كما لو أنني أرغب في أن تستمر هذه الحياة الجميلة في ريدموند إلى الأبد.»

«أنا غير عاقلة بما فيه الكفاية الآن لأتمنى ذلك أيضًا»، اعترفت آن. «بغض النظر عما إذا كان الفرح الأعمق سيزورنا في وقت لاحق، فلن نعيش مرة أخرى نفس الحياة اللذيذة والطائشة الذي عشناها هنا. انتهى الأمر إلى الأبد، فيل.»

«ما الذي ستفعلينه مع راستي؟» سألت فيل، بينما دخل ذلك

القط المحظوظ إلى الغرفة.

«سآخذه معي إلى المنزل مع جوزيف والقطة سارة»، قالت العمة جيمسينا وهي تتبع راستي. «سيكون من المؤسف أن نفصل بين تلك القطط الآن بعد أن تعلموا كيف يعيشون معًا. إنه درس صعب التعلم على القطط والبشر.»

«أنا آسفة لابتعادي عن راستي»، قالت آن بأسف، «ولكن لن يكون هناك فائدة من أخذه إلى البراري الخضراء. فماريلا تكره القطط، ودافي سيضيق عليه حياته. علاوة على ذلك، لا أعتقد أنني سأكون في المنزل لفترة طويلة. لقد عرضتعلي رئاسة مدرسة سامرساید الثانوية.»

«هل ستقبلينها؟» سألت فيل.

«أنا ... لم أقرر بعد»، أجابت آن، بوجه يظهر الحيرة.

أومأت فيل بتفهم. بطبيعة الحال، لا يمكن تحديد خطط آن حتى يتحدث روي. وسيتحدث قريبًا – لا شك في ذلك. ولا شك في أن آن ستقول «نعم» عندما يقول «هل ترغبين من فضلك؟»

آن نفسها استسلمتللأمور بتواضع نادر. كانت في حالة حب عميق مع روي. صحيح، لم يكن بالضرورة مثلما كانت تتخيل الحب. ولكن هل يشبه كل شيء في الحياةتخيلها له؟ سألت نفسها بتعب. إنها خيبة الألماس القديمة المتكررة من الطفولة – نفس الإحباط الذي شعرت به عندما رأت لأول مرة اللمعان البارد بدلاً من روعة اللون البنفسجي الذي كانت تتوقعه. «هذه ليست فكرتي عن الماس»، كانت قد قالت. ولكن روي كان رجلًا عزيزًا وسيكونان سعيدين جدًا معًا، حتى إذا كانت هناك نكهة مفقودة في حياتهما. عندما نزل روي ذلك المساء وطلب من آن أن يتجولا في الحديقة، كان الجميع في منزل باتي يعرفون

مـا الـذي جـاء ليقولـه؛ وكان الجميع يعرفـون، أو يعتقـدون أنهم يعرفون، ماذا ستكون إجابة آن.

«آن فتاة محظوظة جداً،» قالت العمة جيمسينا.

«أظـن ذلـك»، قالت سـتيلا، مقلبة كتفيهـا. «روي رجل لطيف وكل شيء. ولكن ليس هناك شيء حقيقي فيه.»

«هذا يبدو كتعليق غيور، ستيلا ماينارد»، قالت العمة جيمسينا بتوبيخ.

«نعم، لكنني لسـت غيورة،» قالت سـتيلا بهدوء. «أنا أحب آن وأحب روي. الجميع يقول إنهما ثنائي رائع، وحتى السيدة جاردنر تعتبرها ساحرة الآن. كل شيء يبدو كما لو أنه صنع في السماء، ولكـن لـدي شـكوكي. اسـتفيدي من ذلـك أكبر قـدر ممكن، عمة جيمسينا.»

طلب روي من آن أن تتزوجه في الباحة الصغيرة على شـاطئ الميناء حيث تحدثا في اليوم الممطر من لقائهم الأول. اعتبرت آن أنـه مـن الرومانسـية أن يكـون قـد اختـار هذا المـكان. وكان اقتراحـه جميـل الألفـاظ كمـا لـو كان قد نسـخه، كمـا فعل أحد عشـاق روبـي جيليس، من كتاب السـلوك في الخطوبـة والزواج. كانـت الحـدث كله لا تشـوبه شـائبة. وكان أيضًـا صادقا. لم يكن هناك شك في أن روي يقصد ما قاله. لم تكن هناك نغمة كاذبة تفسـد هذه السيمفونية. شـعرت آن أنها يجب أن تكون متحمسة من رأسـها إلى أخمص قدميها. لكنها لم تكن كذلك، كانت باردة بشـكل فظيـع. عندما وقـف روي ليأخذ إجابتها، فتحت شـفتيها لتقـول نعـم المصيريـة. وبعـد ذلـك – وجـدت نفسـها ترتعد كما لـو كانت تسـقط مـن هاوية. مرت بها إحدى تلـك اللحظات التي يومض فيها نور مفاجئ يجعل إدراكنابعده أكبر مما علمتنا جميع

السنوات السابقة. سحبت يدها من يد روي. «أوه، لا أستطيع أن أتزوجك - لا أستطيع - لا أستطيع»، صرخت بجنون.

شحب روي وبدا أنه يبدو غبيًا أيضًا. كان قد شعر - وليس عليه لوم كبير - باليقين الشديد من موافقتها.

«ماذا تعنين؟» تلعثم.

«أعني أنني لا أستطيع أن أتزوجك»، كررت آن بيأس. «كنت أعتقد أنه يمكنني ولكنني لا أستطيع.»

«لماذا لا تستطيعين؟» سأل روي بهدوءأكبر.

«لأنني لا أحبك كفاية.»

اكتسى وجه روي لونا قرمزيا.

«إذا كنت تتسلين ببطيلة عامين؟»، قال ببطء.

«لا، لا، لَم أفعل ذلك،» تنفست آن المسكينة. أوه، كيف يمكنها أن تشرح؟ لا يمكنها شرح ذلك. هناك أمور لا يمكن شرحها. «كنت أعتقد أنني أهتم - حقًا كنت - ولكني الآن أعلم أنني لا أفعل.»

«لقد دمرت حياتي»، قال روي بمرارة.

«سامحني»، ناشدت آن بتعاسة، بوجنتين حمراوين وعيون تحترق.

ألتفت روي ووقف لبضع دقائق ينظر نحو البحر. عندما عاد إلى آن، كان شاحبًا جدًا مرة أخرى.

«هل يمكنك أن تعطيني أملًا؟» قال.

أشارت آن بالرفض برأسها وهي صامتة.

«إذاً - وداعًا»، قال روي. «لا أستطيع أن أفهم ذلك - لا أستطيع أن أصدق أنك لست المرأة التي كنت أعتقد أنك عليها. لكن اللوم عديم الجدوى. أنت المرأة الوحيدة التي يمكنني أن

أحبها. أشكرك على صداقتك، على الأقل. وداعًا، آن.»

«وداعًا»، تلثمت آن. عندما ذهب روي، جلست طويلاً في المقعد، تراقب ضبابًا أبيضًا يتسلل نحو البرية في الميناء. كانت تشعر بالذل والاحتقار لنفسها . تغمرها موجات من الإحساس بالعار. ومع ذلك، تحت كل ذلك، كان هناك إحساس غريب بالحرية المستعادة.

انزلقت إلى بيت باتي في الشفق وهربت إلى غرفتها. لكن فيل كانت هناك على النافذة.

قالت آن وقد احمرت «انتظر حتى تسمعين ما أود قوله يا فيل، لقد عرض علي روي أن أتزوجه – ورفضت.»

«أنتِ – أنتِ رفضته؟» قالت فيل بدهشة.

«نعم.»

«آن شيرلي، هل أنتِ بخير؟»

«أعتقد ذلك»، قالت آن بملل. «أوه، فيل، لا توبخيني. أنتِ لا تفهمين.»

«بالطبع لا أفهم. لقد شجعت روي جاردنر لمدة عامين – والآن تخبرينني أنكِ رفضته. إذاً، لقد كنتِ تلعبين به. آن، لا أستطيع أن أصدق ذلك عنكِ.»

«لم أكن ألعب به – صدقًا اعتقدت أنني كنت أهتم حتى اللحظة الأخيرة – وبعد ذلك – حسنًا، فقط علمت أنني لن أستطيع أبدًا أن أتزوجه.»

«أفترضأنك عزمت الزواج منه بسبب ماله، وبعد ذلك قامت أناك العليا بمنعك.»قالت فيل بقسوة،

«لم أكن أعتزم ذلك. لم أفكر أبدًا في ماله. أوه، لا أستطيع أن أشرح لكِ ذلك أكثر مما استطعت شرحه له.»

«حسنًا، أعتقد أنكِ قد عاملتِ روي بشكل فاضح،» قالت فيل بغضب. «إنه وسيم وذكي وغني وجيد. ما الذي تريدينه أكثر؟»

«أريد شخصًا ينتمي إلى حياتي. هو لا يفعل ذلك. كنت قد أُسِرتُ من قبله في البداية بجاذبيته الجميلة وباهتمامه وبالإطراءات الرومانسية؛ وفي وقت لاحق اعتقدت أنني يجب أن أكون في حالة حب لأنه كان مثالياوبعيونه الداكنة.»

«أنا سيئة بما فيه الكفاية لعدم استقراري على رأي، ولكنكِ أسوأ»، قالت فيل.

«أنا عقلي مستقر،» احتجت آن. «المشكلة هي أن عقلي يتغير وبعد ذلك يجب علي أن أعاود التعرف عليه من جديد.»

«حسنًا، أظن أنه لا فائدة من قول أي شيء لك.»

«لا حاجة، فيل. أنا أشعر بالسوء. فسد كل شيء. لا يمكنني أن أفكر في أيام ريدموند دون أن أسترجع الإهانة التي تعرضت لها هذا المساء. يحتقرني روي – وتحتقرينني أنت – وأنا أحتقر نفسي.»

«يا حبيبتي المسكينة»، قالت فيل بإشفاق. «تعالي هنا واسمحي لي بأن أعزيك. ليس لي الحق في أن أعاتبك. كنت سأتزوج أليك أو ألونزو لو لم ألتقِ بجو. أوه، آن، الأمور مربكة جداً في الحياة الحقيقية. ليست واضحة وقطعية، كما هو الحال في الروايات.»

«آمل ألا يطلب مني أحد مرة أخرى أن أتزوجه طوال حياتي»، بكت آن المسكينة، مؤمنة بإخلاص أنها تقصد ذلك.

الفصل التاسع والثلاثون
قصص الزواج

شعرت آن بأن الحياة تضيق عليها بعد الأسابيع الأولى من عودتها إلى البراري الخضراء. كانت تشتاق إلى الفرحة والرفقة السعيدة في بيت باتي. فقد حلمت بأحلام براقة خلال الشتاء الماضي وهاهيتلك الأحلام ترقد الآن في الغبار من حولها. في مزاجها الحالي واشمئزازها من نفسها، لم تعد قادرة على البدء في الحلم مرة أخرى على الفور. واكتشفت أن الوحدة مع الأحلامأمر رائع، ولكن الوحدة دونها ليست ذات جاذبية كبيرة. لم تر روي مرة أخرى بعد فراقهما المؤلم في الحديقة؛ لكن دوروثي جاءت لرؤيتها قبل أن تغادر كينغسبورت.

«أنا آسفة جدًا لأنك لن تتزوجي روي،» قالت دوروثي. «كنت أرغب حقًا في أن تكوني شقيقتي. لكنكِ على حق تمامًا. سيكون مملاً حتى الموت. أنا أحبه، وهو صبي عزيز ولطيف، ولكنه حقًا ليس مثيرًا على الإطلاق. يبدو وكأنه كذلك ولكن الحقيقة مختلفة.»

«هل سيفسد هذا صداقتنا، دوروثي؟» سألت آن بحسرة.

«لا، بالطبع. أنتِ جيدة جدًا لا أريد أن أفقدك. إذا لم أتمكن من أن أكون لكِ شقيقة، فإنني سأحتفظ بكِ كصديقة على أي

حال. ولا تقلقي بشأن روي. إنه يشعر بألم فظيع الآن ويجب علي سماع شكواه كل يوم ولكنه سيتخطى. دائماً يفعل ذلك.»

«آوه دائمًا؟» قالت آن بتغيير طفيف في الصوت. «إذًا، هل تخطى ذلك من قبل؟»

«أوه مني، نعم»، قالت دوروثي بصراحة. «لمرتين. وكان يوهم نفسه بالكلام في كلتا المرتين. وليس هما من رفضتاه فعلياً، فقد أعلنتا ببساطة عن خطوبتهماعلى شخص آخر. بالطبع، عندما قابلكِ، أقسم لي أنه لم يكن قد أحب حقًا من قبل وأن المسائل السابقة كانت مجرد هواجس صبيانية. ولكنني لا أعتقد أنكِ بحاجة للقلق.»

قررت آن عدم القلق. كانت مشاعرها مزيجًا من الارتياح والاستياء. بالتأكيد، قال لها روي أنها كانت الوحيدة التي أحبها. لا شك أنه كان يعتقد ذلك. ولكن كان من الراحة أن تشعر بأنها لم تفسد حياته، على الأرجح. كانت هناك آلهة أخرى قد سبقتها، فقد كان روي، وفقًا لكلام دوروثي، دائما ما يتنسك في أحد المعابد. ومع ذلك، كانت الحياة قد أيقضتها من العديد من الأوهام، وبدأت آن تفكر بحزن في أنها تشعر بالخواء.

نزلت آن من زاوية الشرفة في مساء عودتها بوجه حزين.

«ماذا حدث لشجرة ملكة الثلج ياماريلا؟»

«آه، كنت أعلم أنك ستشعرين بالحزن بسبب ذلك»، قالت ماريلا. «شعرت بالحزن أنا أيضًا. كانت هذه الشجرة هناك منذ أن كنت فتاة صغيرة. انقلبت في العاصفة الكبيرة التي حدثت في مارس. كانت نواتها فاسدة.»

«سأفتقدها كثيرًا»، تألمت آن. «لا تبدو الغرفة نفس الغرفة بدونها. لن أنظر من نافذتها مرة أخرى دون شعور بالفقدان.

وآه، لـم أعـد يومًـا إلى البراري الخضـراء دون أن تكون ديانا هنا لترحب بي.»

«ديانا لديها شـيء آخر للتفكير فيه الآن»، قالت السـيدة لايند بشكل صريح.

«حسـنًا، أخبرينـي عـن أخبار أفونلي»، قالت آن، جالسـة على درج الشرفة، حيث سقطت أشعة الشمس المسائية على شعرها كمطر ذهبي جميل.

«لا توجـد الكثيـر مـن الأخبار إلا ما كتبنا لك»، قالت السـيدة لايند. «أظـن أنـك لم تسـمعي أن سـيمون فليتشـر كسـر سـاقه الأسبوع الماضي. إنه أمر عظيم بالنسبة لعائلته. لقد أصبح في إمكانهم القيامبمائة شيء كانوا دائمًا يرغبون في القيام به دائما ولكنهم لم يستطيعوا ذلك طالما كان حولهم العجوز العنيد.»

«إنـه ينحـدر مـن عائلـة مزعجة»، أشـارت ماريـلا. «مزعجة؟ حسـنًا، بـل وأكثر من مزعجة! كانـت والدته تنهض خلال الصلاة وتخبـر عـن جميـع عيـوب أطفالهـا وتطلـب الصلاة مـن أجلهم. بالطبع جعلهم ذلك غاضبين، وأسوأ من أي وقت مضى.»

«لم تخبري آن بأخبار جين،» اقترحت ماريلا.

«آه، جيـن»، قالت السـيدة لايند بحسـرة. «حسـنا، لقد عادت جين أندروز من الغرب الأسـبوع الماضيوستتزوج من مليونير من وينيبيغ. يمكنك أن تكوني واثقة من أن السـيدة هارمون لم تفوت الفرصة لإخبار الجميع عن ذلك.»

«جيـن العزيـزة، أنـا سـعيدة جدًا»، قالـت آن بإخـلاص. «إنها تستحق كل خير في الحياة.»

«آه، لا أقـول أي شـيء ضـد جيـن. إنهـا فتـاة لطيفـة بما فيه الكفايـة. ولكنهـا ليسـت من فئـة المليونيـرات، وسـتجدين أن لا

شـيءمميزفي هذا الرجل إلا ثروته، هذا هو الأمر. تقول السـيدة هارمـون إنه إنجليزي صنع ثروتـه في المناجم ولكنني أعتقد أنه سيظهر أنه يانكي. بالتأكيد يجب أن يكون لديه المال، فقد غمر جيـن بالمجوهـرات. خاتم خطوبتها عبارة عـن تجمع من الماس بحجم كبير لدرجة أنه يبدو وكأنه لاصق على كف جين السمين.»

لم تتمكن السيدة لايند من إبعاد بعض الحنق عن صوتها. ها هـي جيـن أنـدروز، تلك الفتاة البسـيطة، مخطوبـة لمليونير، في حين يبدو أن آن لم تكن حتى الآن مرتبطة بأي شـخص، غني أم فقير. والسيدة هارمون أندروز كانت تتباهى بشكل لا يُحتمل.

«ما الذي فعله جيلبرتبلايث في الكلية؟» سألت ماريلا. «رأيته عندما عاد الأسبوع الماضي، وهو شاحب ونحيف إلى درجة أنني بالكاد عرفته.»

«قالـت آن: «لقـد درس بجد خلال الشـتاء الماضي». «تعلمان أنـه حصـل على تقديـر عال في الدراسـات الكلاسـيكية وجائزة كوبـر. لـم ينلها أحد لمدة خمس سـنوات! لذا أعتقد أنه قد تعب قليلاً. نحن جميعًا نشعر ببعض التعب.»

«علـى أي حـال، أنـتِ حاصلة على درجـة البكالوريوس، وجين أندروز ليست كذلك ولنَ تصبح أبدًا،» قالت السيدة لايند بارتياح.

وبعد بضعة أمسيات ، ذهبت آن إلى زيارة جين ، ولكن الأخيرة كانـت قـد خرجت إلى تشـارلوت تاون – «تقـوم بعمل الخياطة،» أبلغـت السـيدة هارمونـآن بفخـر. «بالطبـع، لـن تناسـب خياطة أفونلي جين في هذه الظروف.»

«لقد سمعت شيئًا جميلاً جدًا عن جين»، قالت آن.

«نعـم، جيـن قد حققـت تقدمًا جيدًا، حتى لـو لم تحصل على درجـة البكالوريـوس»، قالـت السـيدة هارمـون، بحركـة خفيفـة

برأسها. «السيد إنجليس يمتلك الملايين، وسيذهبان إلى أوروبا في جولة بعد زفافهم. عندما يعودان ، سيعيشان في قصر رخامي مثالي في وينيبيغ. جين لديها مشكلة واحدة فقط – إنها تستطيع الطهي بشكل جيد للغاية وزوجها لا يسمح لها بالطهي. إنه ثري إلى درجة أنه يوظف طاهيا. سيحتفظان بطاهٍ وخادمتين وسائق وعامل. ولكن ماذا عنكِ، آن؟ لا أسمع شيئًا عن زواجكِ، بعد كل تلك السنوات في الكلية.»

«أوه،» ضحكت آن، «سأكون عجوزا عذراء. لا أستطيع حقًا أن أجد أي شخص يناسبني.» كان ذلك أمرًا ماكرا منها. فقد كانت تقصد بشكل متعمد أن تذكر السيدة أندروز بأنها إذا أصبحت عذراء كبيرة، فإن ذلك ليس لأنها لم تكن لديها فرصة واحدة على الأقل للزواج. ولكن السيدة هارمون انتقمت بسرعة.

«حسنًا، الفتيات المهتمات بالتفاصيل عادةً ما تبقين من دون زواج، ألاحظ ذلك. وما هذا الذي أسمعه عن خطوبة جيلبرتبلايث مع الآنسة ستيوارت؟ يقول تشارلي سلون لي إنها جميلة جدا. هل هذا صحيح؟»

«لا أعرف ما إذا كان صحيحًا أنه قد خطب الآنسة ستيوارت»، ردت آن بتروّ، «ولكنه بالتأكيد صحيح أنها جميلة للغاية.»

«كنت أعتقد في بعض الأوقات أنكِ وجيلبرت ستكونان زوجين مثاليين»، قالت السيدة هارمون. «إذا لم تحذري، آن، سيتسرب جميع خطابكِ من بين أصابعكِ.»

قررت آن عدم مواصلة مبارزتها مع السيدة هارمون. لا يمكنكِ أن تتبارزي مع خصم يقابل طعنة السيف بضربة من فأس.

«نظرًا لغياب جين، لا أعتقد أنه يمكنني البقاء أكثر في هذا الصباح. سآتي عندما تعود.»قالت، وهي تنهض بغرور.

«نعـم،» قالت السـيدة هارمـون بحماس، «جين ليسـت متكبرة على الإطلاق. إنها تتواصل مع أصدقائها القدامى مثل السـابق. ستكون سعيدة حقًا برؤيتك.»

وصـل مليونيـر جين فـي أواخر مايـو وتزوجها فـي أجواء من البـذخ. كانـت السـيدة لايـند مسـرورة بشـكل كبيرلاكتشـافها أن السـيد إنجليـس كان عمـره أربعيـن عامًـا، وكان قصيـرًا ونحيفًا ورمـادي اللـون. لـم تقتصـد السـيدة لايـند فـي سـردها لعيوبه، يمكنكم أن تكونوا على ثقة.

«سيحتاج كل ذهبه ليحصل على بعض البريق، هذا ما أقوله»، قالت السيدة راشيل بجدية.

«يبـدو ودودا وصـادق القلب»، قالت آن بولاء، «وأنا متأكدة أنه يفكر في جين على نحو رائع.»

«اممم»، غمغمت السيدة راشيل.

تزوجـت فيـل غـوردون فـي الأسـبوع التالـي، وذهبـت آن إلى بولينغبروك لتكون شاهدة على عرسها. بدت فيل عروسًا جميلة ورقيقة، وكان القس جو مشـرقًا بسـعادته حتى لم يفكر أحد في قبحه.

«نحـن ذاهبان في رحلةللعشـاق عبـر أرض إيفانجلين،» قالت فيل، «وبعد ذلك سنستقر على شارع باترسون. تعتقد والدتي أنه أمر رهيب فقد ظنت أن جو سيعين على الأقل في كنيسة بمكان لائق. ولكن بالنسبة لي، ستزدهر برية أحياء باترسون كالورد إذا كان جـو هناك. أوه، آن، أنا سـعيدة جـدًا حتى أن قلبي يؤلمنيمن شدة السعادة.»

كانـت آن دائمـاً تسـعد بسـعادة أصدقائهـا، ولكـن أحيانًـا أن تكون محاطًا في كل مكان بسعادة ليست خاصة بك أمر يشعرك

بالوحـدة. وكان الأمـر نفسـه عندما عادت إلـى أفونلي. في هذه المـرة كانـت ديانا هي التـي غرقت في المجـد الرائع الذي يأتي لامـرأة عندمـا يُولـد طفلهـا الأول. نظـرت آن إلـى الأم الشـابة البيضاء بذهول لم يدخل أبداً في مشاعرها تجاه ديانا من قبل. هل يمكن أن تكون هذه المرأة الشـاحبة بالنشـوة في عينيها هي نفس ديانا الصغيرة ذات الشعر الأسود والخدين المتوردين التي لعبت معها في أيام المدرسة التي خلت؟ جعلها ذلك تشعر بشعور غريب من الوحدة وأنها تنتمي بطريقة ما فقط إلى تلك السنوات السابقة وليس لها أي دور في حاضرها على الإطلاق.

«أليس جميلاتقًا؟» قالت ديانا بفخر.

كان الصغير السمين شبيهًا بفريدتمامًا، مستديرًا ويحمل نفس اللون. حقًا ، لم تسـتطع آن أن تقول بضمير أنها تعتبره جميلًا ، ولكنها أقسمت بصدق أنه كان لطيفًا وتقبيله ممتع تمامًا.

«قبل أن يأتي كنت أرغب في فتاة حتى أتمكن من أن أسـميها آن،» قالت ديانا. «ولكن الآن بعد أن وُلِدَ الصغير فريد، لن أتنازل عنه مقابل مليون فتاة. لا يمكن أن يكون سوى هو الغالي.»

«كل طفـل صغيـر هـو الأجمـل والأفضل،»قالـت السـيدة آلان بسـعادة. «إذا كانـت الصغيرة آن قد أتت لكنت ستشـعرين بنفس الشيء تمامًا بشأنها.»

كانـت السـيدة آلان فـي زيـارة إلـى أفونلـي، لأول مـرة منـذ مغادرتها. كانت مرحة ولطيفة ومتعاطفة كما كانت دائمًا. رحبت بهـا صديقاتها القديمات بحماس. كانت زوجة القس سـيدة ذات أخلاق جيدة، ولكنها لم تكن بالضبط روحًا شبيهة.

«لا أسـتطيع الانتظـار حتـى يصبـح كبيـرًا بمـا فيـه الكفايـة ليتكلم،» تنهدت ديانا. «أنا فقط أتوق لسماعه يقول «أمي». وأوه،

أنـا عازمـة علـى أن تكـون أول ذكرى لـه معي جميلـة. أول ذكرى لي مع أمي عندما صفعتني بسـبب شـيء فعلته. أنا متأكدة أنني كنت اسـتحق ذلك، وأمي كانت دائماً أمًا جيدة وأنا أحبها كثيرًا. ولكنني كنت أتمنى لو أول ذكرى لي معها كانت أجمل.»

«لـدي ذكرى واحـدة فقط عن أمي وهي أجمل ذكرياتي كلها»، قالت السـيدة آلان. «كنت في الخامسـة من العمر، وكنت قد أذن لـي بالذهـاب إلى المدرسـة يومًـا واحدًا مـع شـقيقتين كبيرتين لي. عندما انتهت المدرسـة، ذهبت شـقيقاتي إلى المنزل صحبة مجموعـات مختلفـة، كل واحـدة معتقـدة أنني مع الأخـرى. بدلاً مـن ذلـك، ركضـت مع فتـاة صغيرة لعبـت معها في الاسـتراحة. ذهبنا إلى منزلها، الذي كان قريبًا من المدرسة، وبدأنا في صنع فطائر الطين. كنا نمر بوقت رائع عندما وصلت شقيقتي الكبرى، غاضبة ومنفعلة.»

«أيتهـا الفتاة الشـقية» صاحت، وقد أمسـكت بيـدي المترددة وجرتني معها. «تعالي إلى البيت حالا. أوه، ستحدث لك مشكلة! أمي غاضبة للغاية. ستجلدك جيدا.»

«لـم أكـن قـد تعرضت للضرب مـن قبل. الرهبـة والرعب ملآ قلبي الصغير المسكين. لم أكن قد شعرت بالتعاسة مثلما شعرت فـي تلـك الرحلة إلى المنزل. لم أكن قد قصدت أن أكون شـقية. كانـت فيمي كاميرون قـد طلبت مني العودة إلى المنزل معها ولم أكن أعلم أنه من غير الصحيح القيام بذلك. والآن كنت سـأجلد بسـبب ذلـك. عندمـا وصلنـا إلى المنـزل، جذبتني شـقيقتي إلى المطبـخ حيـث كانـت أمي تجلس بجـوار النار في ظلام الشـفق. كانـت سـاقاي الصغيرتـان المسـكينتان ترتجفـان حتـى أمكننـي الوقـوف بصعوبة. ولكن أمياحتضنتنـي فقط، دون كلمة توبيخ أو

قسـوة، قبلتنـي واحتضنتني من قلبها. «كنـت خائفة جدًا من أنكِ قـد فقـدتِ، حبيبتـي»، قالـت بلطف. كنـت أرى الحـب يتألق في عينيها وهي تنظر إلي. لم تلمني أو تعاتبني على ما فعلته – فقط قالـت لـي أنـه يجب علي ألا أذهب مرة أخرى دون أن أطلب إذنًا. توفيـت بعـد ذلك بوقـت قصير جـدًا. هذه هي الذكـرى الوحيدة التي أحتفظ بها عنها. أليس هذا جميلًا؟»

شـعرت آن بالوحـدة أكثر مـن أي وقت مضى وهي تسـير إلى المنـزل، مـارةً عبـر مسـار البتول وممر العشـاق. لم تسـلك ذلك الطريـق منـذ زمـن بعيـد. كانت ليلـة مغمـورة باللـون الأرجواني الداكـن. وكان الهـواء ثقيـلًا برائحـة الزهـور. تحولـت البتولامن شـتلات سـاحرة إلى أشـجار كبيرة على طول الطريق. كل شـيء تغير. شعرت آن أنها ستكون سعيدة عندما ينتهي الصيف وتكون بعيدة في العمل مرة أخرى. ربما لن تبدو الحياة فارغة بعد ذلك.

«لقد حاولت مع هذا العالم ولكنه لم يعد يظهر
باللون الشاعري الذي كان عليه»

تنهدت آن وقد عزتها فورًا فكرة خلو العالم من الرومانسية!

الفصل الأربعون
كتاب القدر

عـادت عائلـة إرفينغ إلى قرن الصدى لقضـاء فصل الصيف، وقضـت آن فترة سـعيدة هناك لمدة ثلاثة أسـابيع فـي يوليو. لم تتغير السـيدة لافندر؛ بينما تحولت تشـارلوتا الرابعة إلى سـيدة شابة ناضجة الآن، لكنها لا تزال تعشق آن بإخلاص.

«آنسـة شـيرلي،لم أر أي شخص في بوسـطن يشبهك»، قالت بصراحة.

كان بول قريبًا من البلوغ. وكان عمره ستة عشر عامًا، وقد قام بحلـق خصـلات شـعره البنية، وأصبح أكثر اهتمامًـا بكرة القدم مـن حكايات الجنيات. ومع ذلك، كانت الرابطة بينه وبين معلمته القديمة لا تزال قائمة. الأرواح الشقيقة وحدها لا تتغير مع مرور السنوات.

كانـت إحـدى الليالـي البـاردة والممطرة والقاسـية فـي يوليو عندمـا عـادت آن إلى البراري الخضـراء. وكان إحدى العواصف الصيفيـة العاتيـة التي تجتاح الخليج أحيانًا تجتاح البحر. وما إن دخلت آن البيت، بدأت قطرات المطر الأولى تقرع الزجاج.

«هل جلبك بول إلى المنزل؟» سـألت ماريلا. «لماذا لم تطلبي أن يبقى طوال الليل؟ سيكون مساءً عاصفًا.»

«سيصل إلى قرن الصدى قبل أن يزداد هطول المطر كثيرًا على ما أعتقد. على أي حال، كان يرغب في العودة الليلة. لقد قضيت زيارة رائعة، ولكنني سعيدة برؤيتكم مرة أخرى أحبتي. حتى وإن ذهبت شرقًا أو غربًا، يبقى المنزل هو الأفضل.» ديفي، هل ازداد نموك مؤخرًا؟»

«لقد نموت بوصة كاملة منذ رحيلك»، قال ديفي بفخر. «أنا طويل القامة مثل ميلتيبولتر الآن. أليس ذلك رائعًا؟ سيتعين عليه التوقف عن الفخر بكونه أكبر. آن، هل تعلمين أن جيلبرتبلايث مريض؟» وقفت آن صامتة تمامًا وبدون حركة، تنظر إلى ديفي. كان وجهها قد أصبح شاحبا إلى حد أن ماريلا اعتقدت أنها كانت على وشك الاغماء.

«ديفي، اسكت»، قالت السيدة راشيل بغضب. «آن، لا تفزعي هكذا! لم نقصد أن نخبرك بهذه السرعة.»

«هل هذا صحيح؟» سألت آن بصوت ليس لها.

«جيلبرت مريض جدًا»، قالت السيدة ليند بجدية. «لقد أصيب بحمى التيفوئيد بعد رحيلك إلى قرن الصدى. ألم تسمعي به؟»

«لا»، قالت ذلك الصوت المجهول.

«كانت حالته سيئة للغاية من البداية. قال الطبيب إنه قد تدهور بشكل فظيع. لديهم ممرضة مدربة وتقومبكل الإجراءات. لا تفزعي هكذا، آن. طالما هناك حياة، يوجد أمل.»

«كان السيد هاريسون هنا هذا المساء، وقال إنه ليس لديهم أمل في شفائه»، أعاد ذلك ديفي.

ماريلا، التي بدتمسنة ومتعبة ومجهدة، نهضت وأخذت ديفي بعيدًا بعنف إلى المطبخ.

«أوه، لا تفزعي هكذا، عزيزتي»، قالت السيدة راشيل، وقد

وضعت ذراعيها الكبيرتين حول الفتاة الشاحبة. «لم أفقد الأمل، حقًا لم أفعل. لديه بنية بلايث القوية لصالحه، هذا هو الأمر.»

دفعت آن بلطف ذراعي السيدة ليند بعيدًا عنها، وسارت عبورًا بالمطبخ والردهة، وصعدت السلالم إلى غرفتها القديمة. وعند نافذتها، جثت على ركبتيها، تحدق بلا هدف. كانت الليلة مظلمة جداً. والأمطارالرعدية تتساقط على الحقول. وكانت الغابة المسحورة مليئة بآهات الأشجار القوية الملتوية في العاصفة، والهواء اهتز بالصدمة الرعدية للأمواج على الشاطئ البعيد. وجيلبرت كان يحتضر!

هناك فصل الختام في حياة كل إنسان، كما هو الحال في الكتاب المقدس. قرأت آن كتاب حياتها في تلك الليلة المريرة، وظلت ساهرةتتعذب خلال ساعات العاصفة والظلام. هي تحب جيلبرت، أحبته دائمًا! كانت تعلم ذلك الآن. كانت تعلم أنها لا تستطيع أن تطرده من حياتها دون ألم، تمامًا كما لو كانت قد قطعت يدها اليمنى وألقتها منها. وكان إدراكها قد حل متأخرا جدًا، حتى بالنسبة للتعويض المرير بأن تكون معه في النهاية. إذا لم تكن عمياء وغبية، لكان لديها الحق في الذهاب إليه الآن. ولكنه لن يعلم أبدًا أنها تحبه، سيرحل من هذه الحياة وهو يعتقد أنها لا تهتم. أيسنوات سوداء تمتدة أمامها! لا تستطيع أن تعيش من خلالها، لا تستطيع! انخرطت في البكاء عند نافذتها وتمنت، للمرة الأولى في حياتها الشابة المرحة، أن تموت أيضًا. إذا رحل جيلبرت عنها، دون كلمة أو إشارة أو رسالة، لا تستطيع أن تعيش. لا شيء ذو قيمة بدونه. كانت تنتمي إليه وهو ينتمي إليها. في ساعة عذابها الكبير، لم يكن لديها شك في ذلك. لم يكن يحب كريستين ستيوارت – لم يحبها أبدًا. كم كانت حمقاء عندما

لـم تدرك ما هـو الرابط الذي جعلها مرتبطـة بجيلبرت–وعندما فكـرت أن الخيـال الذي شـعرت به تجـاه روي جاردنـر كان حبًا. والآن، يجب عليها أن تدفع ثمن غبائها كجريمة.

مـرت السـيدة لينـد وماريـلا إلى بابهـا آن قبـل أن يذهبا إلى الفـراش، حركا رؤوسـهم بشـك حيـال صمتها، ثم ذهبا. اشـتدت العاصفـة طوال الليل، ولكـن عندما جاء الفجر، كانت قد انتهت. رأت آن حافـة خياليـة مـن النـور على حاشـية الظـلام. في وقت قريب، كان للتلال الشرقية حافة ياقوتية متلألئة. تحولت السحب إلى كتل كبيرة وناعمة وبيضاء على الأفق؛ ولمعت السـماء باللون الأزرق الفضي. وحل الهدوء على العالم.

نهضـت آن مـن فـوق ركبتيهـا وانزلقت إلـى الطابق السـفلي. لفحـت نسـمة الهـواء النـدي وجههـا الأبيـض بينما خرجـت إلى الفنـاء، وبـردت عيناها الجافتين والحارقتيـن. كان صوت صفير مـرح يصـدر عن مكان ما قـرب في الزريبة. ولحظـات قليلة بعد ذلك، ظهر باسيفيك بوت في الأفق.

خارت قوة آن الجسديةفجأة. لو لم تمسك بغصن الصفصاف السفلي، لكانت قد سقطت. باسيفيك كان عاملًا مأجورًا لجورج فليتشـر الذي يعيش بجوار آل بلاث. السـيدة فليتشـر كانت عمة جيلبرت. سيعلمها باسيفيك إذا كان... إذا كان هناك شيء يجب معرفته.

سـار باسـيفيك بخطـوات ثابتـة علـى طـول الطريـق الأحمر، وهـو يصفـر. لـم يـر آن. قامـت بثـلاث محـاولات باءت بالفشـل لاسـتدعائه. كان علـى وشـك أن يمـر قبـل أن تنجح شـفتيها في النداء: «باسيفيك!»

تحول باسيفيك ملقيا تحية الصباح وهو يبتسم مبتهجا.

«باسيفيك»، قالت آن بخفوت، «هل جئت من منزل جورج فليتشر هذا الصباح؟»

«بالتأكيد»، قال باسيفيك بلطف. «حصلت على خبر الليلة الماضية بأن والدي كان مريضًا. كانت العاصفة قوية جدًا فلم أستطيع الذهاب حينها، لذا خرجت في الصباح الباكر. أنا ذاهب عبر الغابة لاختصار الطريق.»

«هل سمعت كيف كان جيلبرتبلايث هذا الصباح؟» دفعها اليأس لطرح هذا السؤال. حتى الأسوأ سيكون أكثر قابلية للتحمل من هذا التوتر الرهيب.

«هو أفضل الآن»، قال باسيفيك. «تحسن الليلة الماضية. الطبيب يقول إنه سيكون على ما يرام الآن في وقت قريب. مربتجربة صعبة، ولكن هذا الصبي أنهك نفسه بشدة في الكلية. حسنًا، يجب أن أسرع. الرجل العجوز، سيكون مستعجلًا لرؤيتي.»

استأنف باسيفيك سيره وصفيره. نظرت آن خلفه بعيون كان الفرح يطرد عنها العذاب الشديد من ليلة الانتظار. كان شابًا طويلاً جدًا، فقيرًا جدًا، وقبيحًا جدًا. ولكنه في نظرها الآن، كان جميلًا مثل أولئك الذين يأتون ببشرى على الجبال. لن ترى آن باسيفيك، الذي يملك وجهًا بنيًا ومستديرًا وعيونًا سوداء، أبدًا دون أن تتذكر بدفء لحظة قدم فيها لها فتيل الفرح بدلًا من الحداد.

بعد وقت طويل من اختفاء صفير باسيفيك البهي في أفق الموسيقى وبعد أن أطبق الصمت تحت أشجار ممر العشاق، وقفت آن تحت أشجارالصفصاف، تستمتع بحلاوة الحياة عندما يتم إزالة بعض الخوف الكبير منها. كان الصباح مليئا بالضباب

والسـحر. فـي الزاوية بالقرب منها تفاجـأت بتفتح ورود جديدة، وقـد غطتهـا قطرات النـدى البلورية. وكانت زقزقـة الطيور فوق الشجرة الكبيرة تبدو في اتفاق تام مع مزاجها. تبادر اقتباس من كتاب قديمرائع جدًا إلى شفتيها،

«إن البكاء قد يدوم ليلاً، ولكن الفرح يأتي في الصباح.»

الفصل الواحد والأربعون
الحب أقوى من الزمن

«لقـد جئـت لأطلـب أن تذهبي معـي في إحدى تلـك الجولات القديمة في أحضان الغابات خلال شهر سبتمبربعد ظهر اليوم»، قال جيلبرت متقدماً فجأة حول زاوية الشرفة.

«لنزر حديقة هيسـتر غراي»، أضافجيلبرت، وهو يجلس على الدرج الحجري محتضنا قطعة خفيفة وخضراء من القماش.

أطلت آن بتعب وارتباك، وقالت بتردد : «أتمنى أن أستطيع، لكن حقـاً لا يمكنني، جيلبرت. سـأذهب إلى حفل زفاف آليسـبينهالو الليلة، كما تعلم. عليّ أن أقوم ببعض التعديلات في هذا الفستان، وعندما ينتهي، سـأكون مضطرة أن أتجهّز. آسـفة حقاً، كنت أود الذهاب.»

«حسـنًا، هل يمكنك الذهاب غدًا بعد الظهر؟» سأل جيلبرت، وقد بدا أنه لم يشعربخيبة الأمل كبيرة.

«نعم، أعتقد ذلك.»

«في هذه الحالة، سـأذهب إلى البيت فوراً لفعل ما كان يجب عـل أن أفعلـه غـدًا. إذاً، آليـس بينها لو سـتتزوج الليلة. حضرت ثـلاث حفـلات زفاف في صيف واحد يـا آن: فيل، آليس، وجين. لن أسامح جين أبدًا لعدم دعوتها لي إلى حفل زفافها.»

«لا يمكنك حقاً أن تلومها عندما تفكر في تلك الأعداد الكبيرة التي كان بجب أن تُدعى. البيت لم يكن سيتحملهم جميعاً. لقد تمت دعوتي فقط لكوني صديقة جين القديمة، على الأقل من طرف جين. إذ أعتقد أن دافع السيدة هارمون لدعوتي كان إظهارهالروعة جين الاستثنائيةلي «

«هل صحيح أنها ارتدت الكثير من الألماس بحيث لا يمكن أن تميز بين حدود الألماس وبين جين؟»

ضحكت آن.

«بالتأكيد ارتدت الكثير. بين كل تلك الألماس والحرير الأبيض والتول والدانتيل والورود وزهور البرتقال، كانت الفتاة الرقيقة جين تكاد تختفي عن الأنظار. لكنها كانت سعيدة جداً، وكان السيد إنجليس كذلك، وكذلك السيدة هارمون.»

«هل هذا هو الفستان الذي سترتدينه الليلة؟» سأل جيلبرت وهو ينظر إلى الأكمام والتفاصيل.

«نعم. أليس جميلاً؟ وسأضع زهورا نجمية في شعري. إن غابة الأشباح مليئة بها هذا الصيف.»

تخيلهاجيلبرتفجأة ، متزينة بفستان أخضر مكتمل بأكمام وزخارف، مع زينة في الذراعين والحلق تتدلى منه، والزهورالنجمية البيضاء تتألق على تموجات شعرها الأحمر. جعلت هذه الرؤية أنفاسه تتقطع. ولكنه حول ناظريه بخفة.

«حسنًا، سأكون هنا غدًا. آمل أن تقضي وقتًا جيدًا الليلة.»

نظرت آن إلى جيلبرت وهو يبتعد، وتنهدت. جيلبرت كان ودودًاجدًا، ودرجة الود المشترك قد عادت إليهما بعد تعافيه. ولكن آن لم تعد تجدها مرضية. زهرة الحب جعلت زهرة الصداقة باهتة وبلا رائحة. وبدأت آن مرة أخرى في الشك إذا

كان جيلبرت الآن يشعر بشيء تجاهها إلا الصداقة. كان يطاردها خوف مؤلم بأن خطأها لا يمكن تصحيحه. كان من المحتمل جدًا أنه كان يحب كريستين بعد كل شيء. ربما كان قد خطبها حتّى. حاولت آن أن تبعد كل الآمال القلقة عن قلبها، وأن تتصالح مع نفسها ومع مستقبلها حيث يجب أن يحل العمل والطموح محل الحب. يمكنها القيام بعمل جيد، إذا لم يكن نبيلاً، كمعلمة. وكان نجاح رواياتها القصيرة التي بدأت تلقى إعجابًا في بعض دور النشر يبشر بخصوبة أحلامها الأدبية المشتعلة. ولكن،أمسكت آن فستانها الأخضر وتنهدت مرة أخرى.

عندما جاء جيلبرت في اليوم التالي بعد الظهر، وجد آن في انتظاره، نضرة كالفجر وجميلة كالنجمة، بعد كل البهجة التي حدثت في الليلة السابقة. ارتدت فستانًا أخضرًا – ليس الفستان الذي ارتدته في حفل الزفاف، ولكن فستانًا قديمًا كان قد أخبرها جيلبرت خلال استقبال في ريدموند أنه يحبه بشكل خاص. كان لونه يبرز ظلال شعرها واللون الرمادي النجمي لعينيها ورقة جلدها مثل القزحية. اعتبرجيلبرت، وهو يلقي نظرة جانبية عليها أثناء سيرهما على درب في الغابة الظليلة، أنها لم تبد بهذا الجمال أبدًا من قبل. وفكرت آن، وهي تلقي نظرة جانبية على جيلبرت، في كم بدا أكبر سنا منذ مرضه. كأنه قد وضع الصباح وراءه إلى الأبد.

اليوم كان رائعا والطريق كان جميلًا. كانت آن تشعر بشيء من الحزن عندما وصلا إلى حديقة هيستر غراي، وجلسا على مقعد قديم. ولكن المكانبدا جميلا هناك أيضًا، كما كان في ذلك اليوم الغابرعندمااكتشفته هي ديانا وجين وبريسيلافي إحدى نزهاتهن الرائقة. في ذلك الوقت كانت الحديقة جميلة بزهور

النرجس والبنفسج؛ والآن، أضاء القرنفل مصباحه الساحر في زواياها، ونثر الأقحوانلونهالأزرق. جاء نداء الجدول من أعماق الغابة من وادي البتول مع كل إغراءاتها القديمة؛ الهواء اللطيف كان مليئًا بخرير البحر. وبعيدًا كانت هناك حقول محاطة بأسوار معدنيةتلمع تحت أشعة الشمس كالفضة، وتلال شامخة تحمل وشاح ظلال الخريف؛ ومع نسيم الرياح الغربية عادت الأحلام القديمة.

«أعتقدأن الأرض التي تتحقق فيها كل الأحلامتقع في الضباب الأزرق هناك، فوق ذلك الوادي الصغير.»قالت آن برفق

«هل لديكِ أحلام لم تحققيها، آن؟» سأل غيلبرت.

شيء في طريقته يُوحي بشيء لم تسمعه منذ تلك الليلة المشؤومة في بستان باتيجعل قلبها ينبض بشكل جنوني. ولكنها أجابت بخفة.

«بالطبع. الجميع لديه أحلامٌ لم تُحقق. لن يكون مناسبًا لنا أن يتم تحقيق كل أحلامنا. سنكون كميتين لو لم يكن لدينا شيء متبقٍ لنحلم به. يا له من عبير لذيذ تستخلصه الشمس الهابطة من الأقحوان والشيح!»

ولكن لم يسمح غيلبرت أن ينحرف الموضوع عن هذا الطريق.

«لدي حلم،» قال ببطء. «أصر أن أحلم به، على الرغم من أنه في كثير من الأحيان بدا لي أنه لا يمكن أن يتحقق أبدًا. أحلم بمنزل به مدفأة، وقطة وكلب، وخطوات أصدقاء.. وأنتِ!»

أرادت آن الكلام، لكنها لم تجد كلمات. كانت السعادة تتلاطم عليها كموج. كادت أن ترهبها تقريبًا.

«سألتكِ سؤالاً قبل أكثر من عامين، آن. إذا كنت سأسألك نفس السؤال اليوم، هل ستعطيني إجابة مختلفة؟»

ما زالت آن لا تستطيع الكلام. ولكن رفعت عينيها، اللامعتين بكل سـرور الحب الذي كان كافيا لأجيال لا تحصى، ونظرت إلى عينيه للحظة. لم يكن يحتاج إلى إجابة أخرى.

طـال بقاؤهمـا فـي الحديقـة القديمة حتى أتى الشـفق، حلوًا كجنـات عـدن. كان هنـاك الكثيـر مـن الحديـث ومـن اسـترجاع الأشياء التي تم قولها وفعلها وسماعها والتفكير بها والشعور بها وتم تفسيرها بشكل خاطئ.

«كنت أعتقد أنك تحب كريستين ستيوارت،» قالت له آن، كأنها تلومه وكأنها لم تعطِه كل سبب ليظن أنها تحب روي غاردنر.

ضحك غيلبرت بطريقة فاتنة.

«كانت كريسـتين مخطوبة لشـخص في مسـقط رأسـها. كنت أعلم ذلك، وهي كانت تعلم أنني أعلم ذلك. عندما تخرج أخوها، قال لي أن أخته سـتأتي إلى كينجسـبورت الشـتاء التالي لتدرس الموسـيقى، وسـألني هل يمكن أن أهتم بها ، لأنها لا تعرف أحدًا وسـتكون وحيـدة جـدًا. لذلك فعلت. وبعد ذلك أحببت كريسـتين لذاتها. إنها واحدة من أجمل الفتيات اللواتي عرفتهن. كنت أعلم أن الشـائعات فـي الكليـة كانـت تعتبرنـا واقعين في حـب بعضنا البعـض. لـم يكـن أمرًا مهمًا بالنسـبة لي، بعدما قلـت لي أنكِ لن تسـتطيعي أبـدًا أن تحبينـي، آن. لـم يكن هناك أحـد آخر – ولن يكون هناك أبدًا أحد بالنسـبة لي سـواكِ. لقد أحببتكِ منذ ذلك اليوم الذي كسرتِي فيه لوحتكِ على رأسي في المدرسة.»

«لا أدري كيف اسـتمر حبك في أن يكبر عندما كنتُ أتصرف بهذه الحماقة ،» قالت آن.

«حسـنًا، حاولـت أن أتوقـف،» قـال غيلبـرت بصراحـة، «ليس لأننـي اعتقـدت أنـكِ مـا تسـمين نفسـكِ بـه، ولكـن لأننـي كنـت

متأكدًا أنه لا توجد أي فرصة لي بعد ظهور جاردنر. ولكنني لم أستطع— ولا أستطيع أن أخبرك، أيضًا، بما شعرت خلال هذين العامين عندما كنت أعتقد أنك ستتزوجينه، وكنت أنتظر أن يخبرنيأحدهم أن خطبتك على وشك الإعلان. كنتُ أصدق ذلك حتى يوم مبارك كنت فيه جالسًا بعد مرضي. فحصلت على رسالة من فيل جوردون—فيل بليكبالأحرى— أخبرتني فيها أنه لا يوجد شيء حقيقي بينك وبين روي، ونصحتني بـ «المحاولة مرة أخرى.» حسنًا، كان الطبيب مندهشًا من استعادتي السريعة لصحتي بعد ذلك.»

ضحكت آن، ثم ارتعشت.

«لا أستطيع أن أنسى أبدًا الليلة التي اعتقدت فيها أنكَ تموت، غيلبرت. أوه، لقد علمت حينها. وكنتُ أعتقد أن الوقت تأخر جدًا.»

«ولكنه لم يتأخر، حبيبتي. أوه، آن، هذا يعوض عن كل شيء، أليس كذلك؟ دعينا نقرر أن نحتفظ بهذا اليوم كيوم مقدس للجمال الكامل طوال حياتنا من أجل الهدية التي قدمها لنا.»

«إنه عيد سعادتنا،» قالت آن بصوت هادئ. «لطالما أحببت هذه الحديقة القديمة لهيستر غراي، والآن ستكون أعزّ من أي وقت مضى.»

«لكن عليك أن تنتظري طويلاً، آن،» قال غيلبرت بحزن. «ستمر ثلاث سنوات قبل أن أنهي دراستي للطب. وحتى ذلك الحين، لن تكون هناك أي هدايا ماسية أوقصور رخامية.»

ضحكت آن.

«لا أريد ماسا وقصورا رخامية. أريدك فقط. قد يكون الماس والقصور الرخامية جيدين جدًا، ولكن هناك «مجالً للخيال» أكبر

بدونهمـا. وبالنسـبة للانتظـار، لا يهم. سـنكون سـعيدين، ننتظر ونعمل من أجل بعضنا البعض—ونحلم. أوه، ستكون الأحلام حلوة جدًا الآن.»

جـذب غيلبـرت آن إليـه وقبّلها. ثم سـارا معًا إلـى المنزل في الظـلام، متوجيـن ملـكًا وملكـةً فـي مملكـة الحب الزوجيـة، عبر مسـارات منحوتـة بأجمـل الزهورعلـى الإطـلاق، ومروج مشـوبة برياح الأمل والذكريات.